المنتدى

الانتماء والإنماء

مجلة فكريّة ثقافيّة يصدرها مرّة كل شهرين
منتدى الفكر العربيّ

العدد (٢٢١) المجلّد العشرون (٢)
آذار/مارس ٢٠٠٥

٢٢١

عدد ممتاز

مع هذا العدد:
الكشّاف السّنويّ للعام ٢٠٠٤

في هذا العدد

ملفّ خاصّ

«الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق»

المنامة - مملكة البحرين؛ ٢٧-٢٨ /٢ /٢٠٠٥

المنتدى

مجلة فكرية ثقافية يُصدرها مرّة كل شهرين

منتدى الفكر العربي

عمّان - الأردن

Al Muntada

A Biomonthly Cultural Magazine

Published by the Arab Thought Forum (ATF)

Amman - Jordan

إرشادات عامّة لكُتّاب المجلّة

- يشترط أن لا يزيد طول المادة المقدمة للنشر على عشر صفحات من القطع الكبير، وأن تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).
- يُرجى موافاتنا بالقرص (الديسك) أو إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.
- يُشترط أن تكون المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر الى أية جهة أخرى.
- يُرجى من الكتاب ذكر عناوينهم، بما في ذلك رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والناسوخ (الفاكس).
- يُقلّل عددُ الهوامش والمصادر والمراجع بقدر الإمكان.
- يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عنايةً خاصّة.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدّم إن رأت ذلك ضرورياً.
- تعتذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.

❖ الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربي.

منتدى الفكر العربي

ص.ب : ٩٢٥٤١٨

عمّان ١١١٩٠ - الأردن

تلفون : ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧ (٦-٩٦٢+)

ناسوخ (فاكس) : ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)

Arab Thought Forum

P.O.Box : 925418

Amman - 11190 Jordan

Tel : (+962-6) 5333261/5333617

Fax : (+962-6) 5331197

E-mail: *atf@nic.net.jo*

URL: *www.almuntada.org.jo*

خة : ديناران أردنيّان (ثلاثة دولارات أمريكية)

الانتماء والإنماء

منتـــدى الفكـــر العـــربيّ

منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حُرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامة.

يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.

٢- دراسة العَلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربيّ، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.

٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهاماً فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العَلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.

٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.

٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة: وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.

٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية: ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.

٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية: وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضراً ومستقبلاً.

٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الاستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهُمّ المثقف والمواطن العربيّ.

ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشىء من أجلها.

٢- عُضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربيّ المشترك.

٣- عُضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.





صفحة
١٥

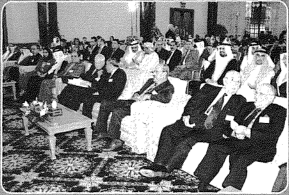
المنتدى
مجلة فكريّة ثقافيّة يُصدرها مرّة كل شهرين
منتدى الفكر العربيّ
المجلّد العشرون (٢)
آذار/ مارس ٢٠٠٥

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٣/١٢/ د)

المحتويات

العدد (٢٢١) المجلّد العشرون (٢) - آذار/ مارس ٢٠٠٥





صفحة ١٥

كلمة أولى

أ.د. همام غصيب
رئيس التّحرير

هذا العددُ عددان: العدد (٢٢١)، والكشّافُ السّنويّ للعام ٢٠٠٤. وإصدارُ الكشّاف عدداً خاصًّا من المجلّة تقليدٌ أرسيْناهُ في السّنةِ الماضية؛ ونحن عليه سائرون.

ومَعَ تسارُعِ الأحداث وتدافُعِ الأفكار، تَرانا نلهثُ ونلهث محاولين القَبْضَ على زمام الأمور ومواكبتَها. لكنْ هيهات! فما إنْ نُعِدَّ المادّة الخامَ للنّشر حتّى تُمسيَ قديمة. ما العمل؟

لعلّ الحَلَّ يكمنُ في تسريعِ عمليّات الإنتاج وفي جعْلِ مجلّتِنا شهْريّة. ثمّ علينا توْظيفُ موْقعِنا الجديد على الإنترنت بهمّةٍ وعنفوان، بما في ذلك إصدارُ النّشرات والبَيانات عن أبرز الأحداث. كما يجب تعْزيزُ مواردِنا البشريّة. ونحن على ذلك عازِمون.

وفي هذا الشّأن، سينضمُّ إلى أسرةِ المنتدى في الأوّل من شهر أيّار/مايو القادم السيّد كايد مصطفى هاشم مساعداً ثانياً لمدير إدارة الدّراسات والبرامج. ولا شكَّ أنّهُ سيكونُ خيْرَ معوانٍ لنا في برامجِنا الفكريّةِ القادمة.

نحاولُ أنْ نَعقِلَها، إذاً؛ ومِنْ ثمّ نتوكّل، بإذنِهِ تعالى.

جولة العدد

العدد (٢٢١) المجلّد العشرون (٢) - آذار/ مارس ٢٠٠٥

يصدر قريباً

عن منتدى الفكر العربيّ

١

الشّباب العربيّ وتحدّيات المستقبل

وقائع الندوة التي عُقدت في عمّان

٥ – ٦ نيسان/ إبريل ٢٠٠٤

٢

الحوار العربيّ الصّينيّ الثّالث

وقائع الندوة التي عُقدت في عمّان

٢٩–٣٠ تشرين الثّاني/ نوفمبر ٢٠٠٤

«إذ نلهث وراء الأمان والخُلُق القويم» *

الحسن بن طلال

هل ولّى الحياء إلى غيْر رجعة؟ وهل أمسى الشّرف لزوم ما لا يلزم؟

منذ سنين وسنين، وكاتب هذه السّطور يدقّ - مع من يدقّ - ناقوس الخطر، وكأنّه زرقاء اليمامة. تساءلت وأتساءل بألم ومرارة: هل باتت النّهاية وشيكة لحُلمنا الجميل؛ حُلم اليقظة العربيّة «المستند إلى الخُلق القويم، ووحدة الهدف، وكرامة الإنسان»؟



لقد تكلّم جَدّي الكبير، الشّريف الحسين بن عليّ طيّب الله ثراه، عن «ترْك المصالح لأهلها»، أي ما نسمّيه اليوم تقرير المصير، للعِرْق العربيّ. فدفع غاليًا ثمن جرأته تلك بنفيْه إلى قبرص. ودُفن كسيرَ الفؤاد داخل أسوار الحرم الشرّيف في معشوقتِه القدس.

إنّ اغتيال الشّيخ رفيق الحريري - رحمه الله - هو الأحدث، لكنّه ليس الأوّل ووا أسفاه لن يكون الأخير، في تلك التّرنيمة الحزينة والسّلسلة الأليمة من أعمال الغدر والقتل والتّدمير التي تشكّل ثقافة العبث والعنف والبُغض النّاجمة عن الأنانيّة السياسيّة وشهوة السّلطان والصّولجان.

في لبنان الغالي، نسمع نداءات لتحقيقٍ عام، وحتّى دوليّ، في مقتل الشيخ الحريري. لكنّ الواحد منّا لا يملك إلاّ أن يسأل: مَنْ حقّق في سلسلة الاغتيالات التي قصفت أعمال أولئك الذين قادوا حركات الاستقلال في الوطن الكبير؟ مثلاً: الجَدّ المؤسّس، الملك عبدالله بن الحسين، الذي قُتل غدرًا وهو في رحاب المسجد الأقصى. والملك فيصل بن عبد العزيز الذي اغتيل وهو في أوج عطائه. وعلى ذلك قِسْ.

إلاّ أنّ اغتيالَ الملوك والرّؤساء والوزراء والدبلوماسيّين يمثّل جُزءًا من الموْضوع. ماذا عن المصلّين الذين قُتلوا بدم بارد وهم خاشعون مبتهلون لباريهم في المساجد والكنائس؟ وماذا عن المدنيّين الأبرياء

* نشرت في جريدة «الحياة» اللّندنيّة بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٣؛ ص٩.

الذين راحوا ضحيّة العنف والتّطرُّف والتّرويع؟ أليس هنالك من حدّ لذلك الدّاء القتّال الذي يطفئ جذوة الأمل، ويزعزع الأمن، ويقزّم هُويّتنا الوطنيّة والعربيّة، ويكبح الانتماء والإنماء؟

لا حاجةَ لأعدائنا بأن يُزيلوا عنّا إنسانيّتنا ويُلصقوا بنا تهمة الإرهاب. فنحن ألدّ أعداء أنفسنا. سمعت مرّة صوتا ناقدا يؤكّد أنّ «العرب يَقتلون كالذّئاب». فكان لا بدّ أن أُعلّق بأنّه «حتّى الذّئاب يصطادون فريستهم في قطعان، ولتأمين قُوت يومهم فقط ليس إلاّ»!

واليوم، بعد أربعة عقود من الدّعوة لعدم الانحياز في مؤتمر باندونغ المشهور، ما زال الإنسان «يلهث وراء الأمان والأخلاق»، على حدّ تعبير سوكارنو. فهل فات الأوان لإبقاء شعلة الأمل متوقّدة متوهّجة بأنْ يَعود شعوب الجنوب إلى رشدهم – من عرب وعجم، ومن مسلمين ومسيحيّين ويهود، وسائر الأقوام والأعراق والمذاهب – قبل أن يغمرَنا طُوفان الجنون والتّعصّب؟ متى ستحفزنا الأخلاق، بدلاً من شهوة الاستبداد والطّغيان؟

هذا هو المرحوم كامل مروّة يقول في مقالة له بعنوان «أزمة أخلاق؛ أزمة ثقة...» [«قُل كلمتك وامش»؛ **الحياة**، العدد (٢٤)؛ ١٩٤٦/٢/٢٨]:
«إنّ الدّول لا تحيا بلا مناهج ولا أخلاق. وكلّ نظام لا يستند إلى هذه الدّعائم ينهار عاجلاً أم آجلاً».

وكأنّه يسترجع بيت أمير الشّعراء:

وإنّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ
فإنْ هُمُو ذهبتْ أخلاقُهُم ذهبُوا

وهذا هو جواهر لال نهرو يقول في ذلك المؤتمر: «كلّنا يرتكب أخطاء؛ لكنْ حين ترتكب القوى العظمى أخطاء، فإنّ النتائجَ تكون أكبر ضررًا». فهل ستكون فلسطين، والعراق، والسّودان، ولبنان، وسورية، وإيران، وأفغانستان وسائر «البقع السّاخنة» مجرّد ضحايا لتلك الأخطاء؟ أم أنّها ستشكّل براعمَ التّعدّديّة والاحترام المتبادَل داخلَ المنطقة وما بَعْدها؟ أتحدّث هنا عن «الاستقلال المتكافل»، وثقافة السّلام، والتّعاون.

سبعون بالمئة من اللاجئين والمهاجرين والمهجّرين في العالم هم مسلمون. فهل هذا مظهر من مظاهر اليأس، أم سبب من أسبابه؟ هل استجاباتنا الإنسانيّة لكارثة تسونامي، ومآسي دارفور، وسائر القارعات والنّازلات كافية؟ المقصود هنا ثروات منطقتنا الطّائلة – من رزقه الله بالذّهب الأسود ومن لم يرزق – التي تُهدر على التّسلّح والتّسليح.

ما زلنا نعقد الآمال، بكُلّ سذاجة، على تحقيق المجتمع الدّوليّ العدل والعدالة في قضايانا من أجل نموّنا ونمائنا. ألم يحن الأوان لتخطيط مستقبَلنا بأيدينا من أجل غدٍ أفضل لأولادِنا وأولاد أولادِنا؟

■

ملفّ خاصّ

سموّ الأمير الحسن بن طلال في القاهرة

زار سموّ رئيس المنتدى وراعيه القاهرة في الفترة من ١/٣٠ - ٢٠٠٥/٢/٢. ورافق سموّه في هذه الزيارة: أ. ناصر جودة، و د. هشام الخطيب، وأ. وسام الزهاوي، و أ.د. هُمام غصيب.

يحتوي هذا الملفّ الخاصّ عن هذه الزيارة الغنيّة:

١ - نصّ المحاضرة التي ألقاها سموّ الأمير في مركز الدّراسات الاستراتيجيّة والسياسيّة/ **الأهرام** (٢٠٠٥/٢/١).

٢ - ملخّص «خطة اتصال وتواصل مع الذّات ومع الإقليم ومع العالم» قدّمه سموّه إلى المركز.

٣ - «رسالة قصيرة إلى مصر المحروسة»، وهي مقالة نشرها سموّه في جريدة **الأهرام** بمناسبة انعقاد معرض القاهرة الدّولي للكتاب السابع والثّلاثين.

محاضرة سموّ الأمير الحسن بن طلال

مركز الدّراسات الاستراتيجيّة والسياسيّة/الأهرام

القاهرة؛ الثلاثاء ١ شباط/فبراير ٢٠٠٥

من وحي اللّحظة الرّاهنة؛ نحو خطة اتصال وتواصل مع الذات ومع الإقليم ومع العالم

بسْمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم
والصّلاةُ والسّلام على نبيِّهِ الأمين
وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين

الأصدقاء الأعزّاء:

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

للأهرام عندي منزلةٌ خاصة؛ وإنّها محبّةٌ لا أستطيعُ أنْ أكتمَها أو أخفيها. والسّويعاتُ التي أقضيها معكم بين الآونةِ والأخرى تُنْقَشُ دائماً في ذاكرتي وماثِلتي. ذلك أنّه لقاءُ عقولٍ وقلوب؛ ولكم أُقدّرُ جهودَكم الموضوعيّةَ المجرّدة من أيّ هوىً في عالمٍ قاسٍ متغيِّر.

أمورٌ كثيرةٌ تُشغِلُ بالَكم وبالي في عالمِنا المتغيِّر هذا. فهل تسْمحونَ لي بأنْ أُلقِيَ نظرةً معكم حول لحظتِنا الرّاهنة بتداعياتِها وتجلّياتِها المختلفة؟ العراق؛ فِلسطين؛ السّودان؛ المنتدى الاجتماعيّ العالميّ في بورتوأليغري، وتوأمُه اللّدود: المنتدى الاقتصاديّ العالميّ، منتدى دافوس؛ همومنا الإصلاحيّة على كلّ صعيد؛ **تسونامي** وحديثُ القارعاتِ والنّازلاتِ والنّائبات.

العراقُ أولاً؛ عراقُنا بكلّ هُويّاته وتجلّياته. أقولُ «هُويّات»، وليسَ هُويّة، على أساس أنّ هذه الهُويّاتِ تشكّل كلاً لا يتجزّأ. وهذا الكلُّ يشكّلُ التّاريخَ والجغرافيا والحياةَ بشتّى مظاهرِها وسماتِها. أريد أنْ أقولَ إنّ بناءَ

دولةٍ ديمقراطيّةٍ حديثة في العراق مكسبٌ للولايات المتّحدة، قبل أنْ يكونَ مكسباً عراقيًّا أو عربيًّا أو حتى إسلاميًّا. فهذا البناءُ هو ما يكفلُ عدمَ مجيء أيِّ مقامرٍ ليقفزَ إلى كرسيِّ الحكم، ويُذيقَ الشّعبَ مرارةَ الاستبداد. المطلوب ديمقراطيّةٌ كاملة، وليس انتخابات فقط! وكما قال **عديد وكارن دويشه** [في مقالتهما المهمّة «كيف نبني عراقا ديمقراطيًّا»، المنشورة في عدد أيّار (مايو)/حزيران (يونيو) ٢٠٠٣ من مجلّة **الشّؤون الخارجيّة** *Foreign Affairs*، ص ٣٦-٥٠]: «إن الحاجةَ الملحّة إلى بناء طبقةٍ متوسّطة في العراق تدعمُ الممارسةَ الدّيمقراطيّة. ولنْ يتمَّ هذا بغير عوْدةِ الكفاءاتِ العراقيّة، المهاجرةِ منها والمُهجّرة. وهنالك حاجةٌ إلى كلّيّات ومعاهدَ لتدريب الموظّفين على الممارسات الدّيمقراطيّة».

أليس ثمّةَ حاجةٌ إلى «مشروع مارشال» جديد؟ إنَّ الديمقراطيّةَ لا تزدهرُ مع الفقْر والحرمان، ولا مع الإقصاء والتّمييز: التّمييز ضدَّ أيِّ فئةٍ أو جماعة أيًّا كانت الأسباب. وآمُل أنْ لا يُهمَّشَ أحدٌ: لا الشّباب ولا النّساء ولا أيّ طائفة.

لعلَّ الطّريقَ الصحيح هو إقامةُ حوارٍ دينيٍّ ومذهبيِّ علنيّ، يساهمُ في بناء ديمقراطيّة أساسها احترام المذهبِ الآخر والدّين الآخر، والإيمان المطلق بأنَّ الدّينَ لله والوطنُ للجميع. عندها سيكونُ الدّينُ أداةَ بناء، وسيكون له قيمةٌ إيجابيّة في تعزيز مجتمعٍ ديمقراطيٍّ يقومُ على «تعظيمِ الجوامع (أي القواسمِ المشتركة) واحترامِ الفروق».

والحديثُ عن «مشروع مارشال» جديد يعيدُنا إلى **فلسطين**. ففي هذه الأجواءِ التي أعادتْ بعضَ الرّجاء والأمل إلى الشّعب الفلسطينيِّ المسحوق وإلينا جميعاً، نذكرُ بالأسى والأسف أنّاتِ الإنسان الفلسطينيِّ على أرضه وحاجتَه حتّى إلى أساسيّات الحياة، بمنأى عن السياسة والمناورات والأجندةِ الخاصة. كذلك نذكرُ القضايا الأساسيّة التي تتجاوزُ الحلولَ «المساحيّة»: قضايا الّلاجئينَ والنّازحين؛ الهجرة المُفزعة للفلسطينيّين من أرضهم إلى الخارج، خصوصاً المسيحيّينَ منهم؛ القدسُ القدس. وكلّها قضايا كبرى ومُلحّة. وعلى ذكرِ القدس، أستعيدُ ما قلتُهُ على صفحات **الأهرام** العزيزة بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٣ بعنوان «يا قدس! يا قدس! أوَ نسيْناكِ يا قدس!» حول ما آلت إليه أوضاعُ الأماكن المقدّسة في زهرة المدائن، وأخطار التّصدُّع والتّهالك التي تتهدّدُ الحرم الشّريف في ظلِّ الإهمال؛ وحول [أقتبس من مقالتي تلك] «أهميّة إيجاد سلطة معنويّة للأماكن المقدّسة تتجاوز المنظورَ التّجريديَّ إلى الناحية العمليّة للأوضاع الحاليّةِ في مدينة القدس. فنحن لا نستطيعُ أنْ نتجاهلَ دورَ الأماكن المقدّسة هناك في تنظيم الفئات الاجتماعيّة المختلفة وتأثيرَ ذلك على التّطورات السياسيّة في المدينة. . . . إنَّ هذه الخصوصيّةَ هي السّمة الرّئيسيّة لمدينة القدس، مدينة الأماكن المقدّسة؛ ومنْ ثمَّ فليس باستطاعة أيِّ سلطةٍ سياسيّة إلا أنْ تعترفَ بحاجتها إلى القيادات الدّينيّة في المدينة لتكونَ وسيطةً بينها وبين المواطنين. وإنَّ شبهَ الاستقلاليّة هذه لمدينة القدس هي الدّافعُ العمليُّ لإيجاد سلطة معنويّة لجميع الأديان المتعلّقة بالأماكن المقدّسة. من هنا، قد يكونُ من المجدي أنْ يشاركَ مجلسٌ دينيٌّ مؤلّفٌ من ممثّلينَ عن الدّيانات الإبراهيميّة الثلاث في إيجاد صيغةٍ توافقيّة تُمكنُ السياسيّين من إيجاد حل عادلٍ للقدس، مدينة السّلام». [انتهى الاقتباس من مقالتي].

ماذا عن **السّودان؟** ألا تغمرُنا مشاعرُ الأملِ والتفاؤل برياح السّلام والتّوافقِ والاتّفاق بين الإخوةِ هناك؟ لكنَّ كلَّ ذلك إنْ هو إلاَّ بداية. فقد حانَ الأوانُ لبناء البيتِ الدّاخليّ في هذا القُطرِ الغالي من أقطارنا. والشّوطُ أمامَنا ما زالَ طويلاً. أفلا نطمعُ في أنْ تتشابكَ الأيادي والقلوبُ بين الأهل في السّودان والأهل في الشّقيقة الكبرى مصر وسائر الأشقّاء العرب؟ لنْ يزدهرَ وادي النّيل إلا بحضور مصرَ الزّاهي والبارز. هذا أوّلاً؛ ومن ثمَّ تأتي الأممُ المتّحدة وغيرُها.

الأخواتُ والإخوة:

بالأمس انتهت اجتماعات بورتوأليغري ودافوس. ولا أظنّ أنّ الخيارَ أمامنا هو من قبيل «إمّا أو». فمع أنّ منتدى بورتوأليغري هو الأقربُ إلى نبْضنا ووجداننا وفؤادنا، فنحن أيضاً جزءٌ من منتدى دافوس. المهمّ أنْ لا نقعَ في شباك الكلام والشّعارات التي لا طائلَ تحتَها، وأنْ ننْضويَ تحت خيمةِ المؤسّساتِ والنّواميس الدوليّة والقيم المشتركة؛ وأنْ نمضيَ قدُماً في محاولاتنا الإصلاحيّة العميقةِ الجادّة. وفي ذلك فلْيتنافس المتنافسون، كلُّ المتنافسين.

ولا يختلف اثنان أنّ حاجةَ إقليمنا إلى الإصلاح العميق على كل الصُعد هي حاجة ماسّة، سواء أكان هذا الإصلاحُ نابعاً من الدّاخل أم من الخارج. فمفهوم «الإصلاح»، الذي رَفعت الولايات المتّحدة شعارَه فيما أسمتْه «الشّرق الأوسط الكبير»، ليس بالمفهوم الغريب عنّا. لقد رُفعت رايةُ الإصلاح داخل منطقتنا منذ القرن التّاسعَ عشر: من المناداة «بالحكومة الدّستوريّة» إلى الدّعوة «لتحرير المرأة» على يد إصلاحيّين روّاد مثل قاسم أمين وخير الدّين التّونسيّ. وطوال القرْن الماضي لم تغب المطالبةُ بالدّيمقراطيّة عن السّاحة العربيّة: من أحمد لطفي السيّد بالقاهرة في أوّل القرن، إلى برهان غليون بباريس في آخره.

فلا تصادمَ بين عمليّة الإصلاح وهُويّتنا؛ ولا تناقضَ بين مبادئ الدّيمقراطيّة وقيَمنا. وقد جدّ المصلحون واجتهدوا منذ رفاعة رافع الطهطاوي، ليس فقط لتبيان أنّ حاجَتنا في الإصلاح هي إلى الاقتباس من الغرب، وإنّما أيضاً لإثبات أنّ الاقتباس **الدروس** من الغرب لا يُهدّد هُويّتنا بل يساهم في إنعاشها. إنّ ما يُهدّدها فعلا هو البقاء على جمودنا في حين يسير غيرُنا إلى الأمام بإيقاع متسارع.

وفي ضَوْء التّحدّيات التي نُواجهها، من فقر ومجاعة وتطرُّف وكوارثَ طبيعيّة وتخلّف واستبداد واحتلال وغيْر ذلك، أخصّ بالذّكر هجرةَ شبابنا وشابّاتنا إلى الخارج، شعورًا منهم بفقدان الفرص أو حتّى انعدامها في بلادهم. وهو أمر كافٍ وحْدَه كي نضعَ قضيّة الإصلاح فوق أيّ همّ آخر. فالهدف من الإصلاح هو بلا شك بناء مقدّرات شعوبنا لتمكينها من التّصدّي للتّحدّيات التي تواجهها؛ أي لتمكينِها من تحرير أرضها، والمشاركة في بناء مستقبلها.

ولا يُمكن الحديث عن الإصلاح وعن الانتقال إلى أوضاع ديمقراطيّة معقولة في منطقتنا دون فهم عميق للحرّيّة: متطلّباتها وشروطها وحدودها ومحدّداتها. والحُرّيّة هي إحدى القيم التّنويريّة في كلّ زمانٍ ومكان، إلى جانب العَقلانيّة والتّقدّم والمساواة الاجتماعيّة. وهذه في جوهرها مبادئ إنسانيّة عالَميّة.

في أجواءِ الحرّيّة، تُمارَسُ الدّيمقراطيّة وتُبنى الذّات عبر حريّة التّعبير عن الرّأي وممارسةِ الإبداع والنّموّ. فتحصلُ التّنمية التي تساهمُ بدوْرها في قيام أنظمة ديمقراطيّة. إنّ التّعاملَ مع التّحدّيات، مثل الفقر والبطالة والأمّيّة والتّطرّف والإرهاب، التي تهدّد الأمن والسلام والاستقرار في جميع أنحاء المعمورة، لا يتمّ إلا بتعميق الدّيمقراطيّة وبناء المؤسّسات الدّيمقراطيّة كي يتمّ توطيد قواعد السّلام والتّنمية.

ولعلّ تحقيقَ التنميةِ وتفعيلَها وتدعيم الاستقرار في منطقتنا يتمُّ بشكل أفضل في إطار إقليميّ؛ الأمر الذي يحقّقُ التنميةَ المشتركةَ ويُسهمُ في تضييق الفجوةِ الآخذةِ في الاتساع بين الجنوبِ والشّمال بسبب النّظام الاقتصاديّ والسياسيّ الدّوْليّ الحالي. نحن بحاجة إلى تفعيل الحوار والتّعاون بين الجنوب والشّمال، وبين الجنوب والجنوب، من أجل عالمٍ أكثرَ عدلاً واستقرارا.

واسْمحوا لي، في هذا السّياق، بأنْ أضعَ أمامكم بعضَ المساهماتِ المتواضعة التي نهضَ بها مؤخرًا وينهضُ بها العبدُ الفقير لله تعالى، بصحبة الخِلّان والإخوان.

* في مائدةٍ مستديرةٍ مشتركة بين منتدى الفكر العربيّ واللّجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغربيّ آسيا (الإسكوا)، عُقدت في بيروت يوم ١٦ كانون الأوّل/ديسمبر الماضي، ناقشنا أهمية القيام بأنشطةٍ عبْر قُطريّة وعبْر إقليميّة وحتى عبْر قاريّة في إطار المشاركة بين الحكومات والمجتمع الأهلي (المدني)، بهدف تطوير الوعي بالتّحديات التي تُواجهها منطقتنا. كما دعونا إلى تأسيس هيئةٍ لمنظمات المجتمع الأهليّ في المنطقة، مماثلةٍ **لهيئة هلسنكي للمواطنين** التي انبثقت في أواخر الثمانينيّات من القرن الماضي وكانت فاعلةً في نقل الأفكار والمقترحات إلى الحكومات والمؤسّسات. كذلك نادينا بإحياء حوار الجنوب-جنوب، جنباً إلى جنب مع حوار الجنوب - شمال، بناءً على جدول أعمالٍ مشترَك قد يتبنّى النقاط الآتية:

- الدّعوة إلى ثقافة حقوق الإنسان، لا سيّما الحقوق السياسيّة والمدنيّة.
- توجيه النّموّ السكّانيّ.
- مكافحة الفقر بكلّ أنواعه.
- تحقيق نموٍّ اقتصاديّ متوازن وقابل للاستدامة.
- تحقيق التّنمية السّياسيّة والحكم الرّشيد.
- التّنمية الاجتماعيّة.
- تأكيد أهميّة «حوار الثّقافات».

* تأخذُنا بعد ذلك خريطةُ طريقنا إلى **الاجتماع الثّالث لمجموعة هلسنكي** الذي سيعقدُ في نيودلهي بعد أسبوع من الآن، يتلوه مباشرةً اجتماع مركز الجنوب. والأملُ أنْ نُناقِشَ في هذيْن الاجتماعيْن سبلاً ووسائلَ جديدة للتّصدّي للمشكلاتِ العالميّة، ولتعزيز التّعاون بين دول الجنوب؛ عسى أنْ نوصيَ بتأسيس منتدى يجْمعُ بين جنوبيّ آسيا وغربيّ آسيا.

* يلي ذلك الندوةُ الفكريّة السنويّة لمنتدى الفكر العربيّ التي ستعقدُ في اليوميْن الأخيريْن من الشّهر الجاري بعنوان **«الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق»**. وما هذه إلاّ حلْقة من حلَقات مشروع كبير يُشغلُنا منذ مدة، نتناولُ به **مفهومَ الوسطيّة** من كلّ الزّوايا.

* وبعْدَ القمّة العربيّة في الجزائر بأيّام، التي نتمنّى أنْ تحييَ الأملَ في النّفوس خصوصًا ضمن المحاولاتِ الإصلاحيّة في وطننا، نعقِدُ في منتدانا «اجتماعا تشاوريًّا» حول استعداداتِنا لمؤتمرنا الثّاني المتعلّق بشبابنا هنا وفي المهجر. يتلو ذلك في أواخر شهر نيسان/إبريل ندوةٌ بين المنتدى ونادي لاهاي حول المهاجرين والمُهجّرين واللّاجئين.

أتوقّفُ هنا عند منتصِف الطّريق لأترحّمَ معكم على ضحايا كارثة العصر، كارثة تسونامي، وما كشفَت وما زالت تكشِفُ من المستورات وخفايا الأمور. ألا تعلّمُنا هذه القارعة أنْ نتمسّكَ بثقافة الوقاية؟ مثلاً، ضمن الموضوعات التي تطرق إليها التّقرير **«هل تكسب الإنسانية معركتها؟»**، الصّادر عن اللّجنة الدّوليّة للقضايا الإنسانيّة العالميّة التي كان لي شرفُ المشاركة في رئاستها، خُطّةٌ استرشاديّة لإدارة الكوارث، وعلى رأسها تلك الكوارث الفوريّة الناتجة عن قوى مُناخيّة أو جيولوجيّة، كالهزّات الأرضيّة، والأمواج المدّيّة، والفيضانات، والانبعاثات البركانيّة، وغيرها. وللأسف، ما زالَ هذا التقرير ينتظرُ الفرج على جدول الأعمال السّنويّ للجمعيّة العمومية للأمم المتّحدة منذ عام ١٩٨٨!

الأخواتُ والإخوة:

قائمةُ الكوارث ليس لها أوّلٌ ولا آخِر، طبيعيّةً كانت أو من صنع الإنسان. لكنّني أدعو - كعادتي دوْما - إلى الرّجاء والأمل، ما دام هنالك إرادة إنسانيّة وقيمٌ إنسانيّة وإيثارٌ وغيريّة.

ما العملُ، إذاً؟

أؤكّدُ أولاً أهمّيّة مفهوم **الشّراكة**. هنالك حاجة إلى شركاء

يعملون معاً؛ أي **يُشبِكون**. فعلى مدى سنين وسنين، عملتُ من أجل وضع التصوّرات الفكريّة، لأنّني أؤمن بقوّة الأفكار. ولعلّ الوقت قد حان لتحويل الفكر إلى استراتيجيّة عمل. علينا أن نرتّبَ الآراء والمقترَحات النيّرة من داخل منطقتنا وخارجها ضمن مصفوفة تؤدّي إلى تطوير استراتيجيّة قائمة على رؤيا. نحن بحاجة إلى مجتمع أهليّ (مدنيّ) متماسك وديناميّ؛ إلى شبكة من دارات الفكر Think tanks. وإنّ المفكّرين العرب بحاجة إلى التّحدّث مع الحكومات. ما نتطلّع إليه هو الأمميّة، واستراتيجيّة مستندة إلى قاعدة عريضة. ولعلّ إنسانيتنا المشتركَة هي الأساس لتعزيز الأمن الإنسانيّ؛ الأمن النّاعم.

وإنّني أغتنمُ هذه الفرصة، من خلال الدّعوة الكريمة التي وجهها إليّ الأخ ابراهيم نافع وإدارة مركزكم الزّاهر، لكي أتقدّمَ باقتراحيْن:

أوّلهما: إيجاد تحالف إقليميّ من أجل التنمية والاستقرار، يستندُ إلى الدبلوماسية العامّة Public diplomacy محلياً وإقليمياً وعالمياً.

وثانيهما: ابتكار شتّى الوسائل من أجل صياغة استراتيجيّة عربيّة للاتصال والتواصل مع الذّات ومع إقليمنا ومع العالم. فهنالك زُهاء ثلاثين فضائية عربيّة، يبدو أنها غير معنيّة بهذا الأمر، بقدر ما هي معنيّة بالترفيه. أتحدّث هنا عن سياسات الشّبكة العنكبوتيّة وفلسفتها ومنطقها، وحتى عن «الشبكة الجوّانيّة» Innernet التي تُعنى بإعمار نفوسنا وذهنيّاتنا، وبإعادة تأهيلنا نفسانيًّا ووجدانيًّا. ولا أنسى أيضاً العمل على مكافحة الأميّة القانونيّة التي نرزح تحتها. أقول: نحن بحاجة إلى مثل هذه الاستراتيجية لإيصال رسالتنا عربياً وعالميا ضمن سياق كليّ Holistic، متداخل النظم (إعلام؛ تربية وتعليم؛ إلى ما هنالك).

ولعلّ مثل هذه الخطة تنسجمُ وتقرير وزارة الدفاع الأمريكية الصادر في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤؛ ذلك التقرير الذي يبدو أنه كان ردّ الإدارة الأمريكية على السؤال الذي طرحته هي نفسها «لماذا يكرهوننا؟». لقد أكد التقرير مفهوم الدبلوماسية العامة المستندة إلى محاولة فهم الرأي العام العالميّ، والتواصل مع شعوب المعمورة، وبناء أسس جديدة للتشريعات اللازمة. ومن أجل تحقيق الأهداف المرجوة، يقترحُ التقرير إنشاء مركز متخصص ينهض بالوظائف الآتية:

- تقديم المعلومات والتحليلات لأصحاب القرار المدنيين والعسكريين، المتعلقة بالأمن القومي الأمريكي، وبدور الثقافة والتقاليد والدين في تشكيل الطبائع الإنسانية؛ إضافة إلى دور الإعلام وتأثيره على الشاهدين والمستمعين ودور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات عموماً.

- القيام بالمبادرات الرامية إلى إنشاء برامج عملية في إطار الاستراتيجية الأمريكية للاتصال والتواصل.

- تشجيع المبادرات غير الحكومية للاتصال والتواصل والتبادل الثقافي؛ مع التقييم المتواصل لهذه المبادرات.

وهكذا ترون أنّ هنالك رنيناً وتناغماً بين ما أقترحه وبين ما تقترحه المبادرة الأمريكية. ألم يحن الأوان لكي تتشابك الأيدي والعقول والقلوب ضمن إطار القانون الإنسانيّ العالميّ الجديد المدرج على جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة لعام ١٩٨٧ والذي عرض مؤخراً بصيغته الجديدة في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي؟

إنّني أدعوكم أيها الأصدقاء إلى المساهمة في هذه الخُطّة/الاستراتيجيّة بأفكاركم ومقترحاتكم النيّرة التي تحول الفكر والأفكار إلى برامج عمل قابلة للتطبيق؛ إلى «تسويق قضايانا» Cause-marketing، أي تسويق **المضامين**. وللحديث صلة بإذنه تعالى.

أحيّيكُمْ؛ وأسلِّمُ عليكم. ■

«نحو خطة اتصال وتواصل مع الذات ومع الإقليم ومع العالم»

مقدم إلى مركز الدّراسات الاستراتيجيّة والسياسيّة/الأهرام

ملخص

الحسن بن طلال

– أؤكّدُ أولاً أهميّة **مفهوم الشّراكة:** هنالك حاجة إلى شركاء يعملون معاً؛ أي **يُشبكون**. ولعلّ الوقت قد حان لتحويل الفكر إلى استراتيجيّة عمل. علينا أن نرتّبَ الآراء والمقترَحات النّيّرة من داخل منطقتنا وخارجها ضمن مصفوفة تؤدّي إلى تطوير استراتيجيّة قائمة على رؤيا. نحن بحاجة إلى مجتمع أهليّ (مدني) متماسك وديناميّ؛ إلى شبكة من دارات الفكر Think tanks. وإنّ المفكّرين العرب بحاجة إلى التّحدّث مع الحكومات. ولعلّ إنسانيتنا المشترَكة هي الأساس لتعزيز الأمن الإنسانيّ؛ الأمن النّاعم.

– لديّ اقتراحان في هذا السياق:

١ – إيجاد تحالف إقليميّ من أجل التنمية والاستقرار، يستندُ إلى الدبلوماسية العامّة Public diplomacy محلياً وإقليمياً وعالمياً.

٢ – ابتكار شتّى الوسائل من أجل صياغة استراتيجيّة عربيّة للاتصال والتواصل مع الذّات ومع إقليمنا ومع العالم. فهنالك زُهاء ثلاثين فضائية عربيّة، يبدو أنها غير معنيّة بهذا الأمر، بقدر ما هي معنيّة بالترفيه. أتحدّث هنا عن سياسات الشّبكة العنكبوتيّة وفلسفتها ومنطقها، وحتى عن «الشبكة الجوّانيّة» Innernet التي تُعنى بإعمار نفوسنا وذهنيّاتنا، وبإعادة تأهيلنا نفسانيًا ووجدانيًا. ولا أنسى أيضاً العمل على مكافحة الأميّة القانونيّة التي نرزح تحتها. أقول: نحن بحاجة إلى مثل هذه الاستراتيجية لإيصال رسالتنا عربياً وعالمياً ضمن سياق كلّيّ Holistic، متداخل النظم (إعلام؛ تربية وتعليم؛ إلى ما هنالك).

– ولعلّ مثل هذه الخُطّة تنسجمُ وتقريرَ وزارة الدّفاع الأمريكيّة الصادر في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤؛ ذلك التقرير الذي يبدو أنه كان ردّ الإدارة الأمريكيّة على السؤال الذي طرحته هي نفسها «لماذا يكرهوننا؟». لقد أكد التقرير مفهوم الدبلوماسية العامة المستندة إلى محاولة فهم الرأي العام العالميّ، والتواصل مع شعوب المعمورة، وبناء أسس جديدة للتشريعات اللازمة. ومن أجل تحقيق الأهداف المرجوة، يقترحُ التقرير إنشاء مركز متخصص.

– وهكذا ترون أنّ هنالك رنيناً وتناغماً بين ما أقترحه وبين ما تقترحه المبادرة الأمريكية. ألم يحن الأوان لكي تتشابك الأيدي والعقول والقلوب ضمن إطار القانون الإنسانيّ العالميّ الجديد المدرج على جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة لعام ١٩٨٧ والذي عرض مؤخراً بصيغته الجديدة في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي؟ المهم «تسويق قضايانا» Cause-marketing؛ أي تسويق **المضامين**.

بمناسبة انعقاد معرض القاهرة الدولي للكتاب السابع والثلاثين

رسالة قصيرة إلى مصر المحروسة *

الحسن بن طلال

هذه رسالة محبّة واعتزاز إلى مصر المحروسة، أرض الكنانة (كنانة الله في أرضه)؛ مصر الأهرامات السرمديّة الأبديّة؛ مصر الأزهر الشّريف والمآذن والقباب؛ مصر **الأهرام والهلال** ومكتبة الإسكندريّة المتجدّدة دوماً؛ مصر نجيب محفوظ والعقّاد والحكيم وطه حسين وأم كلثوم، وسائر العظماء الذين علّمونا؛ مصر المقرّ الراسخ والمعبَر الطيّب؛ مصر الرمز في كلّ زمان ومكان، والمنارة المشعّة علماً وأدباً وفناً وإنسانيّة.

ومع التحيّات، تأتي التّهاني على هذا الحدث الفكريّ الثقافيّ الكبير، محلياً وإقليميًّا وعالميًّا. والمعرض السّابع والثلاثون له رونقٌ خاص. فهو يحلّ علينا في الذكرى المئويّة لنظريّةِ النسبيّة الخاصة لآينشتاين وإنجازاتٍ أخرى له. كما يُصادفُ هذا العام الذكرى الأربعمئة لرائعة ميغيل ثرفانتس **دون كيخوته** ببعدها المتوسطيّ تاريخيًّا وجغرافيًّا، وبثورتها الهادئة؛ والذكرى المئويّة لميلاد يحيى حقي الذي كان يقولُ لابنته نهى على الدّوام: «لو انتزعوا قلبي وعصروهُ لوجدوا كلَّ قطرةٍ في دمي مصريةً عربيةً شرقيّة».

من هنا نبدأ؛ من إنساننا، ومن بيئتنا. فالإنسانُ «أغلى ما نملك حقاً»، كما كان أخي الحسين طيّبَ الله ثراه يقول دوماً؛ والإنسانُ محورُ التنميةِ الشّاملة وركيزتُها وغايتُها. ولا يكون إنطلاقُنا إلى العالميّة إلا من بيئتنا ومحليّتنا. من هنا، فإنّني أُنادي على الدّوام بأنْ نفكّرَ عالميًّا ونعملَ محليًّا. ومن هنا أيضاً، ما فتئت أركّزُ على إطلاق طاقات الفردِ وطاقات الجماعة. ألم يقلْ شاعرُ الأمّة، أبو الطيّب المتنبّي:

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ
فلا تَقْنَعْ بما دونَ النُّجُومِ

وأيضاً:

ذَريني أنلْ ما لا يُنالُ مِنَ العُلى
فَصَعْبُ العُلى في الصّعْبِ والسّهْلُ في السّهْلِ

تُريدينَ لُقيانَ المعالي رخيصةً
ولا بُدّ دونَ الشّهْدِ مِنْ إبَرِ النّحْلِ

لكن كيف يمكنُ لهذه الطّاقات التي تزخرُ بها أمتُنا أنْ تشبَّ عن الطوْق، والأميّةُ ما زالتْ تنْخرُ في بنياننا؟ أعني أميّة الحرفِ والرّقم. ولا داعيَ لأنْ أسوقَ الإحصاءاتِ في هذا المقام؛ فهي تتحدّثُ عن نفسها بنفسها. وهي أميّةٌ تتغلغلُ في كلّ القطاعات والطّبقات، خصوصاً بين الأمّهات. أما الفجوةُ الرقميّة، فحدّث عنها بلا حرَج. ويبقى تحويلُ مجتمعنا إلى **مجتمعِ معرفة** التحدي الأكبر الذي لا بدّ من أنْ نتصدّى له.

ذلك أنّ المعرفة – ولا أقولُ المعلومات – هي أسُّ الأساس لكلّ الخطط والرؤى التنمويّة والنهضويّة. كما أنّها العنصر الجوهريّ في الاقتصاد الجديد والنظام الإنسانيّ الذي نصبو إلى تحقيقه، والذي يركّز على الاستثمار في الرأسمال الإنسانيّ وبناءِ القدرات والموارد البشريّة.

وحتى لا نلهثَ وراء الأحداثِ المتسارعة، فلا خيارَ لنا إلا أنْ نستثمرَ الوقت والمال في شبابنا وشابّاتِنا. وليس هذا مجرد

* نشرت في جريدة **الأهرام** بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢؛ ص١٠.

قولٍ أو شعارٍ أو صرعة؛ وإنما هذا نهجٌ ومنهجٌ وفلسفة عمل بحاجة إلى إرادةٍ سياسيّة وإدارةٍ حكيمة لتوجيه الطّاقات الشّبابيّة الكامنة وتحفيزها وتفجيرها. ولا أنسى هنا الدورَ الذي يُؤمّل أنْ ينهضَ به في هذا المجال وسائر المجالات الحياتيّة المجتمعُ الأهليّ (أو المدني) بكل مؤسّساته.

ألا يعيدُنا ذلك إلى حديث الإصلاح بمعناه الشّامل العريض الذي ينْبَري لظاهرة الحياة بشتّى أطيافها؟ الإصلاحُ العميق الذي يتغلغلُ في الوجدان وينبُع من داخلنا وإرثِنا وبيئتِنا ولغتِنا. الإصلاحُ الذي ينقلُنا من دائرة التأثّر إلى دائرة التّأثير؛ من القوْل إلى الفعل. الإصلاحُ الذي يستندُ إلى الرؤى النّافذة، بعيداً عن الحينيّة التي كبحتْنا وقزّمتْنا وما زالت. الإصلاحُ الذي يرتكزُ على الحكمة، أنّى كانتْ وأنّى جاءتْ، لأنّها ضالةُ المؤمن. هو الإصلاحُ الدّائمُ الخضرةِ الذي يعتمدُ على القوّة الذاتيّة، القوّة الجوّانيّة، التي تسعى لإعادة ترتيبِ بيتِنا الدّاخليّ وتعزيزِ الحوار فيما بيننا قبلَ الحوار بيننا وبين «الآخر».

ألم يحنِ الأوانُ لكيْ تتضافرَ الجهودُ والمساعي لإنتاج خطابٍ عربيٍّ متكامل، قادرٍ على تجاوز «الفكرِ الآنيّ» إلى الفكر الاستراتيجيّ المستقبليّ؟ إلى إحياء إرثِنا النهضويّ الذي يمورُ بمفاهيم التّنويرِ والعقلانيّة والوسطيّة بمفهومها القرآنيّ؟ ألم يحنِ الأوانُ للانتقال من **شخصنة** السّلطة إلى **أنسنة** الدّولة؟ أعْني العمل نحو سياسةٍ من أجل البشر؛ نحو علمٍ من أجل البشر؛ نحو تكنولوجيا من أجل البشر؟ مرة أخرى: إنّه الإنسان؛ الإنسان؛ الإنسان!

وإنّه المستقبل؛ المستقبل؛ المستقبل! فلنا دورٌ في بناء هذا المستقبل عن طريق التّخطيط الواعي وتدبّرِ مختلف السيناريوهات الممكنة. وأهل الذّكرِ في مصرَ المحروسة هم روّادٌ في هذا المجال، مجال «سيناريوهات ٢٠٢٠» (أخي الدكتور اسماعيل صبري عبدالله ورفاقه). وقد انتقلَ هاجسُهم بالمستقبليّات إلى العرب في كلّ مكان. أتحدّث هنا عن طاقات الأمّةِ التي تَهدر تحت السّطح. فلا تغرّنّنا تلك المصائبُ والمحنُ التي تعصفُ بنا من كل حدْب وصوْب. فالخيرُ في الأمّة ما زال قائماً، وإنْ بدا لنا معلّقاً.

وإنْ ننسَ، فلا ننسى المنجَزاتِ والإنجازاتِ والصّروح التي شادَها بنو جلدتِنا في كلّ عصرٍ وأوان، حتى في السّنينَ الأخيرة التي نشيرُ إليها دائماً بأنّها سنواتٌ عِجاف، وهي أبعدُ ما تكون. وحسبُنا ذلك الصّرحُ العظيم، مصدرُ الفخرِ والاعتزاز لمصرَ، رئيساً وشعباً، ولنا جميعاً؛ أعْني هرَمَكم الرابع، مكتبة الإسكندرية. فهي الشّاهدُ الأكبر على إرادة أخي الكبير الرّئيس مبارك، وعلى عزيمة مصرَ الغالية. مكتبةُ الإسكندرية هي ملتقى الشّرقِ والغرب؛ دارةُ فكْرٍ وثقافة؛ منتدى تنوّعٍ وتعدديّة وحوار بين الأندادِ والأقران، فلا غالبَ أو مغلوب على حدّ تعبير ابن خلدون العظيم الذي يحتضنُ رفاتِه ثراكُم الطيّب؛ مكتبة الإسكندرية هي وسطُ العالم من حيث التاريخ والجغرافيا؛ هي التي تختزلُ عبقريةَ مصر، عبقرية الزمان والمكان. ولنذكر بالنفَس ذاته أنه على مرمى الحجر منها، نزهو ونعتز بصرحٍ شامخٍ آخر؛ ألا وهو مدينة مبارك العلميّة المباركة بإذنه تعالى. وعلى ذلك قيسوا.

أستذْكِرُ في هذا المقام تشارلز ديكنز Charles Dickens حين وصَفَ عصرَ الثّورةِ الفرنسيّة بكلماتٍ خالدات في مطلعِ رائعته **قصّة مدينتيْن** *A Tale of Two Cities* (ترجمة عباس محمود العقاد):

«كان أحسنَ الأزْمان، وكانَ أسوأ الأزْمان؛ كانَ عصْرَ الحِكمة، وكان عصْرَ الجَهالة؛ كان عَهْدَ اليقينِ والإيمان، وكان عهْدَ الحَيْرةِ والشّكوك؛ كان أوانَ النّور، وكان أوانَ الظّلام؛ كان ربيعَ الرّجاء، وكان زمهْريرَ القنوط؛ بيْنَ أيدينا كلُّ شيء، وليس بيْن أيدينا شيء قطّ ...».

ألا يَصْدُقُ هذا على عصْرنا المضْطربِ المتأجّج؟ نسألُهُ - سبحانَهُ وتعالى - أن يجعلَهُ عصْرَ حكمةٍ وإيمانٍ ونورٍ ورجاء. أقولُ هذا مرّة أخرى لا من بابِ التّفاؤلِ الساذج؛ وإنّما هذه هي قراءَتي للتّيّارات التي تضجُّ حركةً وبركة في كلّ بقعةٍ من بقاع وطنِنا العربيّ: في فلسطين، والعراق، والسّودان، وغيرها. بذورُ المستقبلِ الواعد متجذّرة في تربتِنا؛ وأمْرُ رعايتها بين أيادينا.

ملفّ خاصّ

النّـــدوة الفكريّـــة السّنويّـــة

لمنتدى الفِكْرِ العربيّ

الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق

المنـامـة - مملكة البحرين

٢٧ - ٢٨ شباط/فبراير ٢٠٠٥

رعى جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك مملكة البحرين، ندوة «الوسطيّة بين التّنظير والتطبيق»، التي عقدها منتدى الفكر العربيّ في الفترة ٢٧-٢٨ شباط/فبراير ٢٠٠٥ في المنامة. وانتدب جلالته الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة، وزير الديوان الملكي، لافتتاح الندوة وإلقاء الكلمة الملكيّة التي كان نصها كما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السموّ الملكي الأخ العزيز الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربيّ؛
أيها الأساتذة الأجلاء والحضور الكرام؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

يسعدنا أن نرحّب بكم بمناسبة اجتماع منتدى الفكر العربيّ في مملكة البحرين في هذه الدورة الفكريّة المهمة، التي اخترتم لمحاورها موضوع **(الوسطيّة بين التنظير والتطبيق)** في حياتنا العربيّة. والوسطيّة حالة من الاعتدال والتوازن دعا إليها ديننا الإسلامي الحنيف ومختلف الرسالات الدينيّة والدعوات الفكريّة عبر العصور لحاجة البشريّة جمعاء إلى صيانة هذا التوازن الذي هو سنّة الله في خلقه: **﴿ولن تجد لسنّة الله تبديلا﴾**.

أيها الإخوة الكرام:

إن الفكر العربيّ بمنظوره الحضاريّ، ومنتداكم الرصين من روّاده، ليس بغريب على البحرين وعلى انفتاحها بالتعليم والتحديث منذ مطلع النهضة، بمضامينه القوميّة والروحيّة والإنسانيّة.

وقد كان لنا مع رئيس منتدى الفكر العربيّ وراعيه سموّ الأمير الأخ الحسن بن طلال مشاركات مبكرة نعتز بها في تأسيسه ومتابعة أنشطته وإسهاماته التي تمثل اليوم معالم بارزة، ومراجع لا غنى عنها من أجل الإصلاح والتنمية العربيّة الشاملة، والتأسيس الفكري الرصين والمسؤول الذي نعتبره من الأسس المهمة في تجنيب أمتنا العربيّة والإسلاميّة مخاطر الفكر المتشدّد المنحرف، وما يجرّه إليها من تعصّب وعنف هما أبعد ما يكونان عن جوهر قيمنا الإسلامية السمحة، وما للأمة من تراث حضاريّ منفتح قوامه احترام الإنسان وحقوقه وتطلّعاته الراقية، وذلك عن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، كما يوجهنا القرآن الكريم.

وإنه ليسرّنا بصفة خاصّة أن تحتضن مملكة البحرين منتدى الفكر العربيّ في إحدى أهمّ ندواته، وقد ارتفع فيها سقف الحريّات السياسيّة والفكريّة، وانفتحت نوافذ الاجتهاد والتحاور بين الجميع، واسترد مجتمعنا المدني عافيته من أجل المزيد من الديمقراطية والتطور الحضاري، في ظلّ مبادىء مشروعنا الإصلاحيّ الشّامل الذي وافق عليه شعب البحرين في الاستفتاء العام على ميثاق العمل الوطني. وإنه لمن محاسن الصدف أن يتزامن اجتماعكم المبارك هذا مع مرور الذكرى السنويّة الرابعة للاستفتاء الشعبي العام على الميثاق هذا الشهر. وهي مناسبة ستبقى حاضرة في وعينا الوطني على امتداد مسيرة الإصلاح التي لن تتوقف، والتي صممنا بالتوافق مع شعبنا الوفيّ على استكمالها في مختلف مجالات الحياة بلا استثناء.

فأهلاً وسهلاً بكم، وعلى الرحب والسعة في جزر الانفتاح على الحضارة... وفي أرض الخلود لتقاليد التسامح والتعايش وحريّة الإنسان وكرامته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

■

كلمة الافتتاح

لسموّ الأمير الحسن بن طلال

(فـــي نقـــاط)

بسْم اللهِ الرّحمن الرّحيم
والصّلاةُ والسّلام على نبيّهِ الأمين
وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ والاهُ أجْمعين

معالي مندوب صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة حفِظَه الله ورعَاه، الأخ الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة؛

أيُّها الجمع الكريم:

السّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه:

١ - مقدّمة:

يُسعدُني أنْ أُحيّي - باسمكم جميعاً - جلالة أخي الكبير الملك حمد بن عيسى آل خليفة على دعوته الكريمة لاستضافةِ منتداه ومنتداكم في هذا الحمى الغالي من وطننا العربيّ الكبير، وعلى كرم الوفادةِ وحُسن الاستقبال. وأُهنئ صاحبَ الجلالة على إنجازاته الباهرة في كلِّ ميدان، وعلى تلك الأجواء الحضاريّة والنّسائم العليلة التي أوجدها برؤاه النّافذة وبحكمته وحصافته. فهذه تُحيي العقولَ والقلوب، وتزرعُ الرجاءَ والأملَ في النّفوس. وإنْ أنسَ، فلا أنسى **أحاديثَه** الماتعةَ الثريّةَ الخيِّرة **في الوعي الوطنيّ**، التي بدأ يُتحف بها الوطن والأمّة، بهدف ترسيخ مفهومِ **المواطنة**، بكل ما تحملُه من إيحاءات وإيماءات ومعانٍ، حول الحقوق والواجبات، وحول الانتماء والإنماء. فهذا زعيمٌ وقائدٌ يقول ويفعل. أدامَه الله وأدامَ بلدَكم العزيز.

٢ - مشروع الوسطية:

ما زال **مشروعُ الوسطيّة**، الذي أطلقتُه منذ مدّة، قائمًا بهمّةِ بعض الإخوان. إنّه مشروعٌ كبير يرمي إلى تناول الوسطيّةِ من كلِّ جوانبها. لكنَّ الأوانَ قد حانَ للتّركيز على الجانب التطبيقيّ للوسطيّة؛ أي استراتيجيّات العمل، التي لا تقلُّ أهميّةً عن الجانب النظريّ.

٣ - بين التنظير والتطبيق:

نعم؛ هنالك فجوةٌ تكبحنا وتقزّمُنا دائماً بين التنظير والتطبيق؛ بين مُثُلنا العليا والواقع المُرّ؛ بين آمالنا العريضة وصدماتِ الحياة. وما انفكّ العبد الفقير لله تعالى يسعى - مع من يسعى - إلى ردمِ هذه الفجوة، وإلى العملِ على أرضِ الواقع وتقديم الأفكار والمقترحات إلى الجهات التي تطلُبُها وتصنعُ القرار وتنفّذُه. هذا ما فعلنا حين تصدينا للقضايا الكبرى، مثل حقوق اللاجئين، ومثل مناهضة العنصريةِ والتمييز بمختلف أنواعه، وقضايا أخرى كثيرة؛ بما فيها ما يُشغِلُ بالكم وبالي في عالمنا المتغير دوماً: العراق، وفلسطين، والسودان، إلى نهاية القائمة.

٤ - العراق وفلسطين والسودان:

• **العراق أولاً؛** عراقنا بكل هُويّاته وتجلّياته. أقولُ «هويّات»، وليس هُويّة؛ على أساس أن هذه الهويات تشكل كلاً لا يتجزّأ. وهذا الكلُّ يشكل التاريخ والجغرافيا والحياة بشتّى مظاهرها وسماتها. أريد أن أقول إنّ بناء دولة ديمقراطية حديثة في العراق مكسب للولايات

المتحدة، قبل أن يكون مكسباً عراقيًا أو عربيًا أو حتى إسلاميًا. فهذا البناء هو ما يكفلُ عدم مجيء أي مقامرٍ ليقفزَ إلى كرسي الحكم، ويذيقَ الشعب مرارة الاستبداد. المطلوب ديمقراطيّة كاملة، وليس انتخابات فقط! وكما قال **عديد وكارن دويشه** [في مقالتهما المهمّة «كيف نبني عراقاً ديمقراطياً»، المنشورة في عدد أيّار (مايو)/حزيران(يونيو) ٢٠٠٣ من مجلّة **الشؤون الخارجية** *Foreign Affairs*، ص ٣٦-٥٠]: «إن الحاجة ملحّة إلى بناء طبقة متوسّطة في العراق تدعمُ الممارسة الدّيمقراطية. ولنْ يتم هذا بغير عودة الكفاءات العراقيّة، المهاجرة منها والمهجرة. وهنالك حاجة إلى كليات ومعاهد لتدريب الموظفين على الممارسات الديمقراطية».

• نأتي إلى **فلسطين**، جرحنا النازف أبداً. فكلما عاد بعض الرجاء إلى الشعب الفلسطيني المسحوق وإلينا جميعاً، عصفت بنا الأحداث وعُدْنا الى المربع الأول. لكن ما دُمنا في صدد الحديثِ عن ردمِ الفجوة بين التنظير والتطبيق، فإننا نذكر بالأسى والأسف أنات الإنسان الفلسطينيّ على أرضه وحاجته حتى إلى أساسيات الحياة، بمنأى عن السياسة والمناورات والأجندة الخاصة. كذلك نذكر القضايا الأساسية التي تتجاوزُ الحلول «المِساحيّة»: قضايا اللاجئين والنازحين؛ الهجرة المفزعة للفلسطينيين من أرضهم إلى الخارج، خصوصاً المسيحيين منهم؛ القدسُ القدس. وكلّها قضايا كُبرى ومُلحة. وعلى ذكر القدس، أشيرُ بألم وغضب إلى ما آلت إليه أوضاع الأماكن المقدسة في زهرة المدائن، وأخطار التصدع والتهالك التي تتهدد الحرم الشريف في ظل الإهمال؛ وإلى أهمية إيجاد سلطةٍ معنوية للأماكن المقدسة تتجاوزِ المنظور التجريدي إلى الناحية العملية للأوضاع الحاليّة في مدينة القدس. فنحن لا نستطيعُ أن نتجاهل دور الأماكن المقدسة هناك في تنظيم الفئات الاجتماعيّة المختلفة وتأثير ذلك على التطورات السّياسيّة في المدينة. والحقّ أننا بحاجة إلى مثل هذه السلطة المعنوية في النجف الأشرف ومكة المكرمة وسائر مُدنِنا المقدسة.

• ماذا عن **السودان**؟ ألا تغمرنا مشاعر الأمل والتفاؤل برياح السّلام والتوافق والاتفاق بين الإخوة هناك؟ كلّ ذلك إنْ هو إلا بداية. فقد حان الأوانُ لبناء البيت الدّاخلي في هذا القُطر الغالي من أقطارنا. والشّوطُ أمامنا ما زال طويلاً.

٤ - إعلان باندونغ بمبادئه العشْرة:

أقولُ هذا ونحن نحتفلُ هذه الأيام بالذّكرى الأربعين لمؤتمر باندونغ الذي أسفرَ عن إطلاقِ «مبادىء باندونغ العشرة» وعن ولادة حركةِ عدم الانحياز.

مبادئ باندونغ العشرة:

١ - احترام الحقوق الأوليّة للإنسان، كما هو مدرجٌ في ميثاق الأمم المتّحدة.

٢ - احترام حقّ السّيادة للدّول على جميع الأراضي.

٣ - الاعتراف بمساواة جميعِ الأعراق والأمم بصرف النّظر عن كبرها وصغرها.

٤ - عدم التّدخل في الشّؤون الدّاخليّة للدّول.

٥ - احترام حقّ الدّولِ في الدّفاع عن نفسها سواء بشكلٍ فرديّ أو جماعيّ، كما هو مدرج في ميثاق الأمم المتّحدة.

٦ - :

أ) عدم الانتماء إلى الأحلاف الجماعيّة التي تحفظُ مصالحَ الدّول العظمى.

ب) عدم ممارسة الضّغوط من أيّ دولةٍ ضدّ دولةٍ أخرى.

٧ - الامتناع عن التّهديد باستخدام القوّةِ ضدّ وحدة الأراضي أو ضدّ الاستقلال السياسيّ للدّول.

٨ - حلّ النزاعات بالطرق السلميّة (المفاوضات؛ الاتّفاق؛ الوساطة؛ التّحكيم، وغير ذلك)، كما هو مدرج في ميثاق الأمم المتّحدة.

٩ - تقوية المصالح والتّعاون المتبادل.

١٠ - احترام المعاهدات الدّوليّة.

٥ - التّعاون عبْر القطريّ وعبْر الإقليميّ:

بروح باندونغ هذه، أدعو إلى العمل عبْر القطريّ وعبْر الإقليميّ وحتى عبْر القارّيّ. أتحدّثُ هنا عن التّفكير عالميًّا والعمل محليًّا؛ كما أميّزُ بين الديمقراطيّة التّشاركيّة والديمقراطيّة الاقتصاديّة. كذلك أدعو إلى تفعيل الحوار والتّعاون، ليس فقط بيْن الجنوبِ والشّمال، وإنّما أيضًا بيْن الجنوب والجنوب.

• بعض الأمثلة على هذا التّفكير:

SACEPS - التي تهدفُ، كما تعلمون، إلى التّرويج للتّعاون الإقليميّ بين الدّولِ الأعضاء في رابطة الجنوب آسيويّة للتّعاون الإقليميّ SAARC في مجال البحوثِ التنمويّة ودراساتِ السّياسات.

*** SPIKE (South-south Portal for Information, Knowledge & Empowerment)**

هذه أحدُ مكوّنات برنامج عملِ مركز الجنوب. وهو أداةٌ لوضع الإنترنت في خدمة تعاونِ الجنوب -جنوب، بما في ذلك مشاركة المعلومات بيْن شعوبِ الجنوب، ودعم مُختلِف الأنشطة التي ينهضُ بها مركزُ الجنوب.

أولويات برنامج عمل مركز الجنوب:

- التّجارة والتّنمية، مع التّركيز على منظّمة التّجارة العالميّة WTO.
- الحاكميّة الكونيّة، وتعدّديّة الأطراف، وإصلاح نظام الأمم المتّحدة.
- الملكيّة الفكريّة والتّنمية، خاصّة الصّحة والغذاء.
- العلم والتكنولوجيا، والمعرفة، والتّنمية.
- النّظام النقديّ والماليّ العالميّ والتّنمية.
- التّنمية المستدامة.

- TREC (منظّمة التّعاون عبْر المتوسّط للطاقة المتجدّدة):

هذه نموذجٌ للتّعاون الإقليميّ بين الدول. فهي شبكة من العلماء والسّياسيين والخبراء في حقل الطاقات المتجدّدة والتّنمية. وتهدفُ إلى زيادة الوعي لدى صانعي القرار في مجال السّياسة والاقتصاد بضرورة استعمال الطاقة المتجدّدة وفرصها ومنافعها للتّعاونِ السلميّ.

- ECOSOC (United Nations Economic and Social Council):

وهذا نموذج آخر. لكنه بحاجةٍ إلى تفعيل؛ كأن يلتقي رؤساء الحكومات دوريًّا للتحاور حول أقاليم غرب آسيا وشمال إفريقيا بدلالة المؤسسات.

- الإسكوا:

في إطار تعميق التّعاون الإقليميّ، أشيرُ أيضاً إلى جهود اللجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغرب آسيا (الإسكوا)، ومديرها التنفيذي دة. ميرفت تلاوي، في تحقيق التّنمية وتفعيلها وتدعيم الاستقرار في منطقتنا.

- مجلس التعاون الخليجي والاتحاد المغاربي:

كما أشيدُ هنا بإنجازات هذا المجْلس وذاك الاتّحاد، خصوصاً من حيثُ تحقيقُ التكامل بين الدول ذات الموارد النفطيّة والدول ذات الموارد البشريّة، بمنظورٍ عبْر قطري لتطوير المنافع الإقليمية Regional commons لتنسجم مع الأجندة الدولية Global commons.

- الحوار العربيّ الإفريقيّ:

وهذا حوارٌ آخر حان وقته. وننوي في المنتدى استئنافهُ

بإذنه تعالى في نهاية هذا العام في الخرطوم (عاصمة الثقافة العربية للعام ٢٠٠٥).

- سيرورة برشلونة:

كذلك يصادفُ هذا العام الذكرى العاشرة لمؤتمر برشلونة، الذي انطلقتْ في أعقابه سيرورةُ (عملية) أوروبا المتوسطيّة؛ «سيرورة برشلونة». فهذه السّنة هي السّنة المتوسطيّة، «برشلونة +١٠».

٦ - دور المجتمع الأهليّ (المدني):

هنا تأتي أهميّة **مؤسسات المجتمع الأهليّ (المدني)** ودوْرها الفاعل في نقل الأفكار والمقترحات إلى الحكومات والمؤسسات. (أستذكرُ في هذا السياق **سيرورة هلسنكي** بكل أبعادها.) كما أشير إلى اجتماع **«مجموعة هلسنكي: العولمة والديمقراطية»**، الذي عقد في نيودلهي قبل أسبوعين، والذي نوقشت فيه استراتيجيّات جديدة لمعالجة المشكلات الكونية.

ولكي ينهضَ الأفرادُ والمنظّمات معًا بدورهم المنشود، هنالك حاجة إلى محو الأميّة القانونيّة السائدة بيننا: علينا أنْ نعرفَ حقوقَنا ومسؤولياتِنا. ولا يمكنُ هنا تجاهلُ دور المفكّرين العرب في مخاطبة الحكومات. كما لا بد من التّشبيك مع المبادرات المتعدّدةِ الأطراف، إقليميًّا وعالميًّا، مثل: APEC وASEAN وOIC.

وآمُل أنْ يتم في القمة العربية القادمة في الجزائر تشكيل لجنة من أجل التقريب بين الشعوب العربيّة والإسلاميّة بما يعكس عملاً مؤسّسياً.

٧ - المسار واحد ونصف: Track I $^1/_2$

أقترحُ هذا المسار، بين المسارِ الأول Track I والمسار الثاني Track II، ليجمعَ بين الدّور الرسميّ (الحكومي) وغير الرسميّ في آن معا. مرة أخرى، هذه دعوة إلى **الشّراكة والتّشبيك** بين الأطراف المعنيّة.

- ما العمل؟

١) تجديد الأسلوبية:
في مخاطبة الذّات والآخر.

٢) منتدى آسيوي إفريقي (AAF):

دعوتُ مؤخرًا إلى تأسيس مثلِ هذا المنتدى بحيث يندرجُ تحته:
- تطوير فكرة هُويّة آسيويّة إسلاميّة تمتدّ من القاهرة إلى كلكتا.
- التركيز على علاقة العرب بالعجم، من ناحية التاريخ والتراث.
- التقريب بين المذاهب. وهنا أُشيدُ بقرار جلالة أخي الملك حمد تشكيلَ **لجنة للحوار السنّي الشيعيّ**. فهذهِ من شأنِها أن توثق العُرى بيننا، وتعمل على تماسُكِ نسيجنا الإسلامي وتعزيزه في التعامل مع قضايا العصر، وفي إصدار الفتاوى، وفي الهدايةِ والإرشاد عموماً.

٣) منتدى دولي للعدل والعدالة:

أدعو اليوم إلى تأسيس منتدى كهذا، قائم على الشفافيّة والمحاسبة، وَفقًا لمبادىء باندونغ وسواها.

٤) درء الخطر النووي وأسلحة الدمار الشامل:

أُحيّي دعوتي السابقة إلى تأسيس **مركز إقليميّ لتجنّب الأزمات**. فمثل هذا المركز قد يسعى إلى إخلاء مِنطقتنا من هذه الأسلحة.

٥) وكالة الغوث العربي الإسلامي:

وهذه دعوة أخرى أطلقُها إلى إقامة وكالة للغوث العربيّ الإسلاميّ، تعمل على ترسيخ الغيريّة والسلطة الأخلاقيّة

والكرامة الإنسانيّة لدى الأمة. إنشاء مثل هذه الوكالة أصبحَ أكثر أهمية بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، التي أدّت إلى وضع حظر على الأعمال الخيريّة الإسلاميّة تحت عنوان «تجفيف منابع الإرهاب». تأملوا! نحن نشكل ١,٥ بليون إرهابي!!

أتساءلُ هنا: كيف نغيّرُ من أنماط إنفاقنا، وكيف نفعّلُ رصيد الصناديق العربيّة والإسلاميّة ومدّخراتها، لتعزيز **الطبقة المتوسّطة** في مجتمعاتنا؛ أي الأغلبية المفكّرة أو العاقلة (ولا أقول الصامتة)؟ ففي غياب مصادر التمويل بدأتْ هذه الطبقة في الاضمحلال بطرقٍ عدة، بما في ذلك الهجرة والاغتراب ونزف الأدمغة. كل هذه العوامل تتفاقم وتتضخّم بين النشء والنّسوة.

٨) مبادىء الحاكميّة والإدارة الرّشيدة:

- الاعتراف بسيادة المواطنين.
- ضبط النموّ السكانيّ.
- تحقيق نماء اقتصاديّ يقوم على العدْل والإنصاف.
- إعادة هيكلة المؤسّسات.
- التنمية الاجتماعيّة.
- «تعظيم الجوامع (القواسم المشتركة) واحترام الفروق».

٩) نحو استراتيجية للاتّصال والتّواصل والدبلوماسيّة العامّة:

إنّ صياغةَ مثل هذه الاستراتيجيّة، التي دعوت إليها مؤخرا في القاهرة العزيزة، وتطويرها وإخراجها إلى حيِّز التطبيق، يشملُ جوانبَ عدّة: تعليميّة، وتربويّة، وإعلاميّة، وغيرها. مثلا، ألمْ يحنِ الوقت للقنوات الفضائيّة للقيام بدورٍ فاعلٍ في نشر ثقافة الاتّصال مع الذّات ومع العالم، عن طريق العنايةِ بالبعديْن الثقافيّ والإنسانيّ، وليس فقط بالجانب الترفيهيّ؟ وكما أنّ الإنترنت هي شبكة الاتّصال والتّواصل محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا، فإنّني أدعو إلى الاهتمام بما أسميه **«الشّبكة الجوّانيّة»** Innernet، التي من شأنها أنْ تُعنى بعَلاقة الفرد مع نفسِه، وبإعمار الأنفُس والذهنيّات.

١٠) القانون الإنسانيّ العالميّ الجديد:

هذه دعوة للعمل سويًا على تحقيق هذه الاستراتيجية ضمن إطار **القانون الإنسانيّ العالميّ الجديد**، الذي سعيْتُ إلى إدراجه على جدول الجمعيّة العموميّة للأمم المتّحدة عام ١٩٨٧. ومنذ ذلك الحين حتى تشرين الثاني/نوفمبر الماضي وهو يُعرضُ بصورة متجدّدة. وهي دعوة إلى «تسويق قضايانا» Cause-marketing؛ أي تسويق **المضامين**.

١١) مبادرة خطة مارشال العالمية: عقد كونيّ

(Global Marshall Plan Initiative: A Planetary Contract):

كذلك أذكّر بهذه المبادرة التي اقتُرحت بروح نادي روما والتي تنسجم مع فلسفتنا الدّاعية إلى نظامٍ عالميٍّ مبنيّ على التعاون والشراكة، في مواجهة تحدّيات الفقر وتدهور البيئة وعدم الاستقرار الاجتماعيّ.

١٢) خاتمة:

بكلمة موجزة، هذه دعوتي إلى جمهرة المواطنين في كل مكان إلى صنع مستقبلهم، مستقبلنا، **بالاعتدال المستنير**، أي **الوسطيّة**، فكرًا ونهجًا ودستور أخلاقٍ وممارسة.

أحيّيكُمْ؛ وأُسَلِّم عليكم،،

■

ملخّص كلمة سموّ الأمير الحسن بن طلال

لقد نال الجانب الفكريّ للوسطية - وسينالُ في ندوتنا هذه - حظاً وافراً من التأمّل والتدبّر والنّقاش. وما زال **مشروع الوسطيّة**، الذي أطلقهُ كاتب هذه السطور منذ مدة، قائماً بهمّة بعض الإخوان. وهو مشروع كبير يهدف إلى تناول الوسطيّة من كل جوانبها.

لكن حان الأوانُ للتركيز على الجانب التطبيقيّ للوسطية؛ أي استراتيجيّات العمل، التي لا تقلّ أهميّة عن الجانب النظري. نعم؛ هنالك فجوة بين التنظير والتطبيق؛ بين مُثُلنا العليا وأرضيّة الواقع. فحبّذا لو انطلقنا من تلك الأرضية، مقدّمين الأفكار والمقترحات إلى الجهات التي تطلبها وتسعى إليها.

أقول هذا ونحن ما زلنا نتصدّى لمعضلاتنا الكبرى في العراق وفلسطين وسائر أرجاء وطننا العربيّ.

وأقول هذا ونحن نحتفل هذه الأيام بالذكرى الأربعين لمؤتمر باندونغ، الذي أسفر عن إطلاق مبادئ باندونغ العشرة وعن ولادة حركة عدم الانحياز؛ وبالذكرى العاشرة لمؤتمر برشلونة، الذي انطلقت في أعقابِهِ سيرورة (عملّية) أوروبا المتوسطية، **«سيرورة برشلونة»**. فهذه السنة هي سنة المتوسطيّة، «برشلونة+١٠».

انطلاقاً من هذه المناسبات وإيحاءاتها، أنادي بتطوير **استراتيجية للاتصالات والتواصل** لإيصال رسالتنا إقليمياً وعالميًا. فهذه دعوة إلى تعزيز **الدبلوماسية العامة**؛ وتعميق الحوار البناء فيما بيننا من جهة، وبيننا وبين «الآخر» من جهة أخرى؛ وترسيخ **ثقافة السلام**. وهي دعوة إلى **الشراكة والتشبيك، وإلى التعاون** بشتى أنواعه.

هنا تأتي أهمية **موسسات المجتمع الأهلي (المدني)** ودورها الفاعل في نقل الأفكار والمقترحات الى الحكومات والمؤسسات. (أستذكر في هذا السياق **سيرورة هلسنكي** بكل أبعادها). ولكي ينهض الأفراد والمنظمات معًا بدورهم المنشود، فهنالك حاجة الى محو الأميّة القانونيّة السائدة بيننا: علينا أن نعرف حقوقنا ومسؤولياتنا. ولا يمكن هنا تجاهل دور المفكّرين العرب في مخاطبة الحكومات.

إن صياغة استراتيجية للاتصال والتواصل والدبلوماسية العامة وتطويرها وإخراجها إلى حيز التطبيق يشمل جوانبَ عدّة: تعليميّة، وتربويّة، وإعلاميّة، وغيرها. مثلاً، ألم يحن الوقت للقنوات الفضائية للقيام بدور فاعل في نشر ثقافة الاتصال مع الذات ومع العالم، عن طريق العناية بالبعديْن الثقافي والإنساني، وليس فقط بالجانب الترفيهي؟ وكما أنّ الانترنت هي شبكة الاتصال والتواصل محلياً وإقليميا وعالميًا، فإنني أدعو إلى الاهتمام بما أسميه «الشّبكة الجَوّانية» Innernet، التي من شأنها أن تُعنى بعلاقة الفرد مع نفسه، وبإعمار الأنفس والذهنيّات.

هذه دعوة للعمل سويًا على تحقيق هذه الاستراتيجية ضمن إطار **القانون الإنساني العالمي الجديد**، الذي سعيت إلى إدراجه على جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام ١٩٨٧. ومنذ ذلك الحين حتى تشرين الثاني/نوفمبر الماضي وهو يُعرض بصورة متجدّدة.

وهي دعوة أيضاً للعمل على إعمار النفوس إنسانيًا، وليس فقط ماديًّا. أفلم يحن الأوان لتأكيد قيم الغيريّة والسّلطة الأخلاقيّة والكرامة الإنسانيّة؟ إلى إنشاء وكالة للغوث العربيّ الإسلاميّ؟ إلى «تسويق قضايانا» Cause-marketing؛ أي تسويق **المضامين**؟ إلى تعزيز اللجنة التي شكّلها جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة للحوار السنّيّ الشيعيّ؛ فتكون بذلك القدوة والأمثولة لنا جميعاً في التقريب بين المذاهب وإصدار الفتاوى، وفي الهداية والإرشاد؟ إلى تأسيس **منتدى دولي للعدل والعدالة** قائم على الشفافيّة والمحاسبة، وَفْقًا لمبادئ باندونغ وسواها؟

هذا غيضٌ من فيض؛ وللحديث صلة بإذنهِ تعالى. ■

... وسموّه يكرّم كبار المتبرّعين للمنتدى



سموّه يكرّم الشيخة الدكتورة سعاد الصبّاح



... والسيد محمّد علي النقي



... والسيد زهير خوري

جلسة العمل الأولى

الأحد ٢٠٠٥/٢/٢٧

ورقـــة رئيسـيّـة

«الوسطيّة : المفاهيم والأفكار»

الباحث : الأستاذ الدّكتور طيّب تيزيني *

الوسطية مصطلح ينتمي ، خصوصا ، إلى الدراسات المنطقية والفلسفية والاجتماعية والقيمية والدينية والسياسية. وهذا يعني أنه ينتمي كذلك إلى حقول أخرى من الدراسات ، منها النفسية والإناسية (الأنثروبولوجية) والطباعية. ومن ثم، فهو مصطلح **تخومي ومركّب**.

تظهر الوسطية بمثابة منهج يمثّل **حكم وجود** . فهي تقوم على الجمع الانتقائي، أو على التوحيد أو التلفيق بين عناصر متحدرة من مرجعيات متعددة، على نحو يُنتج بينها علاقة ذات طابع تضايفي وتكاملي ، بقدر معيّن . كما تظهر بمثابة منهج يمثل **حكم قيمة** . وفي هذه الحال، تفصح الفضيلة عن نفسها مع نقيضها (اي الرذيلة) وما بينهما من حيث هي جميعا عناصر مهمة في موضوع البحث القيمي.

وينضاف إلى ذلك أن الوسطية قط تكوّن **هُوية** أمة أو شعب، أو وجهاً من أوجه هذه الهوية ، التي يحدث إجماع عمومي عليها من قِبل هاتين الكتلتين البشريتين؛ **فيتوحد** أفراد كل منهما في ما يجمع بينهم ، **ولا يُطيحون بما لا يوحّد** أو لا يجمع بينهم. وفي هذه الحال، تبرز إمكانية الحفاظ على ذلك الذي لا يوحّد أو لا يجمع بصفته **حوافز مفتوحة** لحوار سلمي ساخن أو مرن مفتوح بين الجميع. وغالباً ما يكون الذي لا يوحّد الناس أو الذي لا يجمع بينهم، مندرجاً في **الخصوصيات النسبية**، التي تحوز عليها الفئات والطبقات والشرائح والوحدات الاجتماعية في نطاق الأمة أو الشعب. ومن شأن ذلك أن يفضي إلى القول بأن الوسطية هي – في هذا الاعتبار– أحد المحاور المركزية في مفهوم **«العقد الاجتماعي»** ، وكذلك في مفهوم **«التعددية»**.

فإذا كان المفهوم الأول من المفهومين السابقين يعبر عن **وضعية** العلاقة بين الناس في مجتمع معين، فإن المفهوم الثاني يضبط إحدى أهم **الآليات** الناظمة لهذه العلاقة. في العقد الاجتماعي تُفصح عن نفسها مجموعة من المقولات القائمة على التشارط والتضايف فيما بينها (مثل الحرية والاختيار والوعي التاريخي والمسؤولية والإرادة الخاصة والعامة، إلخ). أما في التعددية فتبرز مقولات المشاركة، والنّدية، والتسامح، والإقرار بحقّي الاختلاف والاتفاق باعتدال، وبحق التعبير عن ذلك في مؤسسات رسمية وشعبية (مدنية وسياسية) . إلى هذا ، تؤسس التعددية فضاء مثمرا **لإطلاق حوار** جدّي بين الأطراف المقيمة في المجتمع المعني (العربي) كلها من ناحية، وبينها وبين الأطراف الخارجية من ناحية أخرى. إنه - بصيغة أخرى - حوار **مع الذات في الداخل** ، **ومع الآخر** (بالمصطلح السوسيولوجي)، أو الموضوع (بالمصطلح الفلسفي)، **في الخارج** . ويتسع معنى الفريقين ومستواهما عمقاً وسطحاً حين نحللهما ونفككهما بحيث يبدو الداخل أمام **نفسه** وأمام **غيره** بنيةً

* أستاذ الفلسفة/ قسم علم الاجتماع؛ جامعة دمشق .

مركّبة من فئات وطبقات وشرائح ووحدات وأفراد لا يجوز لطرف منها **أن يختزل** الأطراف الأخرى، وبحيث يبدو الخارج أمام نفسه وأمام غيره، كذلك، بنيةً مركّبة من فئات وطبقات وشرائح ووحدات وأفراد لا يجوز لطرف منها أن يختزل الأطراف الأخرى. وهذا من شأنه أن يفتح **حقولا متعددة** للحوار تمثل هي ذاتها **خيارات ثقافية وسياسية وأخلاقية** ذات أهمية خاصة على صعيد التعامل بين الفرقاء المذكورين، منفردين ومجتمعين، بوصفهم شعوبا وأمما وحضارات، وغير ذلك.

هذا، أولا، فيما يتصل بالتعددية. أما الوجه الآخر فيها - وهو ذو بعد بنائي بمنظور التقدم الاجتماعي أو التحفيز عليه - فيقوم على أن ما قد يكون عالقا بهذا الطرف الحواري أو ذاك من **مظاهر التشدد** والتوتر والانغلاق والتعصب يمكن التغلب عليه وتجاوزه أو إضعافه أو، على الأقل، تحويله إلى موضوع **سجالي مفتوح** عبر إطلاق حوار منضبط بثلاثة ضوابط. أما هذه فهي الإقرار بالاختلاف بين الأطراف المذكورة سابقا أولا، وبأن هذا الاختلاف قد يتحول إلى **خلاف** على صعيد أو آخر ثانيا، وبأن **الحوار** المتسم بالموضوعية والشفافية والعقلانية والاحترام المتبادل هو أهم طريق للتقريب بين المختلفين من طرف، وللتعامل مع عناصر الخلاف على نحو مثمر وفاعل وبنّاء **وفق معايير التقدم** الاجتماعي، من طرف آخر.

في ضوء ذلك كله - وهو ذو بعد معرفي تأسيسي، أي إبيستيمولوجي- تتضح الوسطية **باعتبارها منهجاً** يسعى إلى إقامة علاقة بين طرفين أو أكثر من طرفين بهدف استنباط طرف ثالث يكون حصيلة تلك الأطراف **كلها** أولا، ودون أن يُختزل إلى واحد منها ثانياً، ويحقق مطلباً في **التوازن** بينها وفي تماسكها ثالثاً، إضافة إلى السّعي لإظهار **العناصر** التي لا تُدخل في ذلك الطرف الثالث بغية توظيفها إيجابيا **على نحو** لا تُعاقُ فيه العملية رابعاً.

أتينا - فيما سبق - على الحقل الذي تنتمي إليه مفاهيم «الوسطية» وحيثيات الفكرية. وقد أبرزنا فيه ما يتصل بالبناء **المنطقي والنظري** الفكري. وهو - كما لوحظ- حقل تأسيسي ينبغي الشغل عليه في أوساط الفكر العربي بمزيد من العمق، وبكيفية استراتيجية تستجيب لاحتياجات الوضعية العربية المشخَّصة الراهنة. ولتحقيق ما هو ضروري من هذه الاستجابة العربية المشخصة، تبرز أهمية البحث في **الحامل الاجتماعي والثقافي** للمفهوم الذي نحن الآن بصدده، وهو الوسطية. وهنا، في ضوء علم الاجتماع المعرفي والسياسي، نشير إلى أن **الفئات الوسطى** عموما وخصوصا هي هذا الحامل، بوصفها مُنتجا للثقافة والسياسة (وللمؤسسات الثقافية والسياسية عبر أقنية وأطراف أخرى تتحدر من أعلى المجتمع خصوصا، كما من قاعه على نحو العموم). ويكمن وراء ذلك أنها فئات **ميسورة** اقتصاديا **ومستنيرة** عقلياً **وفاعلة** سياسياً بكيفية دينامية. وحيث يكون الأمر كذلك، فإن مجموعة من **الاستحقاقات** السوسيواقتصادية والسياسية والحقوقية والأخلاقية القيمية خصوصا تغدو في مقدمة ما يتعيّن على المجتمع أن ينجزه كي يجعل من «الوسطية» **ناظما منهجياً وسلوكاً عملياً** للأفراد والمجموعات، التي يقوم عليها.

وإذا لاحظنا أن الفئات الوسطى قد أُرغمت على التفكك في معظم المجتمع العربي بفعل عملية الإفقار الاقتصادي والإذلال السياسي والإقصاء الثقافي وغيره فيه، فإننا سنضع يدنا على أن تلك الاستحقاقات تمثّل المدخل إلى إعادة بناء المجتمعات العربية، ومن ضمنها فئاتها الوسطى. ويلاحظ أن تلك العملية المركّبة من الإفقار والإذلال والتهميش أفضت إلى نتائج بنيوية خطيرة تمثلت في زعزعة العلاقات المجتمعية بين السياسة

والاقتصاد والتعليم والثقافة والقضاء والقيم وغيرها. وأدّى هذا بدوره إلى إنتاج حالة **تطرفية** ظلامية - **هي عكس الوسطية ونقيضها** - ترفض الاختلاف والخلاف والتعددية في النسق الواحد (الإسلام هنا نموذجا)، وبين هذا النسق والأنساق الأخرى. وهذه التطرفية تدين كل وسائل الفعل المجتمعي، الذي يحتكم إلى العقل والحرية والتعددية والتاريخ، لتؤكد على أن طريقا **واحداً** للخلاص **هو ما تجسّده** هي وحدها.

ولما كان للوسطية مرجعياتها وبواعثها المتمثلة في الوضعية الاقتصادية والسوسيوثقافية والمعرفية، كما أتينا عليها فيما سبق، فان غيابها من مجتمع ما - وهو في هذه الحال المجتمع العربي الإسلامي- غيابا كليا أو جزئيا يجد، هو كذلك، مرجعياته وبواعثه. وهذه الأخيرة هي نقيض تلك المؤسّسة للوسطية. وهنا نضع يدنا على كون المفهومين المعنييّن **(الوسطية والتطرفيّة)** حالتين اثنتين لا يمكن لإحداهما أن توجد **إلا إذا** انتفت الثانية. فهما حالتان متناقضتان بالاعتبارات المنطقية والفلسفية والاجتماعية والقيمية والسياسية والدينية وغيرها، وكذلك متضادتان. أي أنهما تأتيان على **طرفي نقيض وتضادّ**، بالاعتبار الإبيستيمولوجي القطعي؛ فلا تحتمل الواحدة منهما الأخرى ؛ مع الإشارة إلى أن أولاهما **يمكن** أن تحتمل الثانية **إذا** ظلت هذه الأخيرة رهن الخيار السلمي في موقفها من الثانية. لكنها إذ تقوم على خيار الرفض والإدانة للتعددية في **النسق الواحد** (الإسلامي) **كما بين** هذا النسق والأنساق الأخرى، وعلى خيار التكفير وشهْر السيف، فإنها تخرج **من** دائرة «العقد الإجتماعي» و «التعددية» **وعليهما**؛ معلنة أنها هي وحدها ما يمثل «الفرقة الناجية» وما يجسدها نظرا وسلوكا.

أخيرا، من أجل مقاربة أكثر دقة وعمقاً لكلا المفهومين (الوسطية والتطرفية)، من المهم، بل الحاسم، أن تضبط المرجعيات والمصدريات الكبرى، التي تؤسس للمفهوم الثاني (وتدخل في بنيته خصائص وسمات أتينا على بعضها، مثل التشدد والتعصب والجهل ورفض المساواة وحقوق الإنسان والدعوة إلى العنف والاحتراب، إلخ...). وهذه المرجعيات والمصدريات ذات شقين كبيرين: واحد **معرفي** وآخر **اجتماعي**. أما ثانيهما فيتمثل في التنكّر للاستحقاقات والمطالب الأساسية للمجتمعات العربية الإسلامية (والبحث هنا يتحدد بهذه المجتمعات)، بل في الإمعان في تغييبها ورفضها من دائرة المهمات المنوطة بالنظم العربية المعنية. ويتصل الأمر فيما يطرح نفسه الآن، بإلحاح خاص، تحت مصطلح **«الإصلاح والتغيير»** العربي الإسلامي. ويظهر ذلك خصوصا في رفض تلك النظم الاستقواء بشعوبها، وفي تفضيلها الاستقواء بالخارج على هذه الشعوب. ولعل في مقدمة ذلك أن تكون الملفات الآتية في أولوياته الاستراتيجية الحاسمة:

١ - الملف المادي؛ ويقوم على توزيع عادل للثروة العامة وعلى نحو يُفضي إلى الكفاية المادية والتحرر، بقدر أولي، من أسر الحاجات المادية.

٢- الملف السياسي ؛ ويتمثل في تحقيق مشاركة حقيقية وفاعلة لكل من ينتمي إلى الوطن في تدبير شؤونه السياسية عبر آليات ديموقراطية خاضعة للمراقبة والمساءلة، إضافة إلى ثقافة الحوار الحر.

٣ - الملف الثقافي؛ وتناط به مهمات نشر ثقافة التنوير والحوار والندية والمساواة ومواجهة مصادر الظلامية الثقافية في مفاصلها الكبرى: التعصب والتشدد ورفض الغير والانعزالية والإستئثار بالحقيقة، وغيره.

٤ - الملف الحقوقي ؛ وتكمن وظائفه، أولاً بأول، في التأسيس لمبادئ المساواة بين الحاكم والمحكوم،

والسلطة والشعب، والمرأة والرجل، ورفض مبدأ الاستثناء في مساءلة أي شخص في الدولة والمجتمع، واستقلال القضاء، وفاعليته، وضبط ذلك كله بمؤسسات شرعية ومنظومات حقوقية مُلزمة.

٥ - **الملف القيمي**؛ ويقوم على التحفيز المنظم على إنتاج وتعميم قيم الكرامة، والعمل الشريف، والاحترام، والتضامن بين الناس، والمعرفة، وحقوق الإنسان، والتسامح، والاحتكام إلى آليات سلمية ومنفتحة في الحوار والسجال وفض الخلافات والنزاعات.

بعبارة إجمالية أخيرة، يمكن القول إن الوسطية والتطرفية كلتيهما نتاج فعل بشري مجتمعي، **وليستا حالتين «فطريتين»** في حياة الناس؛ مما يطرح على بساط البحث العلمي أسئلة كبيرة حول نشأتهما وتعمقهما أو تضاؤلهما وفق الظروف **المجتمعية والتاريخية** . وها هنا تبرز استحقاقات البحث العلمي **أمام الباحثين والسياسيين** والمثقفين في المجتمعات العربية الإسلامية .

■

جلسة العمل الثانية

الأحد ٢٠٠٥/٢/٢٧

«مفهوم الوسطيّة في الإسلام»
(ملخــــص) *

الباحث : الأستاذ الدكتور حسن حنفي

أولاً: الوسطيّة في الحضارة البشرية:

الإسلام دين وسطي والوسطية جوهر الإسلام، وهي ضد «التطرف» والعنف. إن هذه الثنائية (الوسطية والتطرف) إنما تنشأ في الواقع من ثنائية الدولة وخصومها في حال غياب المعارضة المشروعة والتعددية السياسية.

وردت نصوص مختلفة في القرآن الكريم والسنة النبوية عن الوسطية. فقد ورد لفظ وسط خمس مرات في القرآن الكريم باشتقاقات مختلفة، أهمها آية تصف أمة الإسلام بأنها أمة وسط، فالأمة **﴿لا شرقية ولا غربية﴾**، وهذا أقرب إلى العالم الثالث والحياد الإيجابي. وهناك آيات أخرى تدل على التوسط بين التبذير والتقتير **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط﴾**، وأخرى تدل على التوسط في الأمور **﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾**، وأخرى تدل على الوسط بين الأشياء **﴿فأثرن به نقعا، فوسطن به جمعا﴾**. وقد ورد لفظ الوسطية في الحديث الشريف حوالي مائة مرة بمعانٍ مختلفة : توسط الإمام في الصلاة؛ توسط الأمة؛ التوسط في الطبيعة؛ التوسط في الجنة مثل الفردوس؛ التوسط في المكان، فالوسط قادر على السيطرة على الأطراف؛ التوسط في الزمان؛ التوسط في الجماعة وسط الصلاة؛ التوسط في الجسد؛ النهي عن التوسط في الطعان، فالأكل من الطرف هنا فضيلة.

* الملخّصات في هذا الملفّ من عَمَل السيّدة هدى عبّاس، أمينة المكتبة، مجلس الحسن؛ مراجعة: مدير التحرير.

الوسطية في النص هي الوسطية في الواقع، إذ تعني الوسطية الاتزان، والتعادل والقدرة على التحكم في الأطراف، فالقلب يتوسط الجسد. و توصلت الحضارات كلها إلى مفهوم الوسطية، فهو ليس خاصا بحضارة دون أخرى. وقد عرف أرسطو الفضيلة بأنها وسط بين طرفين، وهو ليس وسطاً حسابياً، بل وسطاً إرادياً علمياً، فقد يكون أقرب إلى أحد الطرفين. وكذلك كان تعريف الفلاسفة المسلمين (مسكويه والكندي والفارابي) للفضيلة، ليس نقلاً عن اليونان، بل تعبيراً عن موقف إسلاميّ أصيل يعتمد على الوحي والعقل والطبيعة. وفي الحضارة الغربية في العصر الوسيط كانت الفضيلة هي الاعتدال ضد التطرف والانفعال. ثم أصبحت الفعل ورد الفعل ثم الجمع بينهما. وفي كل الحضارات موضوعات الفلسفة ثلاثة: الله والعالم والنفس المتوسطة بينهما. والتثليث في المسيحية دليل على ذلك: الأب والابن والروح القدس. وأيدت الأمثال العاميّة لدى كل الشعوب هذا الإيقاع الثلاثي في الحياة، الأب والأم والأولاد، السماء والأرض وما بينهما ...الخ.

ثانيا: متى ينشأ التطرف؟

إذا كانت الوسطية مثلا أعلى في معظم الحضارات، فلماذا، ومتى ينشأ التطرف؟ ينشأ التطرف في السلوك البشري عندما يتطرف الواقع نفسه، فيكون التطرف الأول هو التطرف المضاد حتى تتساوى كفتا الميزان، فكل فعل له رد فعل مساو له في القوة والاتجاه. وعادة ما يأخذ الباحث الغربي والحاكم العربي النتيجة دون السبب، في حين ينبه الباحث العربي على السبب قبل النتيجة، وعلى الجلاد قبل الضحية. ليس التطرف من النص أو من العقل، بل من الواقع بسبب الضعف الإنساني. ويكون الحل هو عود الواقع أيضا من الطرف إلى الوسط. فالحل بين الغني والفقير هو إعادة توزيع الدخل **﴿والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم﴾** . وتغيير الواقع المتطرف بين القاهر والمقهور، والظالم والمظلوم سمي في تراثنا (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). وتغيير الواقع يتم على ثلاث درجات في ترتيب تنازلي، من الفعل إلى القول إلى الاعتقاد، على النحو الآتي:

١- التغيير الفعلي، فللعمل الأولوية على النظر، وتغيير الواقع له الأولوية على الكلام عنه.

٢- الإعلان بالقول عن المسافة بين المثال والواقع، فالقول كلمة، والكلمة فعل، واللسان خطاب، والخطاب أمر ونهي.

٣- الإبقاء على الضمير الحي، والرأي الخالص، وعقد العزم دون الإتيان بفعل بلا نية، أو قول بلا اعتقاد. فالأول شرك عملي، والثاني شرك نظري.

فضل بعض المجتهدين المحدثين، بما في ذلك الإمام الخميني، ترتيبا تصاعديا من القلب إلى القول إلى الفعل.

ثالثا: هل تنفي الوسطية الصراع؟

لا تنفي الوسطية الصراع في حالة العدوان الأجنبي، فلا وسط بين الاستعمار والتحرير. في حالة الاحتلال واغتصاب الأرض وهدم المنازل وقتل المدنيين، فالمقاومة حق مشروع **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾**. إنما تستعمل الوسطية في الصراعات الداخلية بين أبناء الوطن الواحد من أجل الحوار والتفاهم المتبادل. فدم المسلم وعرضه وماله حرام. وإذا اقتتل المسلمان، فالقاتل والمقتول في النار.

وفي الوقت نفسه لا تستعمل الوسطية للتسكين والتهدئة ونزع الغضب من القلوب، من المقهور ضد القاهر، ومن المظلوم ضد الظالم، ومن العبد ضد السيّد ...الخ. هنا تكون الدعوة إلى الوسطية تثبيت للأمر الواقع،

ودعوة للتمييع وتأجيل الصراعات والمساومة على الحقوق. لا يمكن معاداة المظلوم باسم الوسطية دون مقاومة الظالم. وليست الوسطية فقط سلوكا فرديا متعادلا بين قوى الفرد العقلية والوجدانية والقولية والعملية، وليست سلوكا اجتماعيا داخل الوطن الواحد بين الفئات المختلفة والطبقات المتباينة، بل هي أيضا موقف في العلاقات الدولية بين الوطن وجيرانه في الشرق والغرب والشمال والجنوب، بين الأمة الوسط وما يحيط بها من أمم أخرى. وهي تعنى الاستقلال الوطني في العلاقات الدولية، كما هو الحال في دول العالم الثالث.

قد تستعمل الوسطية بمعان متباينة، كأن يستعملها الحاكم من أجل نزع سلاح الدين من أيدي الخصوم، وتستعملها بعض أحزاب المعارضة من أجل الحصول على الرخصة والاعتراف بشرعيتها. وقد تهدف مفاهيم التوسط والتطرف إلى غير ما تبدو عليه من معاني الألفاظ. وقد تتضمّن حكمة قيمة منذ البداية. التوسط أسلوب الدولة والتطرف نهج المعارضة.

ويستمر التضارب بين المعاني المتداولة من جهة، والمعاني النصية وأحكام العقل من جهة أخرى. ودور العالم هو التوضيح والتمييز حفاظا على شرعية المعنى، و سلامة العقل، والسلام في المجتمع، والاتزان في الواقع، وكمال الطبيعة ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾. فالوسطية والتطرف كلاهما من موازين الكون. ■

جلسة العمل الثالثة

الإثنين ٢٠٠٥/٢/٢٨

فلسفة الوسطيّة

(ملخّص)

الباحثة : الأستاذة فاتنة حمدي

إن موقع الإنسان بين الكائنات وطبيعة تكوينه يرسمان قدراته وواجباته تجاه ذاته والآخرين، كما يرسمان طبيعة المشروع الكوني والأخلاقي الذي يؤسسه وجوده في الكون وبين الكائنات، ويحددان في الوقت ذاته هذه القدرات والإمكانات، من خلال منظومة من العلاقات مع الذات ومع الطبيعة ومع الآخرين ومع الله والمقدسات.

لقد عني الفلاسفة على مر العصور بالإنسان بوصفه ذلك الكائن الذي يتوسط السماء والأرض فتتعامل فلسفاتهم معه بموجب تلك الوسطية التي تحدد معالمه . وبما أنّ الإنسان كائن وسط بين الخير والشر، فالحاجة ماسة إلى التأكيد على الأخلاق والقيم والفضائل الأخلاقية. وقد شكلت الأخلاق مركز الثقل بالنسبة لكثير من الفلاسفة على مر العصور، مثل أفلاطون و تلميذه أرسطو. وأكّد «عمانوئيل كانت» أنه وجد من الضروري «إنكار المعرفة لفسح المجال للإيمان» وإنقاذ الأخلاق من الحروب التي يشنها الفكر غير النقدي عليها . وانزلقت الحداثة الغربية، التي يعتبر البعض «كانت» أحد أهم ممثليها، تدريجيا نحو العدمية والنسبية، وتخلت تماما عن الوسطية والتسامح والاعتدال. واعتبر نيتشة، الذي يعد الأب الروحي لما بعد

الحداثة، التسامح والمحبة قيم الضعفاء والعبيد، ورفع الحد الفاصل بين الإنسان والإله، وبشَّر بالإنسان الأعلى الذي يطاول الإله في سماواته، بل يطمح إلى الحلول محله. وبذلك نفى نيتشه وسطية الإنسان، وأنزله منزلة غير مؤهل لها، وغير مؤهلة له. وكان للفكر النيتشوي الأثر السلبي على الفكر الغربي من بعده. فقد أكد على قيم الإبداع والخلق وقام بتتويج الجمالي والأستطيقي على عرش الفكر، كما قام بتمجيد الألم والمعاناة وإعطائهما تسويغا وصياغة جمالية، فضلا عن كونه ناقدا لاذعا لعصره وللغرب عموما. ويمثل مفكرون، مثل نيتشه و شوبنهاور وفرويد وغيرهم، بداية استبعاد العقلانية، التي شهدت ذروتها مع كانت وهيجل، عن عرش الفكر الفلسفي الغربي وحلول اللاعقلانية وقوى الحياة الإرادية المتدفقة محلها. وفي التطورات ما بعد الحداثية تُرك الإنسان وحيدا ضائعا حائرا بين الكم الهائل والسيل الهادر من الأفكار والإمكانات التي تتساقط عليه من كل حدب وصوب، بين وسائل الإعلام والترفيه على اختلافها، فضلاً عن كل وسائل الاتصال والتطور التكنولوجي في عصر العولمة الذي نعيشه. وفرض هذا الصخب المتزايد والتعددية والفوضى في جوانب الحياة الشخصية والعملية والاجتماعية على الإنسان طرق تفكير وسلوك غريبة وبعيدة كل البعد عن الطبيعة والعقلانية والصواب. وينجم عن ذلك مجموعة من الأزمات: أزمة هوية مع الذات ومع البيئة ومع الآخرين .

يقف إنساننا حائرا أمام الوسيلة والسبيل: من نحن؟ وكيف نسلك في حياتنا؟ وكيف نتصرف، أيا كان خيارنا ، تجاه بعضنا البعض في محيطنا العربي الإسلامي وتجاه الآخر متمثلا بالغرب؟ هل نستسلم كليا إلى الغرب بكل ما يمتلكه من سلطة وقوة وإغراء ؟ أم هل نرفضه كليا كونه أحد أهم أسباب شقائنا؟ ومهما كان خيارنا فهو خيار إنساني أخلاقي بالدرجة الأولى لا يقتصر على دين دون آخر ولا على أمة دون غيرها ، والغاية النهائية هي الخير للإنسان ولبني البشر جميعا مهما اختلفوا، مع الأخذ بالاعتبار أن ما كان يصلح قبل قرون قد لا يصلح اليوم أمام المتغيرات والظروف المستجدة. و أرى أن في الآية الكريمة " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" توصية تتعدى الأفراد إلى الأمة جمعاء، بالتزام جانب الحق وتجنب المغالاة في زمن يجنح الجميع فيه للتطرف والإفراط. ولا تعني الوسطية التفريط في الحقوق والتوفيق على حساب القناعات والثوابت، أو التخلي عن الهوية ولبس الأقنعة إرضاءً للآخرين وتزلفا لهم. لكن الوسطية تأكيد على الهوية ومحاولة استكشاف فضاءاتها الرحبة التي تشكل انفتاحا على الآخر من منطلق التفهم والمساواة والعدل.

نشهد اليوم في الفلسفة الغربية المعاصرة بين الفلاسفة(William Desmond) من يؤكد أن الإنسان كائن وسطي في المابين بأكثر من معنى، فهو بين الأرض والسماء، وبين الحيوان والملاك، أو بين الحيوان والإله، وبين المادة والروح، وبين ذاته وأحوالها المختلفة، وبين ذاته والآخر، إلى غير ذلك من ثنائيات لا نهاية لها. الإنسان، ذلك الكائن الذي يسكن في الوسط بين الأشياء وذاته والآخرين، أحوج ما يكون إلى تأمل كينونته ومتطلباتها وتحمل مسؤولياتها. وهو يمتلك من الوسائل في مختلف المجالات ما يعينه على ذلك.

الوسطية في الفلسفة اليونانية: أرسطو نموذجا

يلعب التناغم والانسجام دورا أساسيا في الفكر اليوناني. فهو أساس الحقيقة والوجود، فضلا عن الأخلاق. ويتحقق التناغم حين ترتبط عناصر الشيء أو جوانبه فيما بينها بطريقة لا يطغى أحدها على الآخرين. فاعتبر فيثاغورس النسبة العددية أساس العالم والأخلاق والجمال، واعتبر أفلاطون الأشكال والنسب الرياضية الأساس الذي اعتمده صانع الكون. واعتبر تناغم قوى

النفس وتناسبها أساس الفضيلة في الأخلاق. كما اعتبر تناغم الغايات في الدولة أساس العدالة في فن السياسة؛ كل ذلك تحت لواء الخير الذي تدركه النفس العاقلة، والذي يعتبره أفلاطون أساس الحقيقة وذروتها وغاية الغايات. ويعتبر أرسطو الفيلسوف الأخلاقي الأكثر أهمية في مجالنا هذا، حيث يعد كتابه «الأخلاق النيقوماخية» أساسا لكثير من الدراسات في هذا المجال. يرى أرسطو أن كل فعل وكل سعي يهدف إلى خير ما جزئي ومباشر أو نهائي لذاته، والخير الذي نهدف إليه دائما لذاته وليس بحثا عن غاية أخرى هو السعادة. توصف أخلاق أرسطو بأنها أخلاق الفضيلة. ومن فوائد هذا النوع من الأخلاق أنها تمنحنا وسيلة واقعية لتقييم الشخصية والفعل الإنسانيين، مع أنه لا يمكن الجزم بشكل نهائي حول كثير من موضوعات الأخلاق، مثل مفهوم الخير. ويؤكد أرسطو، تماشيا مع الرأي السائد في الفلسفة اليونانية في عصرها الذهبي، أن العقل هو الصفة الأهم والأكثر قداسة التي تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات. ويزيد بالقول إن «العقل هو ذاته الإنسان». إلا أنه يعترف أن الإنسان ليس عقلا وحسب، وإنه يتحتم اعتبار جانبه الحسي، والفضائل هي التي تطور كمال هذا الجانب وتحققه. الفضيلة عند أرسطو وسط بين رذيلتين أو شرين، أحدهما فيه إسراف والآخر فيه نقص، وكلاهما يشط عن الصحيح إما إسرافا أو قصورا. الفضائل نوعان: ذهنية تنشأ نتيجة التعلم، وأخلاقية تنتج من العادة. ويؤكد أرسطو أن الفضيلة ميل مستقر للذهن يحدد اختيار الأفعال والانفعالات ملتزما بالوسط بين الإفراط والتفريط، وهي ليست شيئا طارئا أو ظرفيا، وإنما حالة ينشأ عليها الإنسان منذ نعومة أظفاره فيعتاد عليها ويمتلك بها النضج الأخلاقي والعادات الخيرة والقدرة على الاختيار الصائب. والوسطية عند أرسطو أسلوب حياة يجعل الإنسان يمارس حياته بشكل أفضل ويكون مواطناً أفضل لذاته وفي تعامله مع الآخرين والمجتمع. وفي النهاية فإن الإنسان عند أرسطو حيوان سياسي يعيش في مجتمعات مع الآخرين لتحقيق الحياة السعيدة. و تحقيق سعادة الإنسان لا بد أن يتأثر بالبيئة الاجتماعية وبقوانين وعادات ومؤسسات المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه.

الوسطية عند بعض الفلاسفة المسلمين

تأثر الفلاسفة المسلمون بالفكر اليوناني، وبالأخص بفكر أرسطو والأفلاطونية المحدثة. وحاولوا التوفيق بين الفلسفة اليونانية وبين الدين وأشكال الثقافة الإسلامية الأخرى، وركز أغلبهم على أخلاق الفضيلة كما فعل أرسطو. يتفق الفارابي مع أرسطو في نظرته إلى الوسطية، وفي كون الفضائل هيئات إنسانية وملكات متوسطة بين الإفراط والنقص. الفضائل صنفان: نطقية مثل الحكمة والعقل وجودة الفهم، وخلقية مثل العفة والشجاعة والسخاء والعدالة. ويرى الفارابي أن «الشرور تزال عن المدن إما بالفضائل التي تكمن في نفوس الناس، وإما بأن يصيروا ضابطين لأنفسهم». وفي الحالتين نكون أمام ممارسة الوسطية إما من خلال فضائل ترسخت في الشخصية نتيجة الاعتياد والممارسة، أو من خلال اعتماد الوسطية في تهذيب الانفعالات واختيار السلوك الأمثل. ويرى الفارابي أن العدل في أمور السّياسة هو القسمة العادلة للخيرات لجميع أهل المدينة، وحفظ تلك القسمة والإبقاء على عدالتها. والعدل ينطبق كذلك على التعامل بين الفرد والآخرين.

أما ابن مسكويه فالعدل عنده مشتق من معنى المساواة، وهي أشرف النسب. وهو يرى أن الشريعة أو ناموس الله هي التي ترسم التوسط والاعتدال في الأشياء، ويعتبرها ناموس النواميس وقدوتها. المتمسك بالشريعة

يعمل بطبيعة المساواة، فيكتسب الخير والسعادة من وجوه العدالات لأن الشريعة لا تأمر إلا بالخير والفضيلة. كما يرى، مقتبسا من أرسطو، أن العدالة توسط وتشمل الفضائل جميعا وليست جزءا من الفضيلة.

يمثل الإمام أبو حامد الغزالي نموذجا فذا للمفكر الإسلامي الذي جمع بين عناصر الثقافة الإسلامية والفلسفة اليونانية. وهو يتناول الأخلاق في مؤلفه «ميزان العمل»، فيرى أن السعادة غاية الجميع، وأن منالها لا يكون إلا بالعلم والعمل، وليس من عاقل إلا ويطلبها، وأول متطلبات السعادة معرفة الإنسان لنفسه، وعمله الجاد على إصلاحها بالمجاهدة، «والمجاهدة معالجة للنفس بتزكيتها لتفضي إلى الفلاح، كما قال تعالى: قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها». ومعرفة النفس ضرورة فهي، فضلا عن كونها السبيل إلى معرفة الآخرين، تشكل الوسيلة لمعرفة العالم والحقيقة. وجوانب النفس التي ينبغي تهذيبها هي قوة التفكير وقوة الشهوة وقوة الغضب. وتحصل العدالة عند انقياد القوتين الأخيرتين إلى قوة الفكر والعقل ووقوعهما على الترتيب الواجب. بالعدالة تتم جميع الأمور، ولذلك قيل: بالعدل قامت السموات والأرض.

وتهذيب النفس يكون بتزكيتها، ونيل السعادة يكون بتركيزها وتكميلها باكتساب الفضائل. وتنحصر الفضائل في معنيين: جودة الذهن والتمييز بين طريق السعادة والشقاوة، وحسن الخلق. والعدل حالة لقوى النفس الثلاث في انتظامها على التناسب، وهو جملة الفضائل.

وينحو فخر الدين الرازي منحى مختلفا نوعا ما، فيرى أن من الحكمة الإلهية وجود الانسان بين الكائنات في المرتبة المتوسطة بين الملائكة والبهائم. فالإنسان عند الرازي له عقل وحكمة، وإن اشتمل على الفساد بسبب الشهوة، فقد اشتمل أيضا على الشوق إلى الحق. وهو يشترك مع الملائكة في إمكانية التسبيح وتمجيد الله، كما يمتلك مقام الشوق الذي لا يشترك فيه مع الملائكة، التي لا يصح عليها الشوق أصلا. ويخالف الرازي في قوله هذا الرؤيا الوجودية الغربية المتمثلة في قول سارتر إن الإنسان شغف أو انفعال لا طائل منه.

من الملاحظ أن الرازي يفسر الآية الكريمة «إني جاعل في الأرض خليفة» أن الإنسان يشكل حلقة وصل ووسط بين الكائنات الأعلى والكائنات الأدنى، فيرفع بذلك من مقامها، ويهتم بخيرها والعناية بها.

يرى الرازي أن وسطية الإنسان بين العالم المادي وحاجاته وبين عالم القدس والجلال يجعله يتأرجح بين هذين العالمين فينتقل بين الظلمات والنور وبين الألم واللذة.

مما سبق نجد أن آراء الفلاسفة الذين تناولناهم تتفق على أن الأخلاق تقوم على العدل الذي يتحدد من خلال وسطية بين الإفراط والتفريط تأخذ في الاعتبار طبيعة الإنسان وموقع الشخص وظروف الفعل، وغير ذلك من الملابسات، كما تسترشد بكتاب الله ورسوله وبتعاليم الشريعة. ويرى أغلبهم أن تهذيب النفس له الأولوية، وأن ذلك لا يقف عند حد تعامل الفرد مع ذاته ومع الآخرين، وإنما يتعدى ذلك إلى سياسة الدولة.

ونتساءل أخيرا كيف يمكن أن ننظر إلى الإنسان وإلى دوره في الكون؟ فقد خُلق الإنسان في أحسن تقويم قوي بإيمانه وعقله وإمكاناته وحسه الأخلاقي، لكنه خُلق ضعيفا هلوعا جزوعا يتعجل الأمور ويتبع هواه ولا يتفكر في آيات الله. استُخلف الإنسان في الأرض، ورضي بحمل الأمانة التي لم يجرؤ الآخرون على حملها وهو الضعيف أمام أهوائه. أين نحن اليوم من هذه الأمانة وهذه الوسطية؟ وهل سنكون يوما جديرين بها؟

■

جلسة العمل الرابعة/ المائدة المستديرة

الاثنين ٢٨/٢/٢٠٠٥

١ كيف نخاطب الإنسان المعاصر خطاباً وسطيًّا (ملخـــص)

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

شكر خاص لصاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال لدعوته شخصيا لحضور المؤتمر، وإلى عاهل البحرين لاستضافته الدورة.

لكل عصر إنسانهُ المعاصر. وفي كل عصر خطاب كانت النخبة تتوجه به إلى الإنسان المعاصر لها. ولم تكن مخاطبة الإنسان المعاصر في كل عصر من العصور عملية سهلة، بل محفوفة بالمتاعب، وتصطدم بعقليته الماضوية، وخلفيته الدينية والثقافية والنفسية، التي ترفض التغيير، وتستعصي على التجديد، وتتمسك بالماضي.

نجد عبر تاريخ الإنسانية أن المعاناة مع الإنسان المعاصر تتخذ صور التكذيب والاستهزاء والسخرية، وتصل إلى الضرب والسجن والتعذيب والقتل والحرق للمفكرين والعلماء والمصلحين من مختلف الملل والنحل، بمن فيهم الأنبياء عليهم السلام. فقد تحمل الأنبياء الآلام في سبيل تبليغ رسالة السماء إلى الإنسان ، وواجهوا الصدود والكفر والنكران، متحلين بالصبر والعزم والعفو والسماحة. وقد سجّل القرآن الكريم تلك المعاناة في مسيرة الأنبياء تباعاً.

إن رجال الفكر اليوم، ومن خيرتهم نخبة يضمها منتدى الفكر العربي برئاسة مفكر نعتبره واسطة العقد هو سمو الأمير الحسن بن طلال، لن يجدوا الطريق معبداً سهلاً وهم يتوجهون بالخطاب إلى الإنسان المعاصر، على الرغم من تطور وسائل الإعلام، والتفتح الثقافي، واتساع دائرة حريّة التعبير في وطننا العربي وعلى المستوى العالمي. وإنساننا المعاصر هو مادي، حداثي، يعاني من الفراغ الروحي، أناني، مفتون بعصر السرعة، يقدّس التكنولوجيا ويتعامل بالإنترنت، ويدين بالعولمة، وتؤثر فيه الدعاية الإعلامية، ويعتبر رجال الدين هم أولئك الناس الذين يحتاج إليهم فقط في الزفاف والدفن. لقد أصبح مميزاً بمظهره وعقليته وطبعه، حتى لقد غدا جيلاً جديداً في كل بلد وقارة بالأوصاف نفسها. وهو يعانق الحياة، ولا يريد أن يكون هنالك شيء ممنوع، ويريد العيش كما يشاء، مما يخلق صعوبات كثيرة في وجه المصلحين ورجال الدعوة والمفكرين الذين يسعون لتقويم مسيرة هذا الإنسان وتوجيهه، لاسيما إذا كانت منطلقاتهم دينية. فالإسلام عندنا عقيدة وشريعة يقوم على قواعد ثابتة، وهو ليس ثقافة عامة وآراءً تتغير حسب الظروف وتساير الإنسان في تقلبات مزاجه.

يواجه الخطاب بجميع أنواعه، الإصلاحي والثوري والأيديولوجي والديني، صعوبات معينة في الوصول إلى وجدان الإنسان المعاصر وعقله. وتركّز هذه الداخلة على الخطاب الديني الذي أصبح خطاب صحوة وثورة وتطرف، واقترن بالعنف والإرهاب، وأصبح يشغل العالم ويقضّ مضاجع الدول الكبرى، وترسم له الخطط

والاستراتيجيّات للحد من خطورته.

ظنّ المصلحون أن معوقات خطاب الإنسان المعاصر تكمن في شكل الخطاب، فحاولوا تطويره. ولم يترك رجال الدين وسيلة للوصول إلى عقل الإنسان المعاصر ووجدانه إلا سلكوها. وظهر الخطباء النجوم واستعملوا الفضائيات والمسرح والإنترنت، لكن الإعاقة ما زالت قائمة، وتكمن أساساً في مضامين الخطاب وطبيعته، والتعارض الموجود بينها وبين طبيعة الإنسان المعاصر. وفي اعتقادي أنه قبل التفكير في طبيعة الخطاب الديني من الناحية التقنية والبلاغية، يجب أن نتساءل عن مضامين هذا الخطاب، الذي هو خطاب تراثي يستمد مضامينه من الكتب السماوية وكلام الأنبياء، يُحيي القيم والأخلاق ويبعثها، إلا أن مضامينه أصبحت تتعارض تماماً مع ما يفكر به ويعيشه الإنسان المعاصر. ولا شك أن هذا جعل الخطاب الديني يتقهقر ويفقد تأثيره، وأدى إلى تهميش الدين وتحييده في حياة الفرد والحياة العامة. وبقي الخطاب الديني المتطرف. فلما وجد نفسه مرفوضا، لجأ إلى العنف والإرهاب.

نحن لا نستطيع تغيير الكثير في خطابنا الديني كونه يقوم على قواعد ومبادئ محددة تتعارض مع الحضارة الكونية التي يريدها الإنسان المعاصر. فالمواثيق الدولية الحديثة، وكذلك الأفراد، يرون فصل الدين عن الدولة، ويعتبرون الدين شأناً شخصياً يمكن للفرد تغييره أو الخروج منه إلى الإلحاد متى شاء، والدولة لا دين لها. وهذا يتعارض مع ما وضع من أحكام للردة في الديانات السماوية.

نعم، نحن مع التجديد والاجتهاد في فهم النصوص الدينية وقضايا العصر وحاجيات الإنسان المعاصر، لكننا لا يمكن أن نفرغ الخطاب الديني من مضامينه الربانية وأحكامه السماوية. وقد نكون نحن المسلمين قد أخطأنا في تقديم الشريعة للناس والمفكرين الغربيين، ولا ننكر أننا صورناها لهم بشكل مخيف، فيه قطع يد السارق، والرجم، وقطع الرؤوس، مع أن الشريعة في حقيقتها سمحة وفيها طاقة قوية من الرحمة والإحسان واللطف. فالسارق لا تقطع يده في نظام تسوده العدالة الاجتماعية، وتتوفر فيه للإنسان ضرورات العيش الكريم، وترعى الدولة فيه الفقراء والمساكين. ففي هذا النظام لن يمدّ المحتاج يده ليسرق. والإسلام جاء لإقامة هذا النظام. والإسلام شريعة تحرم العدوان والظلم، وتلزم أتباعها بالسلام والتسامح والتعاون البشري، وتغرس الرحمة في النفوس، وتحيطها بأحكام إلزامية.

إن الإنسان المعاصر ليس ضد الدين بطبيعته، فهناك طبقة في قمة المعاصرة والحداثة، وقمة الإيمان والتشبع بالقيم الدينية. إذاً، كيف نتغلب على هذه الإعاقة؟ وكيف نخاطب الإنسان المعاصر؟

يجب أن نعيد إلى الخطاب الديني حكمة العلم، وبصيرة الفكر، وسلطان المعرفة. وهذا لا يتحقق إلا بالتفكير في تكوين رجل الدين القادر على مخاطبة الإنسان المعاصر، وخلق مؤسسات دينية متعددة المكونات يكون فيها علماء دين ومفكرون ورجال سياسة واقتصاد وإعلام وفنون وآداب، ويكون هدفها مخاطبة الإنسان المعاصر خطاباً دينياً عقلانياً علمياً يجمع بين الدين ومتطلبات العصر. والإنسان المعاصر يرفض التطرف الديني والعنف والإرهاب، لاسيما إذا وقع باسم الدين. والديانات السماوية تشترك في خطاب ديني واحد يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بأنبيائه ورسله. لهذا يجب التعاون مع علماء الديانات الثلاث من أجل إنتاج خطاب ديني واحد، خطاب المحبة بين البشر، والتقارب والتعايش بسلام، والأخلاق والفضيلة،

وتكريم الإنسان، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة، والعلم والمعرفة والتنمية والحفاظ على البيئة وعلى الصحة، وطلب الطيبات وترك الخبائث، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وباختصار خطاب الوسطية، لأن الوسطية هي الخطاب المتوازن، هي خطاب الحكمة والعقل الجامع بين الدين والعلم والمدنية. والوسطية هي وحدها الخطاب الممكن توجيهه إلى الإنسان المعاصر لأنها توفق بين مضامين الدين وحاجات الإنسان المعاصر وظروفه.

وهذا ما أدركه صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال بثاقب فكره من خلال تجربته الغنية ومعاناته لهموم الأمة والإنسان على المستوى الكوني على مدى العقود، فأصبح يركز على الوسطية في محاضراته وخطبه وكتاباته، وأبى إلا أن يجعل موضوع هذه الندوة **«الوسطية بين التنظير والتطبيق»**. ■

٢ حول الوسطيّة

الدكتور عبد الملك منصور

لعله يصح القول إنّ بداية الدعوة إلى الوسطية تعود إلى عصور قديمة، وربما تزامنت تلك البداية مع بدء الوجود البشري. فإضافة إلى ما تضمنته الرسالات السماوية من تعاليم و إرشادات تكرس الوسطية، انتشرت في الشرق منذ القرن السادس قبل الميلاد تقريبا دعوة بوذا التي تمحورت حول وسطية **«الطريق ذي الثماني شعب»** والتي انتهت إليها رحلته الممتدة للبحث عن الحكمة. و في الغرب اشتهرت، خاصة في عهد فلاسفة الإغريق، مقولة إن الفضيلة وسط بين رذيلتين.

وفي التاريخ المعاصر، انتشرت الدعوة إلى الوسطية في الغرب - الأوروبي خاصة - تقريبا منذ القرن الثامن عشر الذي نشطت فيه بعض الاتجاهات و الجماعات الدينية والسياسية التي تتبنى و تدعو إلى الوسطية.

ويبدو أن الدعوة إلى الوسطية بدأت تكتسب زخْما في الوطن العربي والعالم الإسلامي عموما مؤخرا جدا. فمع اتساع النشاط التطرفي/ الإرهابي و ما رافقته من جهود محلية و دولية ذات صلة، تنامت الدعوة إلى الوسطية ضمن الدعوة إلى مفاهيم أخرى وثيقة الصلة، كمفاهيم الحوار بين الثقافات والأديان والتسامح وثقافة السلم كما تواصلت الدعوة إلى بعض المفاهيم التي تتردد منذ ما بعد فترة الاستعمار، ومنها مفاهيم الإصلاح والديمقراطية والحداثة والعلمانية والعقلانية و الأسلمة.

من الناحية اللغوية، تمثل الوسطية المصدر الصناعي للفظ **وسط** الذي تورد له المعاجم اللغوية معاني عدّة، ربما يمكن إجمال أوسعها انتشارا واستخداما في معنيين رئيسيين، هما معنى **«بين»**، أي بين شيئين أو حالتين أو اكثر، أو بين طرفي أو أطراف الشيء ذاته؛ ومعنى **«الخيار أو الأفضل»**. ومع أن المعنى الأول - أي بين - هو أساسا معنى ظرفي بحت، إلا أنه يميل في الاستخدام العام إلى اكتساب ظلال قيمية توحي بأفضلية ما في الوسط أو ما هو وسط. ومع ذلك ليس نادرا لغويا استخدام لفظ **وسط** ومشتقاته من دون تضمينه إيحاءات قيمية وأحيانا على نحو ينفي قيمة الأفضلية و قد يوحي بعكسها. أما المعنى الثاني-

أي الخيار و الأفضلية - فمن الواضح انه معنى **معياري** قيمي.

ولا يخفى أن للاستخدام الاصطلاحي للفظ **الوسطية** في الوطن العربي والعالم الإسلامي مفاهيمَ متعددة ومتباينة. بيد أن التأمل في الأدبيات المعاصرة ذات الصلة يفيد أن تلك المفاهيم تتوافر كلها تقريبا على حد أدنى من المضمون المشترك لتتباين بعده سعة واتساعا، بحيث يتضمن المفهوم الأوسع المفهوم الأقل سعة وعلى نحو يمكن معه النظر إلى تلك المفاهيم و كأنها دوائر متراكزة (**تشترك في مركز واحد**) ولكنها تتباين اتساعا و انكماشا أو ضيقا، مع تباين أطوال أقطارها، لتعكس أقدار التباين أو مساحاته، وفي الوقت نفسه، التقاطع/ التطابق في المفاهيم المناظرة لها.

و يتمثل المضمون المشترك الذي تتوافر عليه سائر المفاهيم الاصطلاحية المتداولة للوسطية - و تمثله الدائرة الصغرى/الداخلية- في الوسطية الدينية السياسية خاصة بمعنى انتفاء التشدد أو الغلو الديني والسياسي. ولعل هذا المعنى، الذي يعد الأكثر شيوعا، هو أقرب مفاهيم الوسطية إلى المعنى اللغوي الظرفي - أي بين- للفظ **وسط**. ولا يقدح في ذلك تركيز الاستخدام الشائع للوسطية بهذا المفهوم على لزوم الابتعاد عن طرف واحد، هو طرف التشدد والغلو، دون إشارة تذكر إلى اقتضاء الوسطية الابتعاد أيضا عن الطرف المقابل، أي طرف اللامبالاة والتفريط (**في الالتزامات و المبادئ السياسية و الدينية**)؛ إذ يمكن تفهم هذا التركيز عند الأخذ بالحسبان بما أحاطت الرواج المعاصر لهذا المفهوم من ظروف تفسر، وإن كانت لا تعني صوابه.

ولعل أوسع مفهوم للوسطية - و تمثله الدائرة الكبرى/ الخارجية - هو ذاك الذي يعتبر الوسطية مرجعية أو قيمة عليا و معيارًا حاكمًا يتعين الاحتكام إليه في تحديد الأنسب أو الأصح قولا وفكرا وفقها وموقفا ووضعا وخلقا وسلوكا عمليا . و من الواضح أن هذا المفهوم يصور الوسطية و ينصبها منهجا شاملا للحياة.

وكما سبقت الإشارة، توجد بين المفهومين المذكورين مفاهيم عدة للوسطية تتفاوت مضامينها قربا و بعدا من مضموني هذين المفهومين.

وتتباين وجهات النظر في ما يتعلق بتقييم المفاهيم المطروحة للوسطية. فشأنه شأن التباين حول تحديد مفاهيم الوسطية، يعكس التباين في تقييم المفاهيم المطروحة للوسطية بعض الصعوبات والإشكاليات ذاتها التي يواجهها عادة تحديد مفاهيم الرموز الاصطلاحية الشائعة وتقييمها. و هذه الصعوبات والإشكاليات منها الموضوعية، ومنها غير الموضوعية. يعود بعض هذه الأخيرة إلى أسباب مثل محاولة البعض توظيف المفاهيم الاصطلاحية وتشكيلها بما يخدم أهدافا أو معتقدات أو ثقافات أو مواقف مسبقة معينة، إدراكا منهم لأهمية المصطلحات وخطورتها في الصراعات الثقافية ودورها البالغ التأثير في تشكيل الوعي و ثم توجيه السلوك البشري ضمن نطاق انتشارها. ولعله ليس من العسير ملاحظة ما أفضت إليه مثل هذه الأسباب غير العقلانية إلى ظهور ما يشبه أن يكون حرب مصطلحات.

و يفيد الاطلاع على مجمل ما هو مطروح من مفاهيم للوسطية وتقييمات لها أن ما تمسّ إليه الحاجة أكثر، ربما ليس هو تقديم تقييم آخر لمفاهيم الوسطية أو تقييماتها، أو إضافة مفهوم آخر للوسطية إلى مفاهيمها المطروحة، بقدر ما هو محاولة بلورة الأسس العامة التي من شأن الاتفاق عليها الإسهام في تحقيق فهم وتقييم أفضل للمفاهيم المطروحة، بهدف الوصول إلى مفهوم/ مفاهيم أقل اختلالا وأدنى لبسا و تلبيسا. و نحسب أن من أهم تلك الأسس:

* ضرورة التمييز بين مفهوم الوسطية كمصطلح علمي يصلح أداة إنتاج معرفي وأداة تحليل علمي، وبين مفهوم الوسطية كمبدأ أو شعار دعوي أيديولوجي يرفعه و يدعو إليه البعض، ادعاء أو صدقا؛ و يواجهه البعض، عن حسن نية أو لغرض في أنفسهم، بشعار أو بآخر يزعمون

أولويته. و تعود هذه الضرورة - ضرورة التمييز- إلى تعذر الجمع بينهما جمعا سليما. فالوسطية كمصطلح علمي، خاصة إذا أمكن إبعاد عملية الاصطلاح عن محاولات التوظيف الأيديولوجي أو المصلحي، يمكن تحقيق قدر من التواضع والاتفاق إزاءه بما يكفي لجعلها أداة معرفية مفيدة . أما الوسطية كمبدأ أو شعار فلا يمكن ان يكون مفهومه إلا مفهوما أيديولوجيا تبشيريا بحتا وإقصائيا بطبيعته، إذ يختلف الناس إزاءه ليس فقط بقدر اختلاف أيديولوجياتهم و معتقداتهم العامة بل مصالحهم أحيانا وإنما أيضا بقدر تشظي تلك الأيديولوجيات والمعتقدات وقد تحوّل نوبات التشظي الأيديولوجي محاولةَ تحديد مفهوم شعار الوسطية نفسها إلى مصدر آخر من مصادر التشظي؛ مما ينتج عنه ما يشبه دائرة خبيثة تتوالد فيها مفاهيم الوسطية و الأيديولوجيات.

* في مفهومها أو استخدامها الاصطلاحي، تعد الوسطية أساسا مصطلحا وضعيا، وليس تعريفا أو مصطلحا شرعيا أوعرفيا. فالمقصود من الوسطية هنا ليس دلالتها المعجمية و لعلها - وفقًا للمعاجم اللغوية العربية الموروثة - ليس لفظا معجميا؛ كما أن الوسطية لا تعد رمزا شرعيا بل لم يستخدم البيان الشرعي - حسب اطلاعنا - هذا الاشتقاق الصناعي، أي **الوسطية**؛ وإن كان استخدم بعض مشتقات لفظ **وسط**.

وإذا ما ترجح أن مفهومَ الوسطية الأوْلى بالنظر والبحث هو مفهومها الاصطلاحي، وليس مفهومها الايديولوجي، وأن الوسطية كمصطلح تعد مصطلحا وضعيا و ليس تعريفا، فيمكن التذكير بالآتي :

* إن دلالة أي مصطلح و ضعي هي ما يتم التواضع على اعتباره دلالة له. وليس من غير الطبيعي أن يتم طرح دلالات أو مفاهيم مختلفة لمصطلح ما. بيد أن من ضرورات الاصطلاح الوضعي ومتطلباته أن يتم التوافق أو الاتفاق على دلالة معينة ليصبح المصطلح مصطلحا مشتركا بين فئة من الناس أو عاما بين الناس كلهم. و تعود هذه الضرورة إلى أنه، من دون التوافق أو الاتفاق عليه، قد لا يفي المصطلح بالهدف منه؛ إذ يتضاءل مغزاه التداولي أو الخطابي و تقل فائدته المعرفية.

* لا معنى للحكم على دلالة / مفهوم أي مصطلح و ضعي بالخطأ أو الصواب؛ ذلك أنه على النقيض من التعريف، ليس للمصطلح الوضعي دلالة مرجعية لازمة يحقق التطابق معها الصواب و يعتبر الانحراف عنها خطأ؛ بل إن مرجعية دلالة أي مصطلح وضعي هي الاتفاق. وفقط بعد الاتفاق عليه يصبح للمصطلح الوضعي، دلالة ملزمة بمقتضى الاصطلاح. على أن دلالة المصطلح الوضعي، وإن كانت غير قابلة لاحكام الخطأ والصواب، تقبل التقييم وَفْقا لمعايير الاصطلاح الوضعي، كمعيار الوضوح ومعيار الضرورة و معيار الأداتية المعرفية.

* الأصل في الاصطلاحات الوضعية أن تقتصر على بيان المفهوم أو المعنى الخاص الذي تم التواضع عليه للمصطلح، من دون تجاوز ذلك إلى اصدار أحكام قيمية تستحسن ذلك المفهوم أو تستقبحه، وتمدحه أو تذمه، و تحله أو تحرمه شرعا أو قانونا أو عرفا أو أخلاقيا. فالاصطلاح والحكم عمليتان مختلفتان ترتيبا و تكوينا وموضوعا. فترتيبا، لا بد أن يسبق الاصطلاح الحكم؛ لأنه لا حكم إلا على أمر معلوم ومحدد مسبقا. وتكوينا، يكفي دائما لإنشاء المفهوم الاصطلاحي الوضعي مجرد الاتفاق عليه وأساسه الإرادة؛ أما الحكم عليه فلا يكفل صحته مجرد الاتفاق عليه وسبيله الاستنباط العقلي. وموضوعا، يُعنَى الاصطلاح بدلالة أو معنى المصطلح؛ في حين يستهدف الحكم مدلولات المصطلح.

وإذا تم إقرار الأسس العامة السابقة، فان مما ينبني عليها في ما يتعلق بمفهوم مصطلح **الوسطية**:

- ان ما يهم أكثر بخصوص مفهوم الوسطية (**كمصطلح وضعي**) ليس هو مضمونه، دلالة أو رمزا، بقدر ما هو استيفاء المفهوم، دلالة ورمزا، لمعايير الاصطلاح

والقبول به اتفاقا أو توافقا. ولعل من الواضح أن ذلك لا يعني إغفال المضمون أو نفي أهميته مطلقا، أو لزوم قبول أي مفهوم للوسطية، بقدر ما يعني أنه ليس هناك مفهوم واحد ملزم للوسطية، وأن من الممكن أن يفي أكثر من مفهوم بمعايير الاصطلاح.

- متى ما تم الاصطلاح على مفهوم معين أو دلالة معيّنة للوسطية فلا معنى لمحاولة الحكم على تلك الدلالة بالخطأ أو الصواب؛ ذلك أنه - حتى الآن - ليس لمفهوم الوسطية دلالة مرجعية لازمة يحقق التطابق معها الصواب و ينتج عن الانحراف عنها الخطأ؛ بل إن مرجعية دلالة مفهوم الوسطية - مثل دلالة أي مصطلح وضعي - هي الاتفاق واستيفاء معايير الاصطلاح.

- كل مفهوم للوسطية (**كمصطلح وضعي**) ينص على حكم قيمي معين للوسطية، استحسانا أو استقباحا، يخل بأسس الاصطلاح العلمي وأغراضه. من هنا فإنه ليس صوابا في ما نقدّر- ميل البعض إلى تأسيس مفهوم مصطلح الوسطية على المعاني اللغوية القيمية أو المعيارية للفظ **وسط** مثل معنى الخيار والأفضلية، أو معنى ما بين الجيد و الرديء. و ليس المعنيّ بعدم الاستصواب هنا نفي أي من هذه القيم عن الوسطية أو إثباتها لها؛ لكن المعني به هو مراعاة ضرورة الفصل بين الاصطلاح والحكم ومراعاة لزوم التمييز بين الوسطية كمصطلح علمي والوسطية كشعار. و ليس بخافٍ أن من شأن تأسيس مفهوم الوسطية على أي من تلك المعاني القيمية أن يحول الوسطية من مصطلح علمي إلى شعار دعوي أيديولوجي قليل القيمة العلمية أو عديمها.

- لا يبدو توجها موفقا محاولة البعض نقض أو رفض ما يطرح من مفاهيم أو دلالات للوسطية(**كمصطلح**)، استنادا إلى نصوص البيان الشرعي قرآنا أو حديثا. فالاصطلاح الوضعي يعد من العفو أو المباح، وأساسه الإرادة والاتفاق و- حد علمنا - لا ينص البيان الشرعي على مفهوم معين وملزم للوسطية؛ بل إنه، كما سبقت الإشارة، لم يستخدم لفظ الوسطية تحديدا. ولا يعني ذلك القول أنه ليس للشرع دخل بمصطلح الوسطية، ليس فقط لان للشرع دخلاً بما هو عفو أو مباح، وإنما أيضا لان الشرع يتضمن موجهات عامة للاصطلاح الوضعي. ومن تلك الموجهات ما يتعلق بالهدف من الاصطلاح، مثل ضرورة أن لا يكون الهدف منه التشويش على المفاهيم أو الاصطلاحات الشرعية بطريقة أو أخرى؛ ومنها ما يتعلق بالدلالة، مثل عدم جواز محاولة إفراغ المصطلحات الشرعية من دلالاتها الشرعية؛ ومنها ما يتعلق بالرمز، مثل عدم جواز وضع رموز سلبية لمضامين شرعية. و من الواضح إن مما لا يتفق مع روح الشرع، ولا مع الأصالة الحضارية، اختيار رموز أعجمية / غير عربية لمصطلحاتنا أو استعارة المصطلحات الأجنبية، خاصة ذات الأبعاد الاجتماعية و الفكرية، دونما ضرورة و تمييز في ضوء مرجعيتنا الحضارية.

- إن الشرع الإسلامي، وإن كان لا ينص على مفهوم واحد ملزم للوسطية، إلا أنّه من المؤكد أن الشرع أيا كان المفهوم الذي قد يتم الاصطلاح عليه للوسطية لا يخلو من حكم ينطبق على مدلولاته، إباحة أو حلا أو ندبا او كراهة أو تحريما. و لعل من الواضح أنه ليس بالضرورة أن يكون الحكم الشرعي مؤسسا على وسطية تلك المدلولات.

وعموما، صحيح أن استحسان الشرع الإسلامي للوسطية لا يقتصر على معناها المناهض للتشدد و الغلو و - في الوقت نفسه - اللامبالاة والتفريط الديني أو السياسي، و إنما يتجاوز ذلك إلى مضامينه التي تؤسس لاستنباط الوسطية قاعدة شرعية معتبرة في تحديد الخيار المشروع، قولا و فكرا و سلوكا عمليا، في بعض ما سكت عنه أو أمر به و لم يبينه. بيد أن ذلك لا يتيح أو يجيز الميل الشائع إلى نصب الوسطية مرجعية عليا، لأن الشرع الإسلامي وإن كان قد شرع الوسطية و أمر بها في أمور - فإنه لم يشرعها/ يستحسنها في أمور أخرى، وإن كان قد تضمن ما يفيد الاستنتاج أن الوسطية قاعدة معتبرة مع أنها ليست القاعدة الوحيدة، وربما ليس الأهم، التي اعتبرها الشرع. بل لم يلزمنا الشرع الإسلامي بالوسطية، حتى بمعنى الخيار

والأفضل في كل شأن. و ليس بخافٍ أن الندب إلى الوسطية، بمعنى الخيار والأفضل، لا يخلو أحيانا من الندب عن الوسطية بمعنى البينية. ولعل المعنى اللغوي والتقييم العرفي للوسطية يدعمان موقف الشرع من الوسطية.

وليس نقضا، وإنما تأكيدا لما تمهد عن إقرار الوسطية في الإسلام، يمكن الإشارة بإيجاز إلى أن الحديث الشائع عن وسطية الإسلام بين المسيحية و اليهودية - كما ورد في تراثنا الإسلامي ودرج الخطاب الديني المعاصر على الاقتباس منه تكرارا، مع رفده بالحديث على منواله عن وسطية الإسلام بين الرأسمالية والماركسية، أو وسطية الحضارة الإسلامية بين الحضارة اليونانية والحضارة الغربية، أو ...إلخ - هو حديث يخطئ المقارنة حينا و تشوبه الانتقائية حينا آخر ولا ينقصه الانحراف عن ذات الوسطية أحيانا. و لا يسع المقام تفصيل القول في ذلك بيانا و استشهادا.

وإذا كان - في ما يبدو لنا - الهدف الأساسي لدعوة الوسطية عند كثيرين هو محاربة التشدد والغلو الديني و السياسي في معاملة الآخر، خاصة غير المسلم، فإن مما يتعين الأخذ به في الاعتبار ضرورة الاحتراز من أن يفضي التركيز المبالغ فيه على الوسطية في معاملة الآخر إلى التشويش على حقيقة أن ما يندب إليه الشرع الإسلامي في معاملة الآخر، مسلما كان أو غير مسلم، ليس هو الوسطية أو على الأقل ليس الوسطية حصرا، بقدر ما هو الإحسان قولا ﴿**وقُولوا للنّاس حُسْناً**﴾ وعملا ﴿**إدفَعْ بالتي هي أحسن**﴾ بل أن الشرع الإسلامي يندب أتباعه إلى الإحسان في المعاملة، ليس مع الآخر من البشر فقط، وإنما مع الآخر حتى من غير البشر (**فأحسنوا الذّبح**). وإذا كان المرغوب في معاملة الآخر هو الإحسان والإيثار، فان محاولة توسيع مفهوم الوسطية في معاملة الآخر، ليعنيَ - في الوقت ذاته والاستعمال نفسه - الإحسان والإيثار إضافة إلى "**البينية**"، لا تخلو من تكلّف لغوي و تعسف مفهومي واختزال معيب للمبادئ والقيم دونما ضرورة معتبرة.

و أخيراً، أحسب أن من الوسطيّةِ الوسطيّةُ في مفهوم **الوسطية** كمصطلح وفي الدعوة إليها كشعار أو مبدأ. وليس من الوسطية الإفراط أو التفريط في الوسطية كمصطلح أو في الوسطية كشعار أو ادعاء احتكارها دون الآخرين. ■

٣ مداخلـــــــة

الأستاذ عدنان أبو عودة

دخلنا هذه القاعة قبل يومين لنتحاور تحت لافتة «الوسطية بين النظرية والتطبيق»، وهي عبارة توحي بالتردد والمراوحة. وكان من الطبيعي أن يطمع ، أو يأمل، كل واحد منا أن نخرج من القاعة بعد استكمال الحوار لتغيير اللافتة لتصبح: «الوسطية من النظرية إلى التطبيق». فنعلن بذلك أننا انتهينا من الجانب النظري، ووضعنا أرجلنا على بداية الطريق نحو التطبيق لنعقد ندوة أخرى حول أساليب التطبيق وطرقه.

لقد قرأنا أوراقاً تعليمية قيمة، واستمعنا إلى تعليقات متنورة، وتعلمنا منها الكثير، وتمتعنا بها، وكانت في معظمها عن البعد النظري المتعلق بالوسطية. وهنا أود أن أوافق على الملاحظة المتبصرة التي قدمها الدكتور علي محافظة حول عدم تقسيم الموضوع الكبير إلى محاور، الأمر الذي عرّضنا إلى قدر من الارتباك والتشويش. ولأن مشاركتي مع السيدات والزملاء المشاركين في هذه الورشة جاءت متأخرة، فقد أقنعت نفسي بأمرين:

الأول: أن أجري محاولة أخيرة لإزالة أكبر قدر من التشويش عن نفسي، وأشاطركم بها لعلني أكون عوناً لمن تشوش مثلي.

والثاني: أن ألم الموضوع بالقدر الممكن. وهذه هي مداخلتي.

تاريخياً، وحسب ذاكرتي التي أخذ يعلوها الصدأ، أعتقد أن إثارة «الوسطية» من جديد كمفهوم وقعت قبل الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول بكثير في أحد اجتماعات مؤسسة آل البيت في عمّان. وكان سمو رئيس المنتدى الأمير الحسن هو الذي أثارها. وقد أُخذ الموضوع حينئذ بتقبل وحماس.

ثم كان الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول بتداعياته. وكان من نتائجه السريعة أن وضع الإسلام وبعض الدول العربية والإسلامية في موضع الشبهة. وما لبثت أن تحولت الشبهة إلى اتهام وعمل مسلح كانت ساحته أفغانستان.

وفي هذه الأجواء، وجدت الحكومات نفسها في موقع دفاعي لتبرئ نفسها من مسؤوليتها عما حدث، كما وجد المثقفون من خارج الدوائر الرسمية أن الإسلام نفسه هو المتهم، وأن من واجبهم الدفاع عنه. وبشكل عفوي وغير منسق، انبرت الحكومات للدفاع، وكذلك المثقفون: الحكومات للدفاع عن نفسها، والمثقفون للدفاع عن دينهم. ولجأ الإثنان معاً إلى «الوسطية» يتشبثون بها أداة رئيسية للدفاع.

إذاً، انتقلت الوسطية من أداة للتحوط إلى أداة للدفاع الفكري المباشر. ولم يتجاوز الجانب العملي في الحالين حتى الآن أمرين اثنين: الأول طوعي، وتمثل في الكتابة عن الوسطية والتحدث عنها في أجهزة الإعلام والندوات؛ والثاني رسمي، وتمثل بالشروع في تعديل مناهج التربية.

وفي خضم الهجمة المكثفة وارتباك الدفاعات، استخدم مصطلح الوسطية ليعني أشياء كثيرة. فالبعض استخدمه كأيديولوجية، والبعض الآخر فهمه فضيلة ملازمة لأمة بعينها، وآخرون رأوا فيه منهجا في التعامل مع الآخرين. وقد عقدنا ندوتنا هذه، ومنا من جاء إليها وهو يحمل واحدا، على الأقل، من هذه المفاهيم، وأنا شخصياً واحد منهم.

لقد حاولت أن أدلي بدلوي في تعريف الوسطية، ضامناً أجراً وطامعاً بأجرين. ولاحظت أن كل من يتحدث عنها ينطلق من الآية الكريمة: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾. وسمحت لنفسي (واعذروني في ذلك) أن أنطلق في مغامرة تفسيرية بعد أن اطلعت على تفسير الآية الكريمة في عدد من كتب التفسير. ووجدت أن الاختلاف في التفسير صادر عن اختلاف قي تفسير كلمتين اثنتين تعتبران مفتاح فهم الآية الكريمة: الكلمة الأولى «وسطا»، والثانية «شهيدا». وقبل أن أشاطركم رأيي، أجد من الضروري أن أوضح أمرا لا يتعلق بمعنى الكلمات، بل بتركيب الجملة، وهو أن الوسطية فيها ليست لذاتها، بل لتحقيق مقصد، حيث تقول: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾.

قاموس العرب المحيط لابن منظور، وهو القاموس الذي رجعت إليه، يفرق بين وسَط بفتح السين، ووسْط بتسكينها. فمعنى وسَط هو **معتدل**، ومعنى وسْط هو **بين**. ومعتدل من الجذر **عدّل**، ومنها تشتق كلمة **عدل**، ليس مصدراً فقط، بل أيضاً بمعنى الصفة، إذ نقول

شاهد عدل، مثلاً. أما الكلمة الثانية فهي شهيد، ولا تعني شاهد. فجمع شهيد **شهداء**، بينما جمع شاهد **شهود**. وحينما انتقلت الآية من ذكر الجمع ﴿**شهداء على الناس**﴾ إلى المفرد ﴿**ويكون الرسول عليكم شهيدًا**﴾، انتفى معنى الشاهد وأي تفسير للآية يبنى على مفهوم الشاهد. ولكن ما هو الشهيد؟ الشهيد في الآية لا يعني الشهيد الذي يقتل أثناء الجهاد. هنالك معنى آخر للشهيد في لسان العرب المحيط، وهو **النبي** أو **المبيّن**، كما يرد في الآية الكريمة: ﴿**ونزعنا من كل أمة شهيدا**﴾، أي نبيا يبين لهم طريق الحق والصواب. وأنا أميل لهذا التفسير بناء على حقيقتين: الأولى، أن الآية الكريمة تدعو إلى العمل، وهو الدعوة. فهي آية وظيفية وليست عقدية، أو هي، كما في التعبير السياسي، فقرة عاملة Operative . والثانية، أن الدين الإسلامي عالمي، وهو دين تبشيري ليس لأمة بذاتها، بل لكل الأمم ولكل الناس. ولأنه دعويّ أو تبشيري، فيحتاج إلى دعاة. وحتى ينجح الداعية لا بد أن يكون عدلاً عالماً بالموضوع وبالسبيل إليه، فلا يتحيز لطرف ضد الآخر، أو لاتجاه دون الآخر، على حساب الحق والصواب، الأمر الذي يجعل الآخرين يحتكمون إليه، أو يرجعون إليه فيما يواجهونه من مشكلات أو مآزق في حياتهم، أو في حالة الاختصام والنزاع، تماماً كما هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يبين للناس وللمؤمنين طريق الحق والصواب. وبهذا المعنى يكون المسلمون مرجعية موثوقة، مثلما أن الرسول هو مرجعيتهم. ويمكن التوسع بهذا المعنى فنقول: إن المرجعية لا غنى للناس عنها في حياتهم، ولاغنى لها عن الناس لأن من واجبها أن تكون في تواصل معهم كي تتعرف على مشكلاتهم وعلى المتغيرات في الحياة، فتقدم خدماتها لهم لوجه الله والحق. ويمكن أن نذهب أبعد من ذلك فنقول: إنه حتى يقدم المسلمون للناس خدمتهم بصفتهم مرجعية، يجب ألا يعزلوا أنفسهم عنهم ولا يستعدوهم وهم يحملون إليهم دعوة الحق والخير كيلا يصبحوا طرف خصومة ونزاع فيفقدوا مكانتهم التي اختارهم الله سبحانه لها. ويمكن كذلك التوسع بهذا المعنى فنقول في حياتنا المعاصرة، ونحن نواجه مشكلات التفاعل والتنمية والتطور مع العالم: إن مفهوم الوسطية منهجاً ومقاربة يفترض الحوار والتعددية وحرية التعبير والاعتراف بالآخر، وجميعها مرتكزات لمفهوم الديمقراطية.

إذاً، الوسطية لا علاقة لها بمكان الإنسان أو منزلته بين السماء والأرض، وبين الملائكة والحيوان، إلخ. من البينيات. فوسَط، ابتداء، ليست ظرف مكان، بل صفة تعني الاعتدال، والآية الكريمة تحث على تبني منهج، وتدعو إليه، ولا تتوقف عند وصفه. والسؤال هو: كيف نوظف الوسطية دفاعاً عن الإسلام والمسلمين أولاً، كما يفرض واقع الحال علينا هذه الأيام؟ ثم كيف نجعل هذا المنهج ميزة ملازمة لنا في سلوكنا الفردي والجماعي؟

إن الدراسات التي قدمت لنا في هذه الندوة ذات فائدة بطرحها على الآخر المحاور أو المفتري أو المعادي، لكنها غير كافية، إذ إنها تحتاج إلى تجليات سلوكية خارج إطار مفهوم الضعف والاستكانة. وهي مفيدة أيضا لأنها تذكرنا، أو تبعث فينا، الصحوة بأن في تراثنا من الفكر ما يمكننا تحويله إلى أسلوب عمل نتبناه في تعاملنا مع بعضنا ومع الآخر، سواء على الصعيد الفردي أو الجمعي، أي الحكومي.

وأخيراً، وليس آخراً، إن حقيقة بحوثنا لمفهوم الوسطية للدفاع عن أنفسنا وديننا هي اعتراف ضمني بإيماننا بحوار الحضارات. فكيف ننشئ هذه العادة؟ ليس بالتبشير بها، بل بممارستها والاقتداء بمن يجسدها. ■

٤ الوسطيّة كمفهوم قرآني

(ملخص)

الدكتورة وجيهة صادق البحارنة

لا يوجد في التاريخ العربي والإسلامي تصالح على مصطلح «وسطية»، بل وجد جلباب يدعى «وسطية» استل حديثا من القرآن الكريم، ثم صار يتسع للأفكار والتنظيرات المختلفة، وتفاعلها المؤلم مع أزمات الأمة. فالفئة المُراضِية (للغرب) أخذت الوسطية بمعنى الملائمة والموافقة والمتكيّفة والمتقبلة (المعتدلة بالمعنى السياسي)، والمصادِمة (للغرب) فهمت الوسطية بمعنى اللامنحرفة التي لاتحيد عن الصراط، والمحافظة والثابتة على الطريقة المثلى، لا شرقية ولا غربية! وكأننا أمام لفظ مُخْترَع بلا دلالة، كلّ اخترع له مدلولا يناسب مزاجه و خطه، ولم تُجدِ عملية حسم المفهوم لصالح أي فريق في حلحلة المواقف وما ثبتت ووتّدت عليه.

هل الوسطية (المُخترَعة) تستنكر الإرهاب؟ وتشجب فتاوى الكره والقتل؟ وتحارب مصادرة الحريات؟ وترفض صراع الحضارات والأديان؟ الحقيقة أن الدين الرباني الصحيح يفعل ذلك.

إن اللغة تحتمل هذا التوصيف للوسطية، لكن لا علاقة لكل ذلك بالوسطية القرآنية. فالقرآن الحكيم الذي حدد معالم الإسلام جاء على خط تكامل الرسالات وتراكمها، وفيه تبيان لكل شيء سلفا. وجاء بتعاليم تحفظ إنسانية الإنسان ليصون سلْمه وسلامه مع ربه ومع الكون ومع الطبيعة ومع بعضه البعض. الذين استقرأوا سمات الإسلام الحنيف وجدوا فيه العدل والتسامح والقوة والعزة والحث على مكارم الأخلاق التي يتوسط كل خلق فيها بين طرفين مذمومين من إفراط وتفريط، بل إنه يدعو للتوسط والتوازن في الأمور جميعاً، ويستوعب المادة والروح، والفردية والجماعية. ولهذا نحن لسنا بحاجة إلى (جلباب الوسطية) لننهي به مشكلاتنا، لكننا بحاجة ماسة إلى مراجعة مصادرنا المعرفية وإعادة اكتشاف مداليل نصوصها بنقائها، لا تلقيمها اختراعاتنا. والقرآن الكريم هو أول تلك المصادر الشريفة التي صادرنا كلماته وألجمنا مفاهيمه لحاجاتنا السريعة المنفعلة. هذه المراجعة الرصينة هي دور الأمة (الوسط).

لكن ما هي الأمة الوسط **﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً ...﴾**؟ لا أحد يمتلك الإجابة على هذا السؤال لأن موضوعه ليس بناء فكرياً وحذقاً نظرياً وذكاء، بل هو مفهوم قرآني بحت منطوي في أصدافه، عكفٌ لما وضع له. المفهوم القرآني، كحال مصدره القرآن المبين الذي جاء بلسان عربي، يتكيء أولا على اللغة العربية في تحديد مداه، وثانياً على سياق الخطاب القرآني. ولم يسبق للقرآن الكريم أن أطلق هذا الوصف على أمةٍ من الأمم، كما لم يحدث تاريخيا أن ادعاه أحد من الأمم، فهو وصف بكر جاء سمة في الأمة الخاتمة، هنا وفقط هنا.

(١) – لكن هل الأمة الإسلامية كلها هي الأمة الوسط؟ لا، وإلاّ لورد «وكذلك جعلناكم جميعا أمة وسطاً» . وبدليل أن في الأمة الإسلاميّة المنافق والضعيف وشاهد الزور والمنقلب على عقبيه.

(٢) - هل الأمة العربية هي الأمة الوسط؟ لا، ففي الأمة الوسط أفراد من جميع القوميات. هذا أصل إسلامي لا غبار عليه، والرعيل الأول موضع تنزل الخطاب في حيويته الأولى كان يحوي الفارسي والرومي والحبشي والقبطي بجانب العربي، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

(٣) - وكيف تتكون الأمة الوسط؟ لقد تكونت في أول سوية لها في صدر الإسلام من أفراد محددين وستظل كذلك. وهذا يعني أن مكوِّن الأمّة الوسط كان غير موجود قبلاً، لكنه آن أن يتم بجعل رباني مع بزوغ النبي الخاتم ﷺ. فالأفراد المبعثرون قبل مجيء النبي ﷺ، جعلهم سبحانه (أمة وسطاً) ليكون أولئك الأفراد شهداء على الناس.

(٤) - وهل الرسول ﷺ شهيدٌ على الناس؟ لا، بل هو شهيد على الشهداء الذين جُعلوا أمة وسطا. وهو ﷺ ليس من أفراد هذه الأمة الوسط، بل هو فوقها. والشهداء هم الشهداء على الناس. وبهذا تتحقق عالمية رسالة سيدنا محمد ﷺ ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾.

(٥) - لكن ما هي سمات الشهداء على الناس، لندرك الأمة الوسط؟ باستقراء آيات القرآن الكريم نرى أنهم:

١- مسلمون على دين إبراهيم، على الملة المحمدية الخاتمة، وهم معتصمون بالله وحده.

٢- آمنوا وصبروا وتركوا الظلم.

٣- أطاعوا الله والرسول وآمنوا بالنبيين جميعاً.

٤- لهم أجرهم (أي عاملون) ولهم نورهم (أي عالمون).

٥- لا يتشبثون بالقشور ولا يتشددون، بل يمضون مع الأمر الإلهي.

٦- هم في كل مكان، وليس لهم جغرافية محددة.

٧- لديهم الحجة على الناس (علماً وخلقاً)، ولا يرفضهم إلا الظالم.

(٦) - ما موقع ﴿وكذلك﴾ في الآية الكريمة؟ إن سياق سورة «البقرة» هو سياق منتظم في أمر واحد هو تجهيز دعاة وطلائع ومشاعل الرسالة الإلهيّة للناس كافّة. هذه هي خطة الرب منذ وُجد الناس: يبعث برسول، هذا الرسول يصيغ جماعة مفضّلة على العالمين بالاختصاص، فيزكيها ويعلّمها لحمل أمانة نشر الهدى والسلام والرحمة إلى الناس كافة. فمن «تخرج» في مدرسة الصياغة المحمدية ليكون كافة للناس يحب جميع الناس، ويريد رفعة الإنسانية جمعاء، يحترم التنوعات ويبغض التمييز العنصري أو الجنسي أو الطائفي أو القومي أو المادي، فقد «تخرج» ليصبح شهيدا على الناس ﴿كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس﴾.

(٧) - فما هي الوسطية إذاً؟ قرآنياً لا يوجد مصطلح «وسطية»، ولا «أمة وسط»، و«لا وسط بين شيئين». إن كل فرد آمن بالله وبالأنبياء جميعاً، وزكى نفسه وقرأ تعاليم النبيين وحكمتهم، وأدرك أن الرسالة الخاتمة تصديق لما سبق وهدىً ورحمة للعالمين، وأن القرآن بلاغ للناس جميعا، وفهم الدين الواحد، وأنه لا عنصري ولا قومي ولا يهودي ولا نصراني، بل ملة إبراهيم حنيفا، ولا وصاية ولا عصبية، بل أفراد أحرار يحبون أن يكونوا شهداء على الناس، لا تزعما، بل يبذرون الحب كعيسى عليه السلام، وينشرون العدل والسلام كمحمد ﷺ، ويرفضون الطغيان والظلم كموسى عليه السلام، أيما أفراد وجدوا وحيث كانوا، فهم يشكلون نصيبا من المجعولين (أمة وسطا)، واسطة الرسول في إيصال رسالته العالمية الخاتمة للناس. ■

٥ نحو مفهوم للوسطيّة الإسلاميّة

(ملخّــــص)

الدكتور عزّ الدين عمر موسى

مـن المفترض أن يـكـون المتـحـدِّث في هـذا الموقـع أخـي الصديق زهدي الخطيب. لكن ألـمَّت به وعكة خفيفة أقعدتهُ عن المجيء، فطُلِب منّي أن أسدّ مسدّه. والمعلوم أن نائب الفاعل، وإن سدَّ مسدّ الفاعل، لا يماثلهُ ولو أخذ حركته. لذلك فستجدون لي العذر بأنني لم أكتب شيئاً كما كتب الإخوان لأنني بُلِّغت اليوم، وحاولتُ أن أرتِّب أفكاري، فأرجو أن تجدوا لي عذراً إن كانت الأفكار غير مرتّبة.

في اليوم الأول من هذه الندوة دخلتُ الجلسة وفي ذهني الوسطيّة واضحة، وخرجتُ مشوشاً كما تشوّش أخي د. عدنان حسين [رئيس جلسة المائدة المستديرة]، وسألني أحدهم فقلتُ لـهُ: «والله دخلت الجلسة والوسطيّة واضحة، وخرجت في ظلاميّة لم أجد دليلاً يُخرجني منها. لكن في الجلسات الأخرى، وفي المُناقشات، بدأت تتّضح معالم المشكلة شيئاً فشيئاً، على الأقلّ بالنسبة لي».

لي في هذا الموضوع وقفات قصيرة جالت في النفس في ساعتها، فهي خواطر.

أولاً : مع العنوان والمصطلح، وهما «مفهوم للوسطية الإسلامية». والسؤال هل الذي بين أيدينا هو الإسلام، أم أنه فهمنا للإسلام!؟

نـعـم إنـه فـهم إسلامي لأن منطلقه من ثوابت الإسلام، قرآناً وسنة؛ فهو فكر إسلامي ليس بالضرورة هو الإسلام ذاته. فهو بشري وابن مرحلته وبيئته، وقد نتفق أو نختلف معه. وما أجمل ما فعله الإمام الطبري عندما وسم تفسيره الكبير «تأويل التنزيل»، وابن قتيبة مع الحديث وجعل عنوان كتابه «تأويل مختلف الحديث».

ثانياً : الوسطية في تفسير الأمة الوسط هي الاعتدال. هذا ما في أغلب التفاسير. وهذا تأويل أقرب إلى العقل. ولهذا فالوسطية ليست محوراً في ثنائية، وإنما هي وسـط بين طـرفين مـرذولين، هـمـا الإفـراط والتفريط. وكل مظاهرهما عدم اعتدال. فهما ظلم تماماً كالكفر والشرك. ومن ثمَّ يجب رفع الظلم في سائر أشكاله وألوانه.

ثالثاً : في ضوء ما سبق ينداح سؤال رئيسيّ، وهو: لماذا نقف مع الظالم!؟ ألا يستوجب الشرع رفع الظلم!؟ ومن ثم تصبح حركة التغيير حركة دفاع عن النفس والعرض والمال والدين واجبًا شرعيًا. ولهذا لن تكون الوسطية أداة في يد طاغية ليتجبر، أو في يد نظام قائم فيه شيء قليل أو كثير ليستمر، ولا استسلام لاحتلال جاثم، بل دعوة لرفع كل هذه الصور والأشكال.

فالوسطية لا اعتذارية ولا تبريرية؛ بل هي إصلاحية، وقد تكون بالضرورة تغييرية. وعلى هذا فإن الوسطية ليست مرحلية؛ وإنما هي مطلوبة في كل حين، ومع كل جيل. فهي لب الدين وجوهره. ■

[مداخلـــة]

نحن والوسطيّة في عالم اليوم

(ملخّــص)

الدكتور أحمد جلال التدمري

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان الصلة بين الوسطية وواقعنا العربي اليوم.

لقد تعددت مفاهيم الوسطية واختلفت خلفياتها، إلا أن مفهوم الوسطية العام يأتي على معنى وسط الشيء، وبمعنى آخر خير الأمور أوسطها. و«التطرف» يميناً أو يساراً هو مصطلحٌ مضاد لمصطلح «الوسطية» الذي هو من الوسط «الواقع بين طرفين». ويحمل معنى الوسطية في طياته معنى «العدل». وتتصف الوسطية بأنها نهجٌ تعاملي يقوم على اتخاذ موقف متوازن بين حالتين سلوكيتين قابلتين للتنظير والتحليل والمفاضلة والمقاربة بينهما، وصولاً إلى الموقف المناسب الذي لا يتعارض مع ثوابت القيم والشرائع والأعراف.

المعنى السائد للوسطية هو الموقف الوسط بين طرفين متعاكسين أو بين فكرتين متناقضتين، وهو أساس التوافق الاجتماعي وبناء العلاقات الإنسانية بين البشر.

في اللغة: وَسَطَ الشيء، (يَسِطُه) وَسطاً، وسِطَةَ: صار في وسطه، والأوسط: المعتدل من كل شيء. ويقول الراغب الأصفهاني في مفرداته: إن الوسط: ما له طرفان متساويا القدر. والوسط من كل شيء أعدله ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾، كما يطلق بمعنى المعتدل فيقال: شيء وسط، أي بين الرديء و الجيد.

أما اصطلاحاً، فالوسطية حالة خطابية أو سلوكية محمودة تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط.

الوسطية في الفلسفة تعني الجمع التكاملي بين ثنائيات الوجود. الرؤية الوسطية هي نقيض تام للرؤية الواحدية السائدة. فإذا كانت الواحدية تقسم الوجود إلى «ثنائية تناحرية» بين «الخير والشر»، فإن الوسطية تقسم الوجود إلى «ثنائية انسجامية تكاملية» بين أطراف مختلفة تكمل بعضها البعض: الذكورة والأنوثة، النهار والليل، السماء والأرض، الدنيا والآخرة الخ... . والثنائية التكاملية لا تنفي ثنائية الخير والشر. فالخير يكمن في«الوسطية»، أي في انسجام ثنائيات الحياة وتكاملها؛ والشر يكمن في «التطرف» أو «الواحدية»، أي في صراع هذه الثنائيات وسيادة طرف منها على حساب الآخر. فالذكورة وحدها أو الأنوثة وحدها تعني الاضمحلال والموت، لكن انسجامهما وتوحدهما يعني الخصب والولادة وديمومة الحياة. ومما تقدم نجد أن الوسطية هي موقف ورؤية منفتحة وواسعة يمكن أن تتعامل مع مختلف المعتقدات السياسية والثقافية والدينية. ويكمن جوهر الوسطية في التعددية المنسجمة بين الحياة والعقل، وفي الإيمان بأن الإنسان يمتلك القدرة الداخلية على تطويع الحياة الدنيوية لتحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة.

أما **الوسطيّة في الإسلام**، فقد قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾، أي أمة عدل و«سماحة». وإنّ الإسلام يربي على الوسطية في كل شيء، في العقيدة والتعبد، والتعامل والمنهج؛ وهو يحارب الغلو والتشدد،

وينهى عن التقعّر والتنطّع. ويأتي مفهوم الوسطية في الفقه الإسلامي على معنيين، الأول ضمان وسط الشيء الذي يتوسط فيه، فخير الأمور أوسطها ، والثاني هو أفضلها وأعلاها.

إن الوسطية والتيسير لا تعني التهوين من شأن حدود الشريعة والاتباع لما تهوى النفس؛ ولا تعني إلغاء التعددية، بل تقريرها وترشيدها. وهنالك أصول لا يجوز التوسط فيها، فالأصل في جميع الأشياء الوسطية والاعتدال إلا ما خرج بالدليل، والمستثنيات من ذلك قليلة جداً وأهمها:

- المسائل الاعتقادية أو أي أصل من أصول الدين لا تقبل الوسط ولا التجزئة ولا التبعيض. قال تعالى: **﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا﴾**.
- الأمور التي فيها نص صريح كالقصاص والحدود وبعض أبواب الفقه الأخرى .
- المسائل الأخلاقية والسلوكية ، فليس هنالك وسط بين الكذب والصدق، والاحترام والاحتقار، والانتقام والعفو، والحلم والغضب، والفضيلة والرذيلة، والعلم والجهل.
- الأمور المستحب فيها الإقدام والإسراع، كالأمور الخيرية وغيرها.

وللنهوض مرة أخرى في المجتمعات الإسلامية لا بد من الرجوع إلى النصوص الدينية التي تعكس نهج الوسطية في الإسلام وتشمل في تطبيقاتها جميع المجتمعات على اختلاف معتقداتها ومذاهبها.

إنّ الإنسان مكون من روح وجسد، ولكل منهما مطالب واحتياجات، وقد راعت الشريعة حق الروح وحق الجسد، فلا روحانية مقترة ولا مادية مسرفة، بل تعادل وتوازن بينهما. ودعت إلى تنمية الحس النوعي عند الفرد لجعله يهتم بالآخرين كما يهتم بنفسه. كما اقتضت الوسطية الإسلامية موقفاً بين الارتماء في أحضان الدنيا و بين الرهبانية المنقطعة **﴿وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** . وجاء في القرآن الكريم لفظ الوسط ومشتقاته في مواقع عديدة منها:

﴿حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى﴾، **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾** وغيرها.

يتصف **عالم اليوم** بأنه عالم الصراعات والأزمات، تتنازعه المصالح وتتحكم فيه القوى «المنفردة» في غياب شبه تام للقيم والأخلاق والعدالة، وهي المحرك الأكبر للصراعات والنزاعات داخل المجتمعات وخارجها. ولعل هذا هو أسوأ ما يمر به العالم اليوم ممثلاً بالدرجة الأولى بعالمنا العربي والإسلامي وغيره من دول العالم الثالث.

وللعبرة يمكننا أن نعود إلى التاريخ العربي، حيث سادت حضارة إنسانية من خلال منهج الوسطية بين مختلف الشعوب والديانات والطوائف في تعايش سلمي آمن، وفقت فيها بين العلوم والمعارف ، واندمجت فلسفات وثقافات وعلوم من حضارات سابقة، كالحضارة الفارسية واليونانية والهندية، في سياق الثقافة الإسلامية. ونتيجة لفقدان الاعتدال والوسطية في عصور تلت تلك العهود تولد التخلف، وظهرت الصراعات والنزاعات في ربوع الوطن، وسادت المبادئ الهدامة والنظريات المنحرفة، فدب الضعف والتشتت، واكتسح الغرب بلاد المسلمين ، وفرض ثقافته وقيمه وأساليبه في الحياة عليها. ومما سبق نجد أن الوسطية هي الطريق، وأن الأمة التي تتمتع بالحيوية تأخذ بالوسطية في الجمع بين عناصر الخير والقوة في توازن بين جميع التيارات، وفي مرونة تشمل جميع المجالات، ضامنةً بذلك مستقبل الدولة واستقرار

المجتمع، فلا تكون متصلبة فتكسر، ولا لينة فتعصر، وتتوجه إلى إصلاح الذات وتربيتها وجعلها أصل الخير والبناء الذي يقوم عليه المجتمع السليم في مواجهة أحداث العصر. واليوم يبرز توجهان، ففريق يرى أنه «لا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها»، وفريق يرى أنه لا يمكن أن تتقدم الأمة إلا باتباع مناهج جديدة وقيم متطورة تتمشى مع التطور العلمي والعلماني والعولمي. وبين هؤلاء وأولئك نسمع أحياناً أصواتاً تدعو إلى الوسطية والاعتدال وتحاول التقريب بين الطرفين، على اعتبار أن السلوكيات لا تعدو أن تكون واحدة من ثلاث: إفراط في شيء، أو تفريط في شيء، أو الاعتدال والموازنة بين الاثنين. ويرى عدد من المفكرين العرب أن خروج الأمة الإسلامية من الضعف إلى القوة والعزة، واستعادتها لمجدها الحقيقي يكمن في اتباعها الوسطية والاعتدال بعيداً عن التطرف الأعمى، وتجنباً للرضوخ لمنهج العولمة والتغريب، وعوداً إلى قوله تعالى: ﴿**وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾. ويبقى في النفس تساؤلٌ شرعي: هل تَصلُحُ الوسطية منهجاً للضعيف والمستضعَف؟ و هل تحرر الوسطية بلداً محتلاً وشعباً مكبلاً مستعبداً؟ وهل الوسطية قادرة على إعادة حقٍ مسلوبٍ وكرامةٍ مهدورة؟ ■

[مداخلــــة]

الأدوات التمويليّة الإسلاميّة وتأسيس سوق ماليّة إسلاميّة (ملخّــص)

الأستاذ موسى عبد العزيز شحادة و الأستاذ أحمد بندقجي

تميز القرن العشرون بظهور التكتلات الدولية العملاقة التي انتشرت بين الدول في مختلف المجالات السياسية، مثل الكتلة الغربية والكتلة الشرقيّة والكومنولث البريطاني؛ والمجالات الاقتصادية، مثل السوق الأوروبية المشتركة ، من أجل جني الفائدة التي تعود على الدول المشتركة فيها من جدوى التعاون والتقوّي بالآخرين على مجابهة الأحداث غير المتوقعة. وكانت السوق الأوروبية المشتركة أساس ما يعرف اليوم بالاتحاد الأوروبي القائم على توحيد السياسات الاقتصادية، وتنمية النشاط الاقتصادي للدول الأعضاء، واستمرار التنمية على أسس سليمة من أجل رفع المستوى المعيشي العام. وقد شاركت بعض الدول العربية والإسلامية ببعض التكتلات التي ظهرت في القرن العشرين، مثل منظمة التجارة العالمية، ودخلت في اتفاقيات تجارة حرّة مع بعض الدول، لا على أساس الإسلام، بل على أسس أخرى، مثل الجوار أو الولاء السياسي.

يعرف أن الإسلام كان الأسبق في الدعوة إلى التعاون، وأشمل وأبعد أثراً لأنه يعتبر أن الأمّة الإسلاميّة واحدة لا تفرقها الحدود أو السدود ﴿**إنّ هذه أمتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون**﴾. كما أن الإسلام ينظر إلى البشرية على أنها أسرة واحدة، وأنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

ونظراً لضعف الأمة الإسلامية وتأخرها، على الرغم من وجود الإمكانات الهائلة لديها، فإنها أحوج ما تكون

للتعاون للحصول على التكامل والعمل الاقتصادي الإسلامي المشترك في مجال الإنتاج والتجارة الحرة والصناعة والزراعة وغيرها، وهو خيارها الوحيد للارتقاء إلى مستوى التحديات العالمية والتكتلات الاقتصادية العملاقة.

ما الدور الذي يمكن أن تؤديه المصارف الإسلامية في هذا المجال؟

يقوم مفهوم النظام المصرفي الإسلامي على مبدأ الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، وتنبثق ممارساته من تعاليم الإسلام ارتكازاً على استبعاد التعامل بالفائدة المصرفية من أنشطته وتعاملاته. وكانت المضاربة والمشاركة النمطين السائدين من أشكال الربح والخسارة في صدر الإسلام. وقواعد الشريعة الإسلامية كفيلة بحل مشكلات البشرية كلها، حلاً بعيداً عن المشقة والحرج والعنت، لأنها ليست قوالب جامدة، بل هي تدفع الإنسان في ركب التقدم ليبني دنياه دون أن يهدم آخرته. والمعاملات من أهم الميادين التي أثبت فيها الإسلام ذلك، إذ نجح العمل المصرفي الإسلامي وتفوق على صيغ التمويل الربوية على المستويين الفردي والاجتماعي. ونجح في حشد المدخرات والودائع، واتسعت آفاق التمويل والطلب عليها. وتمثل هذه المصارف قاعدة السوق الأولية للمال، لكن التكامل يتطلب وجود السوق الثانوية لاستثمار الفوائض النقدية لديها. وفي غياب التشريعات الإسلامية التي تنظم السوق الثانوية، وجدت المصارف الإسلامية نفسها تساهم – عن غير قصد – في نقل الأموال الإسلامية إلى الأسواق العالمية تحت مظلة المرابحة أو الاستثمار في أسهم الشركات العالمية رغم المخاطر الكبيرة التي تكتنف هذه الأسواق.

ولإعادة هذه الأموال الإسلامية المهاجرة لا بد من إيجاد سوق لرأس المال العربي والإسلامي يكون مرفوداً بعمليات تجارة وتعاون اقتصادي عربي إسلامي لخدمة أهداف التنمية، باستخدام أدوات استثمارية إسلامية (غير ربوية) تتحكم في مسيرة رؤوس الأموال الفائضة لدى البنوك الإسلامية.

تنتشر الصيرفة الإسلامية في أكثر من ٤٠ دولة في القارات الخمس، وتجاوز حجم سوقها ٢٥٠ مليار دولار أمريكي، وهي في نمو مستمر، ولم تعد محصورة في المجموعات أو البلدان الإسلاميّة بل تعدتها إلى الأسواق الإقليمية والدولية. ونظراً للافتقار إلى أسواق ماليّة أوليّة وثانوية للأدوات المالية الإسلاميّة، فقد أدى عدم قدرة البنوك الإسلامية على استثمار الأموال قصيرة الأجل عن طريق الأسواق الثانوية إلى الاحتفاظ بمعدل عال من موجوداتها بشكل نقد يدرُّ عائدا منخفضاً في أحسن الأحوال أو لا شيء.

بدأ إيجاد أدوات تمويليّة إسلاميّة منذ سنتين تقريباً. ومن هذه الأدوات صكوك الإجارة الإسلامية التي أصدرتها كل من مؤسسة نقد البحرين والحكومة القطرية. والإجارة مستمدة من فكرة سندات المقارضة التي كان الأردن أول من قدم مفهومها من خلال مشروع قانون البنك الإسلامي الأردني المؤقت رقم (٣) لسنة ١٩٧٨. ويقع الإطار الشرعي لعملية الإصدار ضمن الإجارة المنتهية بالتمليك، مما يوجب انتقال الأصل للمستأجر في نهاية الفترة المحددة.

بناء على ما تقدم، يجب الإسراع في إنشاء السوق المالية الإسلامية ووضعها موضع التنفيذ، وذلك لمساعدة البنوك الإسلامية على القيام بالدور المأمول منها في الاستثمار والتنمية، وإصدار الصكوك المالية الإسلامية بهدف تمويل الإنفاق الرأسمالي، أو تمويل عجز الموازنة أو غيرها. ■

الجلسة الختاميّة

الاثنين ٢٨/٢/٢٠٠٥

الكلمة الختاميّة لسموّ الأمير الحسن بن طلال (في نقاط)

بسْمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم
والصّلاةُ والسّلام على نبيّهِ الأمين
وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ والاهُ أجْمعين

أخواني وإخوتي:

السّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه:

١ - ماذا بعد؟

ماذا بعد كلّ الكلِم الذي سمعناهُ على مدى الساعات القليلةِ الماضية؟ هل تنوّرنا أكثر؟ وهل سيحفزنا الكلامُ الطيّب على الفعلِ المؤثّر؟ هل نحن مستعدّون للتطبيق؛ للممارسة؛ لبرامجِ العمل التي تصلُ إلى إنساننا في كلّ مكان، وإلى جماهيرنا المتعطّشة للرّقيِّ والتقدّمِ والازدهار؟

٢ - قوةُ الأفكار:

أتحدّثُ هنا - كما تحدّثتُ منذُ البداية - عن قوّةِ الأفكار: لا إنشاءَ، ولا داءَ كلام، ولا فتنةَ كلام! من هُنا، كان لا بدَّ من التكرار والإعادة، سعياً وراءَ التّوصُّل إلى لغةٍ مشتركة، وأرضيّة واحدة، وإطار حضاريّ للاختلاف. فالفكر والثقافة يشكّلان معقلَنا الأخير في هذه الأوقات العصيبة الصّعبة.

٣ - محاورُ الوسطية:

حاولنا أن نتحاور ضمن محاور: بدأنا بالمفاهيمِ والمصطلحاتِ والأفكار؛ ثم انتقلنا إلى الوسطيّةِ في الإسلام؛ وانتهينا بفلسفةِ الوسطيّة، معزّزين كلّ ذلك في مائدتنا المستديرة. كان هذا خياراً من بين خيارات. لكنني أعملُ الآن، مع بعضِ الإخوانِ والخلان، على مشروعٍ كبيرٍ حول **الوسطيّة** يتناولُ هذا الموضوع في مجالات الحياةِ المختلفة، بما في ذلك الفكر السياسيّ، والصعيد الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، والدبلوماسي، إلى ما هنالك. بالمناسبة، أليست الدبلوماسية الهادفة وسطيّةً حتّى بالتعريف؟ آمُلُ أن ننتهي بثمارٍ يانعة لمشروعنا في وقتٍ قريب.

٤ - مبادراتُ عمل:

حان أوانُ التطبيقِ والعمل، ضمن **المسار واحد ونصف** الذي - كما قُلتُ - يجمعُ بين الدور الرسميّ وغير الرسميّ في آن معاً.

- ضمن إطارِ **تجديد الأسلوبيّة** في مخاطبةِ الذاتِ والآخر، وضمنَ إطارِ **استراتيجيّة للاتّصالِ والتّواصلِ والدبلوماسيّةِ العامة**، ماذا لو جنّدنا عدداً من أعضائنا وأصدقائنا للطّوافِ على حواضرِ الغربِ الأمريكيّ والأوروبيّ **«لتسويقِ قضايانا»**، بتوظيفِ شبكةِ معارفنا، ونشر المقالات الهادفة، والاستفادةِ من شتى وسائل الإعلام. وفي هذا المسعى، سيكونُ مركزُ الدراسات الاستراتيجية في **الأهرام** العزيزة، ورديفُهُ: المنظمةُ العربيّةُ لمناهضة التمييز، خيْرَ معوانٍ لنا بذلك الحشد من الكفاءاتِ والطاقات. لا بدّ من التحرّك سريعاً بهمّةٍ وعنفوان؛ مؤمنين بثقافة الإتقان والجودة.

- مبادرةٌ أخرى، أو نَواةُ مبادرة، بروحِ نادي روما، تنسجِمُ مع فلسفتنا الداعية إلى **نظام عالميٍّ إنسانيٍّ جديد**، مبني على التعاونِ والشراكة، في مواجهةِ تغوّلِ الفقر وتدهور البيئةِ الإنسانيّة والطبيعية. وكما ذكرتُ سابقًا، سعيتُ إلى إدراجِ مثل هذا القانون على جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام ١٩٨٧. ومنذُ ذلك الحين حتى تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، وهو يُعرضُ بصورةٍ متجددة. هاكم بعض مكونات ومضامين هذا القانون:

أ - **قضايا كونية**: السكان؛ البيئة؛ الفقر والتنمية؛ الاستعداد العسكري العالمي؛ «الإرهاب»؛ مشكلة المخدرات العالمية.

ب - **قوى التغيير**: الشعوب الجديدة؛ حركات الشعوب؛ النساء؛ الشباب؛ التكنولوجيا الحديثة؛ الشركات المتعددة الجنسيات؛ وسائلُ الاتصال.

ج- **الضحايا**: الجماعات الهشة الضعيفة (الأحداث؛ أطفال الشوارع؛ اللاجئون والمهاجرون والمهجرون؛ المهملون؛ الشعوب الاصليّة؛ المختفون)؛ كوارث من صنع الإنسان (أزمات الغذاء المعاصرة؛ المجاعة؛ التصحر؛ إزالة الغابات؛ مخاطر الطاقة النووية وأسلحة الدمار الشامل؛ الهندسة الوراثية).

أشيرُ في هذا السياق إلى **مبادرة خطّة مارشال العالميّة: عقدٌ كونيّ**. نريد حضورًا بارزًا للمنتدى في هذه المبادرة، بدعمهِ المعنوي عن طريقِ التوقيعات، وترويج الأفكار، والمساهمة في أيِّ عملٍ ميدانيّ.

- أدعو - مرّةً ثانية وثالثةً وعاشرة - إلى **مؤتمراتِ مواطنين**، والانطلاق إلى جماهيرنا في كل مكان، بما في ذلك عربُ المهجر. فلا تنويرَ من دونهم، كما أقولُ دائماً. ماذا لو أنشأنا في هذا المقام هيئة عموميّة لمواطنينا على غرارِ **هيئة هلسنكي للمواطنين** التي انبثقت في الثمانينيّات من القرن الماضي؟ وماذا عن الاستجابةِ لرغبةِ أصدقائنا في آسيا وإفريقيا - منتديات كبرى في الهند وإندونيسيا ومصر وغيرها - في تشبيكِ جمهرةِ المواطنين ضمن نظامٍ سلوكيّ يؤكدُ استقلاليّة الإنسان في ممارساتِهِ **الكليّة** لحقوقه وواجباته. يستطيع المنتدى أن يساهمَ مساهمة جليلة في مثل هذا العمل، الذي بدأناهُ فعلاً. وقد تترك التفصيلات وخطوات العمل للجنة الإدارة، مثلاً. المهم أن نُعطيَ للشبابِ حقهم. فهُمُ القوةُ الدافعة، وهُمُ المستقبل. فلنسرّع عمليّة تأسيسِ فصلٍ شبابيٍ خاص في المنتدى، يُراكِمُ على ما بنيناهُ حتى الآن.

- أعيد الدعوة التي أطلقتها في الجلسة الافتتاحية إلى أن يساهمَ المنتدى، ولو في التصميم والأفكار، في إقامة **وكالة للغوث العربيّ الإسلاميّ**، تعملُ على ترسيخِ الغيريةِ والسلطةِ الأخلاقيةِ والكرامةِ الإنسانية لدى الأمة؛ مساهِمةً بذلك في تعزيزِ **الطبقةِ المتوسطة** في مجتمعاتِنا. وازِعُنا في كل هذا الأخلاق والأخلاقيات، وليس الهيمنة والسيطرة.

٥ - مصفوفة مبادئ:

في الذكرى الأربعين لمؤتمر باندونغ، أدعو إلى الاتفاقِ والتوافقِ على مصفوفةِ مبادئ وقيم، مستلّةٍ من مبادئ باندونغ العشرة وأولويات برنامج عمل مركز الجنوب وسيرورات برشلونة وهلسنكي وسواهما. الأهمُّ في كل هذا: الإنسان؛ الإنسان؛ الإنسان. أعني: السياسةَ البشرية Anthropolitics؛ السياسة من أجل الإنسان، الإنسان المنتج والمشارِك في صنعِ مستقبله.

٦ - التقريبُ بين المذاهب، والحوار بين أتباع الأديان:

أُشيدُ مرةً أُخرى بقرارِ جلالة أخي الملك حمد بن عيسى

آل خليفة - حفظهُ اللهُ ورعاه - تشكيل لجنةٍ للحوارِ السُّنّيّ الشّيعيّ.

٧ - خاتمة:

بكلماتٍ معدوداتٍ، إذًا، وسطيّتُنا هي **اعتدالٌ مستنير**، من دونِ أن نخوض ثانيةً في لُجّةِ اللغويات. هي **اعتدالٌ إيجابيّ**؛ بمعنى أنها لا تقف مكتوفةَ الأيدي إزاء قضايانا، وإنّما تُكافِحُ وتُجاهدُ بالقولِ والفعلِ والموقف. أقول: سنسعى نحو الإصلاح الذي نريد، وسنلتزمُ بانتمائنا (بل إنّ شعارنا يحملُ كلمتين ليس إلاّ: **الانتماء والإنماء**). سنُشعلُ شمعةً، بل شمعات، في هذا الظلام الدامس. ولنْ تكونَ سياستُنا إمّا أو؛ فالمسألةُ ليست أبيضَ وأسود، وإنما هي **طيف** مترامي الأطراف. آمُلُ أن نكون **عقولاً وقلوباً معاً** في هذا المجال وفي كل مجال.

٨ - ما بعد الخاتمة:

وقبل أن تنفضَّ جلستُنا، ونُتممَ آياتِ الشُّكرِ والابتهال إلى الباري عزَّ وجلّ، ونقولَ ختامُها مِسك: أوجّهُ الشكر كل الشكر - بالنيابةِ عنكم جميعًا - إلى جلالة أخي الكبير الملك حمد بن عيسى آل خليفة، أيّدهُ الله ونصره، على دعوته الكريمة وعلى استضافتنا في هذا الحمى المتألق العامر؛ وإلى الطاقم البحريني الكفؤ البارع الذي أشرف على كل الأمور التنظيميّة باقتدارٍ وبشاشة؛ مثلهُ في ذلك مثل طاقم المنتدى: مَنْ كان معلوماً منه أو مجهولاً.

وإلى اللقاء في ندوتِنا الفكريةِ المقبلةِ، **«الحوار العربي الإفريقي»**، في الخرطوم العزيزة، عاصمة الثقافة العربيّة لهذا العام.

أُحيّيكم، وأسلّم عليكم.

■

في المداولات التي جرت في الندوة وردت الخواطر الآتية:

- الوسطية هي الاعتدال المستنير فكراً ونهجاً ودستوراً، وهي دستور ممارسة.
- الوسطية هي التقريب بين طرفين وإزالة الشوائب منهما. وهي الأخذ من الطرفين وصهر الشوائب وإزالتها منهما.
- الوسطية لا تلغي الصراع، وإنما تضبطه عبر آلياتها التي علينا أن نطورها ونضبطها.
- الوسطية تعني الاعتدال والتسامح.
- الوسطية هي حركة مركبة من الشيء وضده.
- الوسطية هي عملية تاريخية سياسية، وهي جزء من واقع المجتمع والتاريخ.
- الوسطية هي المثل الأعلى للبشر.
- الوسطية تعني المقدرة ولا تعني الضعف والخنوع. فمن يكون في الوسط يكون هو القادر على التحكم بالأطراف.
- الوسطية هي منهج وأسلوب وطريقة في الحياة. وهي لا تعني المساومة على الحق.

- الوسطية هي نهج سلوكي.
- تُفهم الوسطية أحياناً بأنها الحوار؛ والحوار ضروري، لكن مع الاعتراف بين الطرفين.
- هل الوسطية هي التوفيق بين الدين والفلسفة، وبين الدين والعلم؟
- هل الوسطية تعني الاعتدال والعيش مع الآخر؟
- إذا كان الإسلام هو دين الحياة، فإن الوسطية هي منهج الحياة.
- الوسطية ليست طوق نجاة.
- ينشأ التطرف من الواقع؛ من حياة الناس؛ من السيطرة.
- هل تصلح الوسطية منهجاً للضعيف والمستضعف؟
- هل تحرر الوسطية بلداً محتلاً ، أو شعباً مكبّلاً محتلاً؟
- ما فائدة الوسطية ونحن تحت الاحتلال؟
- ترتبط الوسطية بظروف عامة وظروف تاريخية تقتضي ظهورها، مثل ظهورها في باندونغ لتكون بين المعسكر الشرقي (الاشتراكية) والمعسكر الغربي (الرأسمالية).
- قد يُختلف في تعريف الوسطية؛ لكن يبقى أنها تنطوي على الاعتدال.
- الوسطية ليست متعارضة مع الشريعة الإسلامية.
- هنالك علاقة بين الوسطية والأخلاق.
- يجب أن تكون الوسطية راشدة ومنهجية علمية، وتنطوي على العدالة والفضيلة.
- نحن بحاجة إلى الوسطية، خاصة بعد ازدياد العنف.
- هل تطبق الوسطية في كل مكان؟ يجب أن يكون واضحاً أن ذلك لن يكون دائماً صحيحاً.
- إن الحريات العامة والمشاركة السياسية واستبعاد الاستبداد هي شروط ضرورية لقيام الوسطية.
- يجب محاربة التدخل الأيديولوجي والسياسي والاقتصادي لأنه سبب التطرف.
- إن التعريف ليس مهماً؛ إنما التطبيق هو المهم. فالمشكلة هي التطبيق وليس التعريف. ونحن نحتاج إلى العقلانية والاعتدال.
- يجب التمييز بين مفهوم الوسطية وبين عدم اتخاذ أي موقف. فالوسطية لا تعني الوقوف عند نقطة الصفر؛ بل هي أخذ موقف وتحرك.
- يجب أن ترتبط الوسطية بالمصلحة والقوة.
- كيف يمكن التوفيق بين الوسطية والجهاد؟
- كيف يمكن تفسير الآيات القرآنية التي يدعو بعضها إلى القوة، ويدعو البعض الآخر إلى العفو واللين؟
- هل تستطيع الوسطية مواجهة التطرف؟ إن التطرف يترعرع في غياب الحكم الراشد.



من مقدّمة الكتاب

تمهيداً للنّدوة الفكريّة السّنويّة لمنتدى الفكر العربيّ - التي جاءت بدعوةٍ كريمةٍ من جلالة ملك البحرين إلى سموّ رئيس المنتدى وراعيه - بعنوان: «**الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق**»، أوصى مجلس أمناء المنتدى، في اجتماعه السادس والعشرين الذي عُقد في مقرّ الإسكوا/بيروت يوم الخميس ٢٠٠٤/١٢/١٦، بأنْ تتقصّى إدارة الدّراسات والبرامج في المنتدى آراءَ أعضاء المنتدى وعددٍ من أصدقائه حول مفهوم **الوسطيّة**، لما يكتنفُ هذا المفهوم من غموضٍ وإبهام.

بناءً على ذلك، وجّه مدير إدارة الدّراسات والبرامج الأسئلةَ الآتية إلى كلّ من دُعي لحضور هذه النّدوة: **في رأيكم**: ما هي **الوسَطيّة**؟ ماذا يَعني **مفهوم الوسطيّة** لديكم؟ هل هي نهج؟ منهجُ حياة؟ سلوك معيّن؟ فلسفة؟ دستورُ أخلاق؟ مذهبٌ؟ فِقْه؟ ما عَلاقتها بالدّين الحنيف؟

وكانت الرّدودُ أفضلَ وأغزرَ ممّا توقعنا كمًّا ونوْعًا. . . .

أ. د. هُمام غَصِيب
مدير إدارةِ الدّراساتِ والبرامج

مُحرّم ١٤٢٦هـ - شباط/ فبراير ٢٠٠٥م
عمّان - الأُردنّ

رسالة سموّ الأمير الحسن إلى جلالة ملك البحرين

الأخُ الكبير صاحبَ الجلالة الملك حمَد بن عيسى آل خليفة أيّدهُ الله ونصرَه
ملك مملكة البحرين

السّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، وبعْد،

أمّا وقد شارفتْ زيارتي إلى بلدِكم الغالي على الانتهاء، بُعَيْدَ اختتامِ أعمالِ النّدوةِ الفكريّة السّنويّة لمنتدى الفكر العربيّ **"الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق"**، وأعمال الاجتماعِ السّابعَ عشرَ للهيئةِ العموميّةِ للمنتدى، فإنّهُ لا يَسعُني إلاّ أنْ أُزجيَ إلى جلالتِكم أسمى آياتِ الشُّكرِ والتّقديرِ والعرفان على دعوتِكم الكريمة وعلى استضافتِكم لمنتداكم.

لقد كان لعظيمِ اهتمامِكم وحكيمِ توجيهاتِكم أكبرُ الأثر في نفسي وفي نفوس صحبي جميعًا. كما كان للأجواء الرّاقية التي أوجدتموها بأريحيّتِكُم وشهامتِكم وحصافتِكم أبلغُ التّأثير في إنجاحِ ندوتِنا واجتماعِنا. وقد لمسْنا بزهوٍ واعتزاز إنجازاتِكم الباهرةَ في كلّ ميدان. وهزّنا ذلك التّفاني في العملِ الذي أبداه بفاعليّةٍ وكفاءةٍ واقتدار الطّاقَمُ العزيز المشرفُ على التّنظيمِ بكُلّ جوانبِه.

صاحبَ الجلالة:

إنّ ندوتَنا هذه كانت من أنجح ندواتِنا عبر مسيرةِ المنتدى، بفضلِ ما تفضّلتُم بتقديمِهِ إلينا من تسهيلات، وبفضلِ أجواء الحُرّيّة المسؤولة والعقلانيّة الرّاشدة، ومُناخ الحوار البنّاء. فمملكتُكم الزّاهرة وَسَطيّةٌ حتّى النّخاع؛ بمعنى الاعتدال المستنير الإيجابيّ، والتّكاملِ بين القولِ الطيّب والفعل المؤثّر والموقف الصّلب.

فأهنّئكم أيّها الأخُ الكبير على قولِكم وفعلِكم. وأتطلّعُ إلى المزيدِ من اللقاءات الماتعةِ البنّاءة معكم. وسأذكرُ على الدّوام تلك السّويعات الغنيّة التي قضيتُها في عاصمةِ مُلكِكُم السعيد.

أسألهُ – جلّ وعَلا – أن يكلأكم وأُسرتَكم الكريمةَ المباركةَ بعنايتِه، وأنْ يُمتّعكم دوْمًا بالصّحّةِ والعافيةِ وبالخيْرِ والسّؤدد. كما أضرعُ إليه تعالى أن يحفظَ مملكتَكم الغالية، ويُسبغَ عليها المزيدَ من المنعةِ والرّفعةِ والازدهار بقيادتِكُم الرّاشدة.

بُوركتُم وبُوركتْ مملكةُ البحرين؛ وسلِمتُمْ أخًا كبيرًا ورفيق درب، وحفظكم الله ذُخرًا وسندًا للوطنِ وللأمّة.

أخوكم المحب المخلص على الدوام

الحسن بن طلال

المنامة في ٢٠ محـــــرّم سنة ١٤٢٦ هجريّة
الموافــق ١ آذار/مارس سنة ٢٠٠٥ ميلاديّة

برقيّة جوابيّة من جلالة ملك البحرين إلى سموّ الأمير الحسن

صاحب السموّ الملكي الأخ العزيز الأمير الحسن بن طلال رئيس منتدى الفكر العربيّ حفظه الله

تحيّة أخويّة طيّبة ومودّة وتقدير، وبعد،

فيطيب لي أن أعرب لسموّكم عن خالص الشكر والتقدير على مبادرتكم المميزة بحضوركم وعقدكم الاجتماع السنويّ لمنتدى الفكر العربي وندوته الفكريّة المهمّة برئاستكم ورعايتكم على أرض البحرين العربيّة، التي تعلمون مدى تقديرها للأشقاء في المملكة الأردنيّة الهاشميّة الشقيقة، وبكل عطاء عربيّ حضاريّ رصين لخير هذه الأمة وصلاحها وتقدّمها.

وفي مقدّمة هذا العطاء العربيّ المتحضّر إسهامات سموّكم منذ عقود في مجال الفكر الإنمائي المتعمّق، عربيًّا ودوليًّا، عبر منتدى الفكر العربيّ وسائر المؤسّسات والمنتديات الإقليميّة والدوليّة التي ترأسونها، بما من شأنه تجاوز الخلل في الحياة العربيّة وإعادة تأسيسها على أسس فكريّة أكثر اعتدالاً وانفتاحاً.

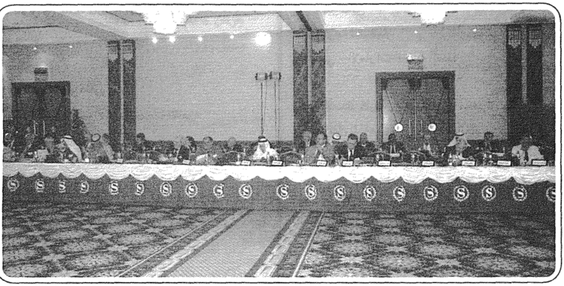
وإذ تنهون اليوم أعمال ملتقاكم المبارك في البحرين بالتوفيق والنجاح، فإنه ليسعدني أن أهنئكم على هذه الإضافة المتميّزة للمسيرة الميمونة؛ متمنياً لسموّكم ولمنتدى الفكر العربيّ وأعضائه كافة المزيد من القدرة على العطاء السخيّ لأمتكم العربيّة.

حفظكم الله ورعاكم؛ ودمتم بعونه سالمين.

أخوكم

حمد بن عيسى آل خليفة

المشاركون في الندوة



١ - الدكتور أحمد جلال التدمري

مستشار لسمو رئيس الديوان الأميري/رأس الخيمة

رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

٢ - الأستاذ أحمد حمروش

كاتب صحفي ورئيس اللجنة المصرية للتضامن

جمهورية مصر العربية

٣ - الدكتور أسعد عبد الرحمن

رئيس مجلس الإدارة

المدير العام في هيئة الموسوعة الفلسطينية

عمّان - الأردنّ

٣ - الدكتورة أمنية أمين

أستاذ قسم اللغة الإنجليزية /جامعة زايد

دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

٥ - الأستاذة إنعام المفتي

عضو مجلس أعيان / مستشارة للتنمية الاجتماعية

عمّان - الأردنّ

٦ - الدكتور إيهاب سرور

نائب رئيس المجلس المصري الأوروبي

القاهرة - جمهورية مصر العربية

٧ - الأستاذ الهادي البكوش

وزير أول في الجمهورية التونسية سابقاً

الجمهورية التونسية

٨ - الأستاذ تقي البحارنة

رجل أعمال /كاتب وشاعر

المنامة - مملكة البحرين

٩ - الأستاذ جواد الحمد

مدير عام مركز دراسات الشرق الأوسط

عمّان - الأردن

١٠ - الأستاذ جواد كاظم عصفور

مدير المعاملات المصرفية الإسلامية

بنك كرديت أكربكول أندوسويز

المنامة - مملكة البحرين

١١ - الدكتور حامد السعيد
محاضر في جامعة مانشستر متروبوليتان
بريطانيا

١٢ - الدكتور حسن حنفي
أستاذ الفلسفة - كلية الآداب / جامعة القاهرة
جمهورية مصر العربية

١٣ - الدكتور حسن مدن
قطاع الثقافة بوزارة الإعلام
المنامة - مملكة البحرين

١٤ - الأستاذ حسن أبو نعمة
رئيس المعهد الملكي للدراسات الدينية
ص•ب: ٨٣٠٥٦٢
عمّان - الأردنّ

١٥ - الأستاذ حسن علي الأنباري
مستشار الشؤون الدولية في المعهد الدبلوماسي
عمّان - الأردنّ

١٦ - الدكتور حمد الريامي
رجل أعمال
مسقط - سلطنة عُمان

١٧ - الأستاذ حيدر أبو بكر العطاس
رئيس وزراء اليمن سابقاً
جدة - المملكة العربية السعودية

١٨ - الدكتور خالد الشريدة
الأمين العام/ المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا
عمّان - الأردنّ

١٩ - الدكتور خليفة محمد بخيت الفلاسي
سفير سابق
الكونية للاستثمار
دبي - الإمارات العربية المتحدة

٢٠ - الأستاذ خليفة بن عبدالله بن محمد آل خليفة
الوكيل المساعد لشؤون الإعلام الخارجي/وزارة الإعلام
المنامة - مملكة البحرين

٢١ - الأستاذ راشد عبدالرحمن آل خليفة
أخصائي متابعة وتنسيق / إدارة الإعلام الخارجي
المنامة - مملكة البحرين

٢٢ - الدكتور راشد المبارك
أستاذ كلية العلوم/جامعة الملك سعود
المملكة العربيّة السعوديّة

٢٣ - الدكتور رئيس عبد الحليم سليمان
رئيس مجلس الإدارة / المدير العام
جامعة الإسراء
عمّان - الأردنّ

٢٤ - الأستاذ زهدي الخطيب
المستشار الثقافيّ
لسفارة دولة الإمارات العربية المتحدة في عمّان
عمّان - الأردن

٢٥ - الأستاذ زهير الخوري
رئيس مجلس الإدارة/ شركة المستثمرون العرب المتحدون
عمّان - الأردنّ

٢٦ - الأستاذ سالم الغيلاني
رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير مجلة السراج
مسقط - سلطنة عُمان

٢٧ - الدكتور سامي الخزندار

أستاذ مساعد/ قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية

الجامعة الهاشمية

المركز العلمي للدراسات السياسية

عمّان - الأردن

٢٨ - سمو الشيخة الدكتورة سعاد الصباح

رئيس مجلس إدارة مكتب الاستشارات العلمية

القصر الأبيض - دولة الكويت

٢٩ - الدكتور سعد حجازي

رئيس الجمعية العلمية الملكية

الجبيهة - الأردن

٣٠ - الأستاذ سعيد محمد الصقلاوي

الرئيس التنفيذي - مكتب بيسان للاستشارات الهندسية

روي - سلطنة عُمان

٣١ - الأستاذ سليمان إبراهيم العسكري

رئيس تحرير مجلة العربي

دولة الكويت

٣٢ - الأستاذة سوسن الشاعر

كاتبة صحفية بجريدة الأيام

المنامة - مملكة البحرين

٣٣ - الأستاذ سيف الشريف

نائب رئيس مجلس إدارة الدستور ومديرها العام

عمّان - الأردن

٣٤ - الأستاذ سيف المسكري

عضو مجلس الدولة

مسقط - سلطنة عُمان

٣٥ - الأستاذ طاهر المصري

مفوض جامعة الدول العربية لشؤون مؤسسات المجتمع المدني

رئيس وزراء الأردن الأسبق

عمان - الأردن

٣٦ - الدكتور طاهر كنعان

المدير العام للمركز الأردني للأبحاث وحوار السياسات الوطنية

عمّان - الأردنّ

٣٧ - الدكتور طيب تيزيني

أستاذ الفلسفة/ قسم علم الاجتماع - جامعة دمشق

الجمهورية العربية السوريّة

٣٨ - الأستاذ ضياء الموسوي

كاتب صحفي بجريدة الوسيط

المنامة - مملكة البحرين

٣٩ - الأستاذ عبد الحميد سيف الحدي

عضو المجلس الاستشاري، عضو اللجنة الدائمة

صنعاء - الجمهورية اليمنية

٤٠ - الدكتور عبد السلام المجالي

عضو مجلس الأعيان

نائب رئيس المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا

رئيس وزراء الأردن الأسبق

عمّان - الأردن

٤١ - الدكتور عبد العزيز بن عبدالله بن تركي السبيعي

عضو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى

لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

الدوحة - قطر

٤٢ - الدكتور عبد العزيز المانع
أستاذ الأدب العربي/جامعة الملك سعود
الرياض - المملكة العربية السعودية

٤٣ - الدكتور عبد الملك منصور
سفير الجمهورية اليمنية بتونس
المنزة - تونس

٤٤ - الأستاذ عبد الوهاب دربال
مستشار لدى رئيس الجمهورية الجزائرية
رئاسة الجمهورية
الجمهورية الجزائرية

٤٥ - الأستاذ عبد الله العليان
كاتب وباحث
محافظة ظفار - سلطنة عُمان

٤٦ - الدكتور عبدالله عباس أحمد
نائب مدير جامعة الإمارات لشؤون الطلبة سابقاً
العين - دولة الإمارات العربية المتحدة

٤٧ - الدكتور عبد الحسين شعبان
مستشار قانوني وباحث وكاتب
بريطانيا

٤٨ - الأستاذ عبدالله خليفة
أسرة الأدباء والكتاب
المنامة - مملكة البحرين

٤٩ - الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
أستاذ التعليم العالي - باحث
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية سابقاً
الرباط - المملكة المغربية

٥٠ - الدكتور عثمان هاشم
وزير المالية والاقتصاد الوطني سابقاً
السودان

٥١ - الأستاذ عدنان أبو عودة
كاتب وباحث
عمّان - الأردن

٥٢ - الدكتور عدنان السيد حسين
أستاذ في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية
الجامعة اللبنانية
بيروت - لبنان

٥٣ - الدكتور عدنان بدران
رئيس جامعة فيلادلفيا سابقاً
رئيس وزراء الأردن الحالي
عمّان - الأردنّ

٥٤ - الدكتور عز الدين عمر موسى
أستاذ التاريخ الإسلامي/ جامعة الملك سعود
الرياض - المملكة العربية السعودية

٥٥ - الدكتور عصام ملكاوي
مستشار / عضو جمعية الشؤون الدولية
عمّان - الأردنّ

٥٦ - الدكتور علي عتيقة
أمين عام منتدى الفكر العربي السابق
عمّان - الأردنّ

٥٧ - الأستاذ علي غندور
رئيس مجلس إدارة شركة الاستثمارات الدولية (آرام)
شركة الاستثمار السياحي الأردني
عمّان - الأردنّ

٥٨ - الدكتور علي محافظة
أستاذ في قسم التاريخ / الجامعة الأردنية
عمّان - الأردن

٥٩ - الدكتور علي محمد شمو
رئيس مجلس الصحافة الإسلامية
أستاذ امتياز/ جامعة أم درمان
الخرطوم - السودان

٦٠ - الدكتور علي محمد فخرو
عضو مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث
المنامة - مملكة البحرين

٦١ - الشيخ الأستاذ علي عبدالله خليفة
مدير إدارة البحوث الثقافية / الديوان الملكي
المنامة - مملكة البحرين

٦٢ - الأستاذ غسان أحمد بندقجي
المدير العام / البنك العربي الإسلامي الدولي
عمّان - الأردن

٦٣ - الأستاذة فاتنة جميل حمدي
أستاذ في قسم الفلسفة/ جامعة بغداد
بغداد - الجمهورية العراقية

٦٤ - الأستاذ فؤاد محيسن
مدير إدارة المخاطر ورقابة التسهيلات
البنك العربي الإسلامي الدولي
عمّان - الأردن

٦٥ - الدكتور فهد محمد الراشد
رجل أعمال
السالمية - دولة الكويت

٦٦ - سيادة الشريف فواز شرف
وزير وسفير أردني سابق
عمّان - الأردن

٦٧ - الدكتور الشيخ فريد مفتاح
وكيل وزارة الشؤون الإسلامية
المنامة - مملكة البحرين

٦٨ - الأستاذ فيصل الفهيد
رجل أعمال
الصفاة - الكويت

٦٩ - الدكتورة فاطمة لحبابي
أستاذة جامعية وباحثة
الرباط - المملكة المغربية

٧٠ الأستاذ كمال شفيق القيسي
استشاري تطوير مشاريع
عمّان - الأردن

٧١ - الأستاذة لوريس إحلاس
سفيرة سابقة
عمّان - الأردن

٧٢ - الأستاذة ليما نبيل
صحفية
عمّان - الأردن

٧٣ - الأستاذ ماهر كيالي
مدير عام المؤسسة العربية للدراسات والنشر
عمّان - الأردن

٧٤ - الأستاذ محسن العيني
رئيس وزراء سابق - نائب رئيس المنتدى
الجمهورية اليمنية

٧٥ - الدكتور محمد الرميحي
أستاذ اجتماع / جامعة الكويت
الصفاة - دولة الكويت

٧٦ - الدكتور محيي الدين المصري
أستاذ في جامعة عمان الأهلية
عمّان - الأردنّ

٧٧ - الأستاذ محمد عيسى أحمد آل خليفة
شؤون الإعلام الخارجي
المنامة - مملكة البحرين

٧٨ - الدكتور محمد الفنيش
مستشار اقتصادي
الولايات المتحدة الأمريكيّة

٧٩ - الدكتور محمد جابر الأنصاري
مستشار ملك البحرين
العدلية - مملكة البحرين

٨٠ - الدكتور محمد جاسم الغتم
رئيس مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث
المنامة - مملكة البحرين

٨١ - الدكتور محمد جواد رضا
مستشار الدراسات التربوية والاجتماعية
مركز البحرين للدراسات والبحوث
المنامة - مملكة البحرين

٨٢ - الدكتور محمد عبد العزيز ربيع
أستاذ جامعي
عمّان - الأردنّ

٨٣ - الأستاذ محمد علي النقي
رئيس مجلس إدارة شركة الصناعات الكويتية
الصفاة - دولة الكويت

٨٤ - الدكتور محمد يحي العاضي
أستاذ اقتصاد / جامعة صنعاء
صنعاء - الجمهورية اليمنية

٨٥ - الدكتور محمود عبد العزيز
رئيس مجلس إدارة البنك التجاري الدولي سابقاً
مصرفي مصري
القاهرة - جمهورية مصر العربية

٨٦ - الدكتور مدثر عبد الرحيم
أستاذ العلوم السياسية والفكر الإسلامي/
المعهد العالي للفكر والحضارة
كوالالمبور - ماليزيا

٨٧ - الأستاذ مروان الحايك
بنك انفستكورب ش.م.ب
المنامة - مملكة البحرين

٨٨ - الدكتور مصطفى بوطورة
سفير الجزائر في العراق
السفارة الجزائرية - عمّان
عمّان - الأردنّ

٨٩ - الدكتور مطهر السعيدي
سفير اليمن لدى بريطانيا
بريطانيا

٩٠ - الأستاذ منيب حمودة
المدير التنفيذي لمكتب طلال أبو غزالة وشركاه
المنامة - مملكة البحرين

٩١ – الدكتور منصور خالد

رئيس مجلس الأمناء/مؤسسة السودان للمعلومات والأبحاث

القاهرة – جمهورية مصر العربية

٩٢ – الدكتور منصور سرحان

وزارة التربية والتعليم

المنامة – مملكة البحرين

٩٣ – الدكتور مهدي عبد الهادي

رئيس الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية

القدس – فلسطين

٩٤ – الأستاذ موسى بريزات

مندوب الأردن الدائم في جنيف

سويسرا

٩٥ – الأستاذ موسى شحادة

نائب رئيس مجلس الإدارة / المدير العام

البنك الإسلامي الأردني

عمّان – الأردن

٩٦ – الأستاذ ناصر جودة

مدير مجلس الإدارة /الخبرات للمعلومات والاتصالات

وزير سابق

عمّان – الأردنّ

٩٧ – الأستاذة نعيمة الشايجي

مستشارة دولية في التنمية المتكاملة

العدلية – الكويت

٩٨ – الدكتورة هالة صبري

أستاذة إدارة أعمال/ جامعة الزيتونة

عمّان – الأردنّ

٩٩ – الدكتور هشام الخطيب

مستشار ووزير الطاقة الأسبق

رئيس لجنة الإدارة لمنتدى الفكر العربي

عمان – الأردن

١٠٠ – الدكتور همام غصيب

مستشار سمو الأمير الحسن بن طلال

مدير إدارة الدراسات والبرامج في منتدى الفكر العربي

أستاذ الفيزياء النظريّة في الجامعة الأردنيّة

عمّان – الأردنّ

١٠١ – الدكتورة وجيهة صادق البحارنة

نائب رئيس جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

رئيس جمعية البحرين النسائية

المنامة – مملكة البحرين

١٠٢ – الأستاذ وسام الزهاوي

أمين عام منتدى الفكر العربي

عمّان – الأردنّ

١٠٣ – الدكتور يحيى الجمل

محامي بالنقض وأستاذ بكلية الحقوق/ جامعة القاهرة

الجيزة – جمهورية مصر العربية

١٠٤ – الدكتور يوسف الحسن

مدير عام المعهد الدبلوماسي

أبو ظبي – دولة الإمارات العربية المتحدة



برنامج العمل

اليوم الأول: الأحد ٢٠٠٥/٢/٢٧

(المكان: فندق وبرج شيراتون البحرين/ الطابق الأرضي - قاعة التاج الكبرى)

١٠:٠٠ - ١١:٠٠ الجلسة الافتتاحية

- كلمة جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة
- كلمة سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه
- تكريم كبار المتبرّعين للمنتدى

١١:٠٠ - ١١:٣٠ استراحـــة

١١:٣٠ - ١٤:٠٠ جلسة العمل الأولى: «الوسطية: المفاهيم والأفكار»

رئيس الجلسة: **د. علي فخرو**

١١:٣٠ - ١٢:٠٠ الباحث: **د. طيّب تيزيني**

١٢:٠٠ - ١٤:٠٠ مناقشة

١٤:٠٠ - ١٦:٣٠ غـــداء حـــرّ

[فندق وبرج شيراتون البحرين - الطابق الأوّل/ مطعم السفير]

١٦:٣٠ - ١٩:٣٠ جلسة العمل الثانية: «مفهوم الوسطية في الإسلام»

رئيس الجلسة: **أ. حيدر أبو بكر العطّاس**

١٦:٣٠ - ١٧:٠٠ الباحث: **د. حسن حنفي**

١٧:٠٠ - ١٨:٠٠ مناقشـــة

١٨:٠٠ - ١٨:٣٠ استراحـــة

١٨:٣٠ - ١٩:٣٠ متابعة المناقشة

٢٠:٣٠ عشـــاء

[دعوة من قطاع الثقافة والتراث الوطني - وزارة الإعلام/مطعم الصواني]

اليوم الثاني: الإثنين ٢٠٠٥/٢/٢٨

(المكان: فندق وبرج شيراتون البحرين/ الطابق الأرضي - قاعة التاج الكبرى)

١٠:٠٠ - ١٣:٠٠ جلسة العمل الثالثة: «فلسفة الوسطية»

رئيس الجلسة: **د. عبد العزيز حجازي**

١٠:٠٠ - ١٠:٣٠ الباحث: **أ.د. فاتنة حمدي**

١٠:٣٠ - ١١:٠٠ استراحـــة

١١:٠٠ - ١٣:٠٠ مناقشة

١٣:٠٠ - ١٥:٠٠ غـــداء حـــرّ

(فندق وبرج شيراتون البحرين - الطابق الأوّل/ مطعم السفير)

١٥:٠٠ - ١٨:٠٠ جلسة العمل الرابعة/ مائدة مستديرة

رئيس الجلسة: **د. عدنان السيد حسين**

المشاركون:

- د. عبد الكبير العلوي المدغري
- د. عبد الملك منصور
- أ. عدنان أبو عودة
- دة. وجيهة البحارنة
- د. عز الدّين عمرو موسى

١٨:٠٠ - ١٨:٣٠ استراحـــة

١٨:٣٠ - ١٩:٣٠ الجلسة الختامية

رئيس الجلسة: **سموّ الأمير الحسن**

٢٠:٣٠ عشـــاء

[دعوة من معالي وزير الإعلام/ وزير الدولة للشؤون الخارجيّة/
فندق وبرج شيراتون البحرين/ الطابق الأرضي - قاعة العوالي]

السّجلّ المصوّر

















السّجلّ المصوّر









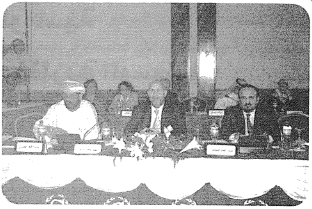




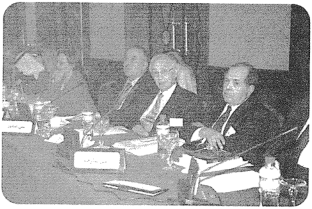




السّجلّ المصوّر





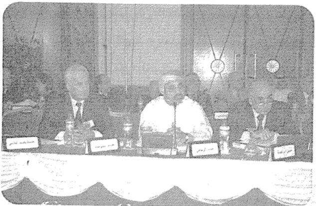












- (١) -

تأملات دبلوماسيّة

منتدى الفكر العربيّ ونظريّة الوسطيّة *

د. محمد نعمان جلال **

لقد برز منتدى الفكر العربي في عالم التلاقي بين المفكرين العرب ورجال السياسة منذ حوالي ثلاثة عقود. وهو من الأفكار التي طرحها سياسي عربي، واستطاع نقلها من عالم الفكر المجرد إلى عالم التفاعل الإيجابي بين الفكر والعمل، بين النظرية والتطبيق. هذا السياسي العربي المخضرم هو سمو الأمير الحسن بن طلال ولي العهد السابق للمملكة الأردنية الهاشمية، الذي تحول من العمل السياسي إلى العمل الفكري، وشق طريقه بفكره ليصبح شخصية دولية ذات مكانة متميزة، مدعواً للمشاركة في الكثير من المحافل الدولية الفكرية والثقافية والسياسية المهمة.

ولقد جاء اجتماع المنتدى في مملكة البحرين ليعكس أمراً مهماً، وهو أنه بدعوة من جلالة الملك حمد بن عيسى الذي وجه كلمة للمؤتمر ألقاها نيابة عنه الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة وزير الديوان الملكي. وكانت كلمة موجزة وجامعة في تأكيدها على المحور الفكري للاجتماع وهو الوسطية بين التنظير والتطبيق، وعلى جو الحريات الذي تعيشه مملكة البحرين في هذه المرحلة. أما كلمة الأمير الحسن بن طلال فكانت تجمع بين الاستفاضة والطلاقة. استفاضة في الحديث وطرح المفاهيم، وطلاقة في اللغة وبلاغتها وهو ما أثار إعجاب المشاركين والمتابعين لأعمال الاجتماع.

كما قدمت عدة أوراق عمل منها ورقة للدكتور حسن حنفي، أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة، وللدكتور طيب تيزيني، أستاذ الفلسفة بجامعة دمشق. تناولت الأولى مفهوم الوسطية في الإسلام، وكانت الثانية بعنوان «الوسطية: المفاهيم والأفكار». وكأن منظمو المنتدى أرادوا أن ينقلوا للمجتمع العربي رسالة من خلال أستاذين من أساتذة الفلسفة في القاهرة ودمشق مؤداها حقيقتان: **الأولى** أن تلاقي القاهرة ودمشق فكرياً وعلمياً وسياسياً ضرورة لا محيص عنها لنهضة العرب، **والثانية** أن الفلسفة بالغة الأهمية وهي ركيزة النهضة، وأنه بدون الفلسفة العملية الواقعية وليس الفلسفة المجردة الميتافيزيقية، فإن النهضة لن تتحقق بالشكل المطلوب. أما المحور الرئيسي للنقاش فكان مفهوم الوسطية، الذي تبناه الأمير الحسن منذ عدة سنوات في الكثير من أطروحاته وأحاديثه، وجاء أوان طرحه بشكل متكامل في ندوة فكرية جمعت أبناء وبنات لغة الضاد من المحيط إلى الخليج.

ونود أن نشير إلى عدد من الملاحظات المتصلة باللقاء في المنامة عاصمة البحرين، وبمداولات المنتدى:

الملاحظة الأولى: تتعلق بالقرار السريع الذي أصدره جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة باستضافة المنتدى في مملكة البحرين، الذي ضم مختلف أطياف الفكر العربي

* نشرت في جريدة **العرب اليوم** الأردنية بتاريخ ١٤ آذار/مارس ٢٠٠٥، ص١١.

** مستشار الدّراسات الاستراتيجيّة، مركز البحرين للدّراسات والبحوث، مملكة البحرين.

من إسلامية ويسارية وقومية وغيرها. وهذا، كما قال الملك في كلمته التي وجهها للمؤتمر، يعكس ارتفاع سقف الحرية في البحرين التي أصبحت في السنوات الأخيرة ملتقاً فكرياً عربيًا وإسلاميًا ودوليًا متنوع الاتجاهات عقد فيه المؤتمر القومي العربي منذ عامين، ومؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي، ومؤتمر الحوار بين المذاهب الإسلامية. وتمتاز تلك الحوارات بأنها منظمة من أطراف الحوارات أنفسهم دون تدخل خارجي من باحثين أو مفكرين من دول مهيمنة على مقدرات الحياة والسياسة العالمية. كما تمتاز بأنها مؤتمرات تنتمي إلى بلاد العالم النامية، أو يقوم بها مفكرون راغبون في الحوار الحقيقي، وليس فيها فرض الهيمنة الفكرية والسياسية.

الملاحظة الثانية: تتعلق بمحور الاجتماع وهو الوسطية. هذه الوسطية هي الفرضية الغائبة في الفكر العربي والإسلامي بعد المرحلة الأولى من الخلافة الراشدة، إذ سادت الفكر والممارسة الإسلامية في الحضارة الأموية والعباسية وما بعدهما سمتان . أولاهما الإقصاء للآخر ورفض التعددية، وثانيتهما التطرف، بالمنطق الجاهلي. ويكفي أن نشير إلى قول الشاعر:

نحن أناس لا توسط بيننا

لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وهذا عكس الفكر الإسلامي الأصيل الذي جاء في القرآن الكريم ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾. وهذه الوسطية، كما جاء في القرآن الكريم، تحتاج إلى بلورة وفهم حقيقي سليم. فالسياسة والاجتماع والثقافة ينبغي أن يكون محورها الوسطية، حيث لا تطرف نحو هذا الاتجاه أو ذاك. أما العقيدة البحتة فلا وسطية فيها. ونقصد بذلك المبادئ العقيدية المتصلة بالإيمان بالله. فلا وسط بين الإيمان والكفر، ولكن هنالك تعايش واحترام متبادل وفقاً لقوله تعالى ﴿**ولا تسبوا الذين يَدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم**﴾ [سورة الأنعام آية ١٠٨]، ومن ناحية أخرى، فإن مظاهر التعبير عن العقيدة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة، أو في سلوكيات الفرد أو حتى في العبادات والشعائر، تقوم على مفهوم الوسطية دون تشدد أو غلواء. ولذلك قال النبي ﷺ إن هذا الدين قيم، فأوغل فيه برفق، وما شاد الدين أحد إلا قطعه. كما قالت العرب «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». ولعل الفكر العالمي في عمومه يدعو إلى الوسطية. فالفضيلة وسط بين طرفين كما قال أرسطو.

ومحور الارتكاز في علوم الحركة هو وسط بين طرفين، كما تحدث فلاسفة كثيرون عن التوازن كأحد المبادئ في السياسة والفكر. وكما تحدثوا عن الروادع في القانون، وتداخل الاختصاصات في نظم الحكم، وأن كل سلطة تردع أو تضبط حركة السلطات الأخرى Checks & Balances.

الملاحظة الثالثة: كما قام الأمير الحسن بن طلال بإعادة مبدأ الوسطيّة إلى ساحة النقاش على المستوى العربي، فقد سعى الجنرال بيرفيز مشرف، رئيس جمهورية باكستان، إلى إعادته لساحة النقاش على المستوى الإسلامي، وإلى حد ما، على المستوى الدولي. وكان ذلك في ندوة دعا إليها عدداً من الكتاب والمفكرين من عدد من الدول الإسلامية، وأطلق على مفهومه هذا «الوسطية المستنيرة»، وهو مفهوم طرحه في القمة

الإسلامية في ماليزيا عام ٢٠٠٣، وكان موجهاً كرسالة إلى الغرب الذي سعى إلى تشويه صورة الإسلام إثر أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ بعد أن مارس ضد الشعوب الإسلامية القهر من خلال الاستعمار عبر قرون طويلة، ومارس ومازال يمارس المعايير المزدوجة في السياسة الدولية، خاصة فيما يتعلق بحقوق المسلمين. وكان طرح بيرفيز مشرف ذا شقين، أولهما موجه للغرب وثانيهما موجه للمسلمين في دعوته إياهم للعمل، وجعل العمل والتقدم العلمي هو الجهاد الحقيقي. فبدون العمل والابتكارات في العلوم والتكنولوجيا سوف يظل المسلمون متخلفين لا وزن لهم، ويتحولون إلى غثاء كغثاء السيل لا قيمة لهم.

الملاحظة الرابعة: جاء في حديث لسمو الأمير الحسن مع صحيفة أخبار الخليج وأيضاً مع جريدة الوسط بتاريخ ٢٨ شباط/فبراير ٢٠٠٥ أن وصول الإسلاميين للحكم عبر صناديق الاقتراع هو انعكاس لواقع جديد في الفكر الديمقراطي والإسلامي على حد سواء. فلا يمكن القول بديمقراطية تستبعد تيارات معينة ولا تقبل حواراً أصيلاً مع التيارات الأخرى. ومن ناحية ثانية، فإن المسلمين الذين يعيشون في بلاد المهجر يشعرون بأن فرصتهم مواتية في البلاد التي يهاجرون إليها بعد أن أصبحت مجتمعاتهم لا تحترم الكفاءات وأن المسلم والعربي يبدع في أوروبا وفي أي مجتمع تتاح له فيه الفرصة، وأن هناك ١٥٠ مليون مسلم في الهند ورئيس الجمهورية «زين العابدين عبدالكلام» هو عالم ذرة مسلم هندي، وأن دول جنوب آسيا تزداد مساهمتها في التطور العالمي لثقلها السكاني، من باكستان وبنجلاديش وإندونيسيا، وهذا نموذج جدير بالاهتمام.

وأبرز الأمير الحسن أن المواجهات الجارية حالياً في العالم تدعو إلى ثلاث مراحل من الحوار: حوار مع الذات داخل المجتمع العربي، وحوار مع الآخر العربي المسلم وغير المسلم، وحوار مع العالم غير العربي وغير المسلم، وهذا ليس بمقدور الحكومات القيام به بمفردها.

وهنا نقول، تعليقاً على هذا التوجه للأمير الحسن، إن العالم ابتكر ثلاثة أنواع من ممارسات العمل الدبلوماسي، وهي الدبلوماسية الرسمية المسماة بالمسار الأول، والدبلوماسية غير الرسمية عبر المفكرين والباحثين العلماء، بما في ذلك فرق الكرة والبنج بنج وغيرها من أنواع الرياضات، وهي المسماة بالمسار الثاني، وأخيراً ابتكر الحل الوسط أي المسار الأول زائد، أي الذي يجمع بين رسميين وغير رسميين. وفي تقديري أن هذا أكثر فعالية في تقريب المواقف لأن المسار غير الرسمي يهيئ الأرضية ويؤدي للتعارف، والمسار الرسمي يقرر النتائج، أما المسار شبه الرسمي والذي هو الأول والنصف فهو يحقق التفاعل والتلاقح في الفكر والسياسة والاقتصاد بين المثقفين والمفكرين والرسميين.

الملاحظة الخامسة: تتصل بلغة المنتدى ومحاوراته، حيث من اجتماعات المنامة لمست قلة تفاعل المنتدى مع غير العرب بالرغم من أن سمو الأمير الحسن أكد على ذلك في كلمته في الجلسة الختامية، كما أن له علاقات دولية متشبعة. ومن ثم فإن سمو الأمير الحسن عليه مسؤولية للانطلاق بالمنتدى للتحاور مع العالم الآخر (الإسلامي غير العربي) وغير الإسلامي وغير العربي، كما جاء في كلمته المستفيضة. وهذا يحتاج إلى فرق عمل متعددة تجيد التحاور باللغات الأجنبية ليس فقط مجرد اللغة، وإنما الثقافة المرتبطة باللغة، حتى يمكن التلاقي وإزالة سوء الفهم بين الأطراف المعنية وهذا يدعونا لإعادة طرح فكرة حوار الحضارات أو حوار الثقافات التي سبق وطرحها الرئيس

الإيراني محمد خاتمي في القمة الإسلامية بطهران ووافقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة بإعلان عام ٢٠٠١ هو عام حوار الحضارات. لكن للأسف جاءت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر لتطغى وتغطي على هذا المفهوم، ومع هذا فقد أنشأت إيران مركز حوار الحضارات إلا أن هذا المركز رغم ما يبدو عليه من نشاط ليس له تأثير على المستوى العالمي لارتباطه بالسياسة الإيرانية ومواقف دول العالم من تلك السياسات، ومن ثم أصبح هذا المركز موضع تساؤل وشكوك. وهذا يدعونا إلى أن نطرح ضرورة التفكير في تبني منتدى الفكر العربي لهذا المفهوم الخاص بحوار الحضارات بالمشاركة مع مؤسسات فكرية في دول عربية وإسلامية. ويتحول ذلك إلى تعبير حضاري إسلامي لا يرتبط بدولة ما أو سياستها، وإنما يكون منارة إسلامية فكرية ومنهجاً للتعامل مع العالم غير الرسمي عبر الفكر والحوار البناء من أجل الإنسانية بأسرها في عالم متصارع وسريع الإيقاع. ومن الضروري طرح مفاهيم عقلانية في إطار مثل هذا الحوار، وليس مفاهيم متشددة موجودة في بعض صور التراث الإسلامي لكنها لا تعبر عن حقيقة الإسلام وجوهره، والذي هو دعوة للحوار مع الآخر، وليس دعوه لرفضه أو إقصائه ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾. هذه الدعوة بالحسنى، وليست بالتطرف والتعصب، أو بالعنف والقتل والدمار، وإنما من خلال البناء والحكمة. وإذا لم تنفع هذه الدعوة، فاللجوء إلى أفضل خيار وهو قوله تعالى ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾ ومن الضروري أن نفهم معنى تعبير «**دين**» هنا بأنه يعني عمومية الاختلاف في السياسة والثقافة والفكر والمجتمع دون ما اعتداء من طرف على الآخر. إنه مبدأ التعايش السلمي الخلاق مع حق الاختلاف الذي كما قالت العرب «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

الملاحظة السادسة: وتتعلق بما نسميه أهمية انتهاج مبدأ «فقه الضرورة» في عالمنا المعاصر. هذه الضرورة تعني عدة عناصر. فهي تعنى أولاً الإقرار بالواقع، وثانياً أن هذا الواقع مختلف عن النموذج المثالي الذي نفترضه أو نسعى لتحقيقه. وهي تفترض ثالثاً أننا لا نستطيع أن نغير هذا الواقع لأنه أقوى من قدراتنا ورابعاً أن قدراتنا ضعيفة وفي حاجة إلى تقوية، وخامساً أننا لكي نقوي وضعنا، فنحن في حاجة إلى الآخر لكي نتعامل معه، ونتفاهم معه، ونستفيد منه، من أجل أن نطور أنفسنا ومجتمعاتنا. ففقه الضرورة هذا يدعونا إلى التعايش المتفاعل في المجتمع العالمي. هذا التعايش لا يمكن إلا أن يكون وفقاً لقواعد النظام الدولي القائم بسلوكياته وفكره، بقيمه ونظمه، وليس بالضرورة الأخذ الكامل أو الرفض الكامل، وإنما الاقتباس والتفاعل، الأخذ والعطاء وفقاً للظروف المتغيرة في إطار القاعدة العامة القائمة على مبدأ المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي.

هذه ملاحظات أردت تسجيلها على هامش اجتماع المنامة (البحرين) لمنتدى الفكر العربي الذي أتمنى أن يحلق وينطلق إلى آفاق عالمية لكي يؤكد العرب من جديد أنهم أهل للمشاركة في حمل راية الإنسانية في القرن الحادي والعشرين كما حملها آباؤهم وأجدادهم في الماضي. ■

- (٢) -

الوسطيّة بين النظريّة والتطبيق *

د. محمد عبد العزيز ربيع **

عقد منتدى الفكر العربي الذي يرأسه سمو الأمير الحسن بن طلال مؤتمره السنوي الأخير قبل أسابيع قليلة في مملكة البحرين، تحت عنوان «الوسطية بين النظرية والتطبيق». ويطرح العنوان، كما هو واضح، تساؤلاً كبيراً: هل هناك نظرية اسمها الوسطية؟ وإذا كانت هناك نظرية، فهل هذه النظرية مطبقة على أرض الواقع؟

أشار الكثيرون من المشاركين أثناء المداولات أنهم وصلوا إلى البحرين وهم يعتقدون أن الوسطية مفهوم واضح تماما، وأنهم يفهمونه، وأن مهمة المؤتمر الأساسية هي البحث عن أسباب غياب الوسطية عن مواقف البعض ومسلكياتهم، خاصة المتطرفين منهم. لكن أغلبية المشاركين، وبعد يومين من المداولات، وأحيانا المشادات الكلامية، خرجت من المؤتمر وقد تبخر ما كان لديها من قناعات تتعلق بمفهوم الوسطية، إذ ساهمت الآراء المتعددة التي تشعبت كثيراً في إحلال الغموض محل الوضوح، والارتباك محل الثقة.

لقد جاءت تحليلات الباحثين، الذين أوكلت إليهم مهمة طرح الموضوع وتحديد معالمه الرئيسية، متباينة إلى حد كبير بسبب تباين الخلفيات الثقافية والمرجعيات المعرفية والتوجهات السياسية والاجتماعية لكل باحث. وعلى الرغم من أن معظم الباحثين والمعلقين وأصحاب الرأي انطلقوا من آية قرآنية واحدة تقول إن الله خلق المسلمين أمة وسطا، إلا أن تباين التحليلات والتأويلات التي حاولت دون نجاح الخروج على التأويل التراثي لتلك الآية جعل الجديد من الطروح يميل نحو التشعب والغموض والتناقض. فبينما حاول البعض الغوص في أعماق معجمات اللغة العربية والفلسفات القديمة لدحض ما جاء في الفكر التراثي، حاول آخرون الدوران حول ذلك التراث دون التفريط به. واتجه فريق آخر إلى التشعب في المفاهيم الاجتماعية الثقافية والاجتماعية الاقتصادية لربط مفهوم الوسطية غير الواضح أصلاً بمفاهيم الديمقراطية والطبقة المتوسطة والمساواة وغيرها.

وهكذا، بينما رأت أغلبية المشاركين الوسطية بمثابة منارة تهدي السفن الضالة حين الوصول إلى البحرين، تركت مملكة البحرين المضيافة وهي على قناعة بأن الوسطية ليست إلا سفينة تائهة في خضم بحر كبير تعصف به أمواج عاتية.

قبل السفر إلى البحرين وجه الدكتور همام غصيب، مدير إدارة الدراسات والبرامج في المنتدى، إلى جميع

* نشرت في جريدة **الدستور** الأردنيّة بتاريخ ٥ نيسان/ إبريل ٢٠٠٥؛ ص٢١ .
** أستاذ جامعي، عمّان - الأردن .

المشاركين سؤالا محددا: ما هي الوسطية؟ وماذا يعني مفهوم الوسطية لديكم؟ وقام المنتدى مشكورا بطبع الإجابات في كتيب وزع علينا أثناء المؤتمر. إن من يطلع على الإجابات يرى بوضوح مدى الارتباك الذي يعانيه الفكر العربي، اللبرالي والمحافظ على السواء، إذ تشير الإجابات في معظمها إلى قناعة المشارك بما يقول وتباعد الإجابات الواردة في الكتيب. وهذا يعني ضياع الفكر في غياهب المفاهيم الغامضة من ناحية، والميل نحو التشبث بالرأي من ناحية ثانية، إلا أن هناك أقلية أعتقد أنها استوعبت حقائق العصر، وأدركت ما للآخر من حقوق، وتركت الباب مفتوحا لتأويلات عصرية أساسها حرية الرأي وتفسير ظروف المكان بتغير الزمان. كانت إجابتي عن السؤال الذي طرح علينا بسيطا ومباشرا: أفهم الوسطية، كما يروج لها، على أنها محاولة لتأسيس فلسفة جديدة بين المسلمين تقوم على الاعتدال فيما يتعلق بالموقف من الآخر، ومن فهم الشرائع الدينية وتطبيقها، لكنني أعتقد مع الأسف أن المحاولة ستراوح في مكانها لأمد بعيد دون تحقيق الهدف المرجو. وليكون المدخل لتغيير الموقف من الآخر والدين والحياة أكثر أخلاقية واعتدالا وإنتاجية، فهو يكمن في إعادة النظر في بنية الثقافة العربية وعناصرها الرئيسية الوسطية، إذا كان لي أن أعرفها، وهي الاعتدال في الموقف والمسلك، والاعتراف بحق الآخر في التعبير عن رأيه وممارسة حريته كما يشاء، والتسامح مع من نختلف معهم في الفكر والقول والرأي والمسلك، واعتبار العقل والعقلانية أدوات التعامل مع الغير والحدث والظرف المكاني والزماني ومواجهة التحديات.

قام أحد الباحثين باتهام زملائه من الباحثين الآخرين بطرح مفهوم الوسطية واستخدامه لتبرير مواقف السلطة السياسية في البلاد العربية وممارساتها. ولقد كان هذا الموقف سببا في تصدي سمو الأمير الحسن للرد عليه بشدة، باعتبار المنتدى ومداولاته وأهدافه لا تصب في تيار السلطة، بل تحاول إصلاحها وإصلاح مجتمعاتنا التي تعاني من تطرفها وتطرف المتشددين من أبنائها.

كان ذلك الباحث، الذي يضع نفسه في قمة العلماء والمثقفين، يدعي قولا ومسلكا دون وعي أنه يملك كل الحقيقة، وأن أي رأي لا يتفق مع نظرته للأمور يصب في قناة السلطة ويقف في صفها. قلت في معرض تعليقي على ما قاله الباحث إن التطرف ليس بالضرورة بسبب قهر السلطة، كما أشار عالمنا الجليل، ذلك لأن الرئيس بوش تطرف وهو يمسك بزمام السلطة ويسيطر على قوة لم يملكها مخلوق من قبله. إلا أن الباحث الجليل، ولأنه يملك كل الحقيقة ولا يملك أحد أي قدر منها غيره، قال إن بوش تطرف لأنه يعاني من قهر العظمة. إذاً، السلطة كما يفهمها ذلك الرجل، مدعاة للشعور بالقهر وأداة قهر الآخرين. لكن ما دام بوش يعاني من قهر العظمة، فلا بد أن نتعاطف معه ونتفهم ما قام به من عدوان على بلادنا وكرامتنا وإنسانيتنا، إنه ضحية لما يعاني، ونحن وغيرنا بالتالي سبب معاناته، ولذا نستحق ما أصابنا.

إن المثقف ليس من لديه معلومات أو على اطلاع بعلوم العصر فقط. إن المعلومات والعلوم والتكنولوجيا أدوات لإعادة صياغة الموقف والمسلك، وإعادة النظر في الفكر القديم. وحين تفشل المعلومات والعلوم في تحقيق هذه الأهداف، يصبح من يدعي الثقافة عبئا على مجتمعه. المثقف هو من يتميز بوعي اجتماعي عميق، وإحساس بمسؤولية اجتماعية وخلقية، واعتراف بحق الآخر وحريته، قولاً وفعلاً. إن الحقيقة لن تكتمل أبدا وليست ملكاً لأحد دون غيره، أو حكرًا على جماعة أو عقيدة دون غيرها.

■

- (٣) -

الوسطيّة والعقلانيّة *

د. محمد عبد العزيز ربيع **

الوسطية هي موقف من الآخر، ومسلك فردي وجماعي ينأى بنفسه عن التطرف والاتكالية، ويفرزه نهج عقلاني في التفكير. لكن هذا النهج العقلاني هو نهج غير وسطي وغير متطرف، إنه نهج مختلف تماما عن التطرف والوسطية والاتكالية والخنوع. النهج العقلاني في التفكير هو نهج واقعي يقوم على أسس علمية، وينطلق من وعي اجتماعي ملتزم بقضايا الوطن والمواطن، ويهدف إلى بناء مجتمع يسوده السلم الاجتماعي والعدل وتكافؤ الفرص. وبقدر ما تبدو الوسطية بسيطة، يبدو النهج العقلاني معقداً؛ إذ بينما يمكن لأي فرد في المجتمع أن يكون وسطياً، ليس بإمكان سوى القلة أن يتبعوا نهجاً عقلانياً في التفكير يقوم على العلمية والواقعية والمسؤولية الاجتماعية والمجتمعية.

تدعي غالبية المثقفين، من أصحاب الثقافة وأدعيائها، أنها تتبنى الوسطية موقفا من الآخر ومن الذات ومن كل ما يطرح عليها من أفكار وما تواجهه من تحديات. لكن الوسطية، إلى حد كبير، هي تبعية، هي رفض للتطرف والاتكالية بحاجة إلى بلورة وتبرير وقيادة تؤطرها وتجعل منها نهجا اجتماعيا. واذا كان بالإمكان، بل من الضروري، أن يكون الإنسان وسطيا بالنسبة لقضايا المجتمع والدين، فإن من غير الممكن، بل من الخطأ، أن يكون الإنسان وسطيا فيما يتعلق بقضايا الاقتصاد مثلا. إن الإنسان الناشط اقتصاديا ليس بإمكانه أن ينأى بنفسه عن الربح وعن الخسارة لأنه لو فعل ذلك كنهج في العمل، فلن يكون بإمكانه الاستمرار في السوق طويلا. كل شخص يفكر بعقلانية على أسس واقعية وعلمية وبروح عالية من الالتزام الاجتماعي المجتمعي القائم على الوعي ليس وسطيا، وليس اتكاليا، وليس متطرفا. القائد في الجيش وفي السياسة يقف عادة على رأس القافلة يقودها ويوجه مجريات الأمور ويحاول التحكم بها وتسخيرها لخدمة أهداف مجتمعية لا يشوبها الغموض أو الارتباك. العالم الذي يقضي حياته في معمله يبحث عن علاج لمرض أو أداة لرفع كفاءة الإنتاج، أو اختراع جديد لتحسين نوعية الحياة ليس وسطيا. المفكر الذي يقضي عمره مع الكتب وابتكار النظريات الفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعلوماتية ليس وسطيا، إنه كالقائد العسكري والسياسي والعلمي يقف في طرف المجتمع يمسك بزمام أمور تخصص محدد، يفهمها ويرى أهميتها المجتمعية، ويحاول أن يبلورها ويطورها لتفتح للمجتمع باباً جديداً يعود عليه بالفائدة. ولذا، فإن

• نشرت في جريدة **الدستور** الأردنيّة بتاريخ ١٢ نيسان/إبريل ٢٠٠٥، ص ٢١.
•• أستاذ جامعي، عمّان – الأردنّ.

كل مثقف حقيقي، وكل فنان مبدع، ومفكر أصيل، ومخترع، وعالم، وقائد، ومدير شركة ناجح، ليس وسطيا، إنه طرف فاعل ومبادر، وعليه تقع مسؤولية تحقيق الأهداف المجتمعية، وأهمها السلم الاجتماعي ورفض العنف والتطرف، وقبول الآخر والاعتراف بحقوقه واحترامها. قال غوتة، أشهر فلاسفة ألمانيا، إن الخطأ هو قرار اتخذ بشكل متسرع. لقد آمن غوتة بقدرة الإنسان وامكاناته العقلية ومواهبه الإبداعية إلى درجة كبيرة. ولذلك رآه قادرا، إذا تروّى وفكر بشكل عقلاني، على اتخاذ القرار الصائب وتجنب ارتكاب الأخطاء. وحيث أن ردود الفعل، وما يترتب عليها عادة من تطرف، هي قرارات تتخذ بسرعة ودون تفكير ودون الاعتماد على نهج عقلاني، فإن ردود الفعل جميعا عرضة للخطأ، وإن كل ما يترتب عليها من نتائج يميل إلى عدم خدمة أهداف المجتمع. وحين تكون عملية اتخاذ القرار متسرعة أو لا عقلانية، أو ردود فعل غريزية، فإن الوقوع في الخطأ يكون الاحتمال الأقوى، والتوصل إلى نتائج تخدم الذات أو المجتمع الاحتمال الأضعف. يلاحظ المراقب لما يجري في البلاد العربية، والمتتبع للقرارات الحكومية والحزبية، وحتى الفردية، أن معظم تلك القرارات هي ردود فعل آنية على أحداث وتطورات كبيرة وعميقة في غالبية الأحيان والحالات. فكل السياسات والقرارات والتحركات التي اتخذت نتيجة لقيام إسرائيل وسياساتها التوسعية وممارساتها العنصرية مثلا كانت ردود فعل آنية، وحيث أن الإنسان عموماً، وبطبيعته، يحاول دوما أن ينسى ما لا يُفرحه وأن يتجنب الاعتراف بالخطأ، فإن ردود الفعل الخاطئة لم تعالج، مما جعل آثارها تغوص في أعماق الوجدان والمجتمع العربي تضعفه وتحول دون نهضته.

في عام ١٩٨٨ حين خرجت بفكرة الحوار الفلسطيني الأمريكي وكتبت مسودة لإعلان من منظمة التحرير الفلسطينية يحمل الحكومة الأمريكية على الاعتراف بالمنظمة، ذهبت إلى زميل وصديق قديم هو البرفسور وليام كواندت وطلبت مساعدته، لإدراكي بأن المؤسسة الأمريكية لن تسمع لي ولن تعطيني الفرصة لإبداء الرأي وطرح الفكرة عليها. فكان جواب كواندت في حينه: إن الحكومة الأمريكية غير معنية بهذه القضية الآن، وإن محاولتك لن تنجح. قلت لكواندت: لقد تعلمت شيئاً ثميناً من خلال تجربتي الدراسية والحياتية في أمريكا، ألا وهي عدم اتخاذ قرار مهم قبل التفكير فيه مليا والعودة إليه في اليوم التالي. فطلبت منه، كما يقولون في أمريكا، «أن ينام على الفكرة»، واتفقنا على الاجتماع بعد أسبوع. حين التقينا في المرة التالية كانت بعض الأمور قد تغيرت، وكانت الفكرة في رأسه قد تخمرت، مما جعله أكثر حماساً مني لعرضها على الحكومة الأمريكية.

وكما يعرف كل من درس هذا الموضوع أو قرأ كتابي «الحوار الفلسطيني الأمريكي» بالعربية أو بالإنجليزية The US-PLO Dialogue ، كانت نتيجة المباحثات النجاح، حيث اعترفت الحكومة الأمريكية بمنظمة التحرير الفلسطينية وبدأت العملية السلمية في أوائل العام ١٩٨٩.

لذا، لا يمكن فصل الوسطية عن العقلانية التي تعني اتباع نهج عقلاني وواقعي وعلمي في التفكير، واتخاذ مواقف تعكس مسؤولية اجتماعية عالية بناء على وعي مجتمعي سليم، إلا أن العقلانية عملية معقدة لا يمكن بلورتها وفهمها وتبنيها دون إعادة هيكلة الثقافة السائدة.

المعلومات والتواريخ والأرقام وقصص الأجداد ليست ثقافة. الثقافة هي وعي اجتماعي وأمانة علمية وشجاعة أدبية ومعرفة بالعصر وقدرة على التعايش معه، وهذه أشياء تفتقدها غالبية مدعي الثقافة من العرب. ■

هل في مقدورنا صياغة مشروع الحكماء؟

المنطويات العلميّة والتربوية في فكر الأمير الحسن بن طلال

د. تيسير صبحي *

- مؤشرات الواقع الراهن وتوجهات المستقبل والدور الحضاري للعلماء والتربويين.
- هل يمكن أن تثمر التنمية الإنسانية الشاملة أو تستمر من دون التحول التاريخي؟
- انتشار الأمية التربوية والعلمية وظاهرة السطو والانتحال والسرقة العلمية.
- هل يمكن توسيع مظلة منتدى الفكر العربي؟
- تأسيس صندوق المواهب.
- دور الفضائيات في عزل المفكرين والعلماء والتربويين.
- بناء شبكة من العلميين والتربويين.

أشارت المصادر الدبلوماسيّة إلى أنّه سيجري العمل على إعادة صياغة ميثاق جامعة الدول العربيّة بغرض تفعيل الجامعة ومؤسّساتها على الصعد والميادين كافة. وقد جاءت هذه الخطوة ونحن بأمس الحاجة إلى إعادة الأمور إلى نصابها، وضرورة تسييد الفعل الحضاري، والاهتمام بشكل أكبر بالتربية والتعليم والعلوم والتقانات بوصفها أدوات حضاريّة تساعد في ارتقاء الأمة ومواجهة التحديات الحضاريّة المفروضة عليها.

كما أشارت الأوساط الدبلوماسيّة إلى تكليف الأمير الحسن بن طلال بهذه المهمة التي تتصف بأنّها على درجة عالية من الأهميّة. لذا، بادرت إلى الكتابة حول هذا الموضوع بغرض تسليط الضوء على فكر الأمير الحسن بوصفه الأرضيّة التي سينطلق منها في صياغة منهج عمل الجامعة العربية للمرحلة المقبلة، كما وددت أن أشير إلى

* مدير مركز جامعة الخليج العربي للاستشارات والتدريب والتعليم المستمر؛ المنامة - مملكة البحرين.

إنجازاته في ميادين التربية والعلوم، حيث يعمل فكره الاستراتيجي على استشراف المستقبل وتحديد خطوطه العريضة، ومتطلبات الفعل الحضاري.

منذ زمن بعيد وأنا أتابع أحاديث الأمير الحسن بن طلال، وأنعم النظر في كل كلمة يقولها، وأبحث عن المنطويات العميقة التي تنطوي عليها مقولاته، وأعمل على استنطاقها في ضوء بنية معرفية شاملة ومعايير موضوعيّة، بهدف التوصل إلى سيناريوهات الحل التي يبدعها التفكير الاستراتيجي لسمو الأمير الحسن لمعالجة جملة المشكلات الحضاريّة، ومن ضمنها مشكلات التنميّة الإنسانيّة. وقد ترددت كثيراً في الكتابة حول هذا الموضوع، إلا أنّ الفضائيّات العربيّة دفعتني بقوة نحوه، حيث أجرت جملة حوارات مفتوحة مع سموه تزامنت مع زلازل مدمرة أضافت إلى تاريخنا جملة نكبات، وهي ما زالت تهدد هويتنا الحضاريّة، وتدفع بنا باتجاه هامش التاريخ. وفي خضم النكبات والكوارث قد يصاب الفرد بحالة يأس وضعف تدفعه إلى التخلي عن دوره الاجتماعي والمهمات الحضاريّة التي ينبغي أن يقوم بها، إلا أنّ النمذجة التي قد توفرها الشخصيات القيادية المبدعة تلعب دوراً مهماً في الحيلولة دون حدوث ذلك، وتساعد في المواجهة والتصميم على مواصلة العمل والإبداع.

كتبت هذه المقالة من منظور علمي وتربوي بغرض تسليط الضوء على المنطويات العلميّة والتربوية في فكر الأمير الحسن. وتهدف هذه المقالة، أيضاً، إلى لفت أنظار الباحثين والمتخصصين في الميادين المعرفيّة الأخرى (مثل: العلوم الاجتماعيّة، والاقتصاد، والإدارة، ...) إلى ضرورة دراسة فكر سموه والإفادة منه في صياغة «مشروع الحكماء».

يشير واقع الحال إلى أزمة حضاريّة تعيشها الأمة العربية الإسلاميّة وتهدد حاضرها ومستقبلها؛ وهي نتاج عقود من الممارسات الخاطئة في ميادين الحياة كافة. لذا، وكي أتجنب الخوض في العموميات سيقتصر حديثي في هذه المقالة على موضوع محدد، هو عنوان هذه المعالجة. وسأبدأ بطرح جملة تساؤلات، وأعرض جملة مؤشرات حول الواقع الراهن. وأختم هذه المقالة بجملة اقتراحات ينبني جوهرها على منطويات علميّة وتربويّة مستمدة من فكر سمو الأمير الحسن بن طلال.

كثيرة هي الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا السياق، ومنها:

- هل في مقدورنا نقد الواقع وتشخيصه بدلاً من الشكوى والتذمر ونقد الذات وتجريحها؟
- ما الأسباب الكامنة وراء تخلفنا وتراجع حضارتنا وتأزم حالنا؟
- ما الدور الحضاري المأمول للعلماء والتربويين من أبناء الأمة العربيّة الإسلاميّة؟
- هل قامت منظومات التربيّة والتعليم في الدول العربيّة والإسلاميّة بواجباتها؟
- ما الذي يحكم سلوك الفرد والجماعة، وهل نمتلك مصفوفة قيم تقوم بهذا الدور؟
- هل ندرك فعلاً خطورة الانجراف إلى التعميمات والأحكام غير الناضجة؟
- لماذا لم تنشأ مدرسة فكر عربي تنظر في موطىء أقدامنا؟
- أين هي التجارب العربيّة الوَسَاتيّة الجادة التي ترسم خطوط المستقبل على امتداد تراث الماضي وإنجازات الحاضر؟

- هل نحن بحاجة إلى مراجعة سياستنا العلميّة والتربويّة؟

- لماذا لا نرتقي بالتعليم إلى مستوى تعليم التفكير والحل المبدع للمشكلات، ومساعدة أفراد الجيل اللاحق على اكتساب معارف ومهارات وخبرات تنسجم مع متطلبات القرن الحادي والعشرين؟

- هل ندرك قيمة العلم ودور التقانة في الفعل الحضاري؟

- هل يمكن أن تثمر التنميّة أو تستمر من دون التحول التاريخي؟

- لماذا توقفنا عن بناء الجسور الحضاريّة مع الثقافات والحضارات الأخرى؟

- كيف نستطيع التعامل مع آليات «العولمة» واستحقاقاتها وانعكاساتها وتأثيراتها في الحياة برمتها؟

بقي أن أدعوك عزيزي القارىء أن تخرج على المألوف، وأن تضيف إلى هذه القائمة جملة أسئلة واستفسارات أخرى قد تساعد في تحديد مؤشرات الواقع. وأتوقف عند هذا الحد، وأنتقل إلى المحور التّالي من هذه المعالجة.

كثيرة هي مؤشرات الواقع الراهن، وفي مقدورنا رصدها بدقة، وتحديد سمات الحقبة التاريخيّة التي نعيشها الساعة وخصائصها، حيث تساعدنا في رسم الخطوط العريضة لبرامج المستقبل وآفاق الفعل الحضاري. لكن، ستقتصر عمليّة الرصد هذه على جملة مؤشرات مستمدة من ميادين التربيّة والتعليم والعلوم والتكنولوجيا. إذاً، فلنبدأ برصد مؤشرات الواقع الراهن.

- انتشار الأميّة التربوية والعلميّة بصورة متزامنة مع انتشار ظاهرة السطو والانتحال والسرقة العلميّة والتزوير والفبركة من دون حسيب ولا رقيب، والأمثلة على ذلك كثيرة، فهي/ هو تسرق/ يسرق (٢٠) كتاباً، ويحظى/ تحظى بتكريم، وتتوج مجهوداتها أو مجهوداته بلقب يعرف اختصاراً بدال نقطة (أو د.) ونضيف إليه المزيد من الحروف والألقاب، ونوظفه في شتى ممارسات الاحتيال في وقت تغرق فيه الأمة في أزمة حضاريّة تهدد مستقبلها.

- بروز فئة من «العلميين والتربويين» يقوم أفرادها بجملة بحوث ودراسات غايتها الترقية والحصول على مزيد من الامتيازات. لكن، كم أفاد المجتمع والبشريّة منها؟ وما نتاجاتها على أرض الواقع في مقابل ذلك الإنفاق وتلك الامتيازات؟!

- اتساع الفجوة بين المؤسّسات العلميّة والتربوية وبين مؤسّسات المجتمع وقطاعاته المختلفة.

- زيادة نسبة المؤسّسات «التربويّة» التي تسوّق بضاعة فاسدة ومفسدة وضارة، وتقف في موقع المنافسة مع المؤسّسات الأكاديمية العربيّة رفيعة المستوى. ونلاحظ أنّ الإقبال على تلك المؤسسات التي أنتجتها تلك الطفرة غير مسبوق، ويقبل عليها الطلبة في طقوس تسمى «محاضرات» تتوافر للطلبة في إطار عمليّة يقال عنها إنّها تربويّة، وتحتضنها بيئة تفتقر إلى المصداقيّة والقيم الأخلاقيّة وتحكمها الشلليّة ودعم الانتهازيّة، وتنمية الطفيليّة، وتكون نتاجاتها في صورة أفراد من دون قيم، وتحكمهم توجهات فرديّة، وتحركهم أنانيّة مفرطة وحقد دفين ورغبة في التدمير والانتقام، وتؤطر سلوكهم إتجاهات سلبيّة. ولعل ممارسة التخريب والتدمير والسلب والنهب هي أسطع الأمثلة على فشلنا وفشل منظوماتنا التربوية. وباتت التربية مهنة من لا مهنة له، وفعلها الحضاري محدود الأثر.

▪ مَنْ قال إنّ شركة «كلون إيد» هي أولى شركات استنساخ البشر؟ وباعتقادي أنّ الريادة لنا في هذا الميدان. فقد تفوقنا على كثير من الشعوب والأمم المتقدمة، وطوّرنا آليات استنساخ واستمساخ (باستبدال حرف النون بحرف ميم مع الاعتذار لمجامع اللغة العربية كافة)، وبات في مقدورنا الحفاظ على هذا المستوى من التخلف، وإغلاق النوافذ الحضاريّة، واتساع رقعة البحار الآسنة. وتشكلت فرق الموت والتصفيّة الفكريّة والقهر، وانبنت قلاع تفريخ التخلف واستنساخ الأميّة. وباتت نسبة كبيرة من المؤسّسات العلميّة والتربويّة تعمل كمزارع لاستنبات البكتيريا الضارة واستنساخ التخلف والطفيليات؛ إلى جانب عملها كحاضنات لأمراض مزمنة وظواهر غريبة في الوقت الذي تشكل فيه المؤسّسات العلميّة والتربويّة مراكز نهضة وإشعاع وقيادة في المجتمعات المتقدمة القياديّة المتطورة.

▪ انتشار سمات وخصائص سلوكيّة خاصة مميزة لفئة من حملة الألقاب العلمية من الذكور والإناث، حيث تجد أنّ تجارتهم هي من الكتب المسروقة، ومقولاتهم من دون معنى ولا مغزى، ومشروعاتهم حبر على ورق، ونوافذ أدمغتهم مسدودة، وأياديهم طويلة، وألسنتهم من جلد الثعبان، وجلودهم سميكة، وضمائرهم في حالة موت سريري، ولسان حالهم يقول: «من بعدي الطوفان». لكن، هؤلاء هم مَنْ يحصدون المكافآت والامتيازات.

▪ في المجتمعات المتقدمة ينقسم أهل العلم والخبرة والمعرفة إلى تخصصات يسودها الفكر العلمي المنظم؛ إلى جانب الالتزام الدقيق بمجال التخصص. وفي العالم الثالث نشهد زيادة كبيرة في حملة الألقاب العلميّة ويتزامن معها حالة من التراجع المريع. وهناك فئة من حملة الألقاب العلميّة حصلوا على ألقابهم من «دكاكين الشهادات»، ويمارسون جملة تخصصات لم يتقنوها ولن يتقنوها أبداً، وليست لديهم معارف ولا مهارات ولا خبرات في ميدان التخصص المدون على تلك الشهادة (أو الكرتونة). فهذا يتحدث عن الفيزياء النووية اليوم، وغداً تسمعه يتحدث عن الإعاقة السمعيّة أو جيولوجيا المريخ... ولا أستبعد أبداً أنّه/ أنّها سيتحدث/ ستتحدث غداً عن التفكير الاستراتيجي إنْ نجح/ نجحت في الحصول على مصادر يمكن السطو عليها واستغلال محتواها.

▪ انحسار الدور الحضاري المهم لمؤسّسات المجتمع (ومن ضمنها نسبة كبيرة من المؤسّسات العلميّة والتربويّة العربيّة) في عمليّة التنشئة الاجتماعيّة، في وقت لا نستطيع فيه الحديث عن العفة والطهارة الأكاديميّة في عالم متخلف يسوده «أوكازيون الشهادات».

▪ كثيرة هي المؤشرات الدّالة على التقدم والتطور والنماء، ويشكل الإبداع أبرز تلك المؤشرات؛ كما يشكل الإبداع آليّة من آليات التطور والتقدم والازدهار. إذاً، علينا أنْ نبحث عن سيناريوهات الحل. وقد تكون البداية في تدمير آليات استنساخ التخلف، وإعدام لصوص الكلمة والفكرة، والقضاء على أدعياء العلم والمعرفة، وفتح نوافذ حضاريّة عديدة، وتجريد اللصوص من أدواتهم (التقليديّة والإلكترونيّة) وشهاداتهم وامتيازاتهم، فهؤلاء هم ناصية الاستعمار وفيلقه المتقدم.

▪ توفر المجتمعات المتقدمة بيئات مناسبة للإبداع والتفوق ورعاية الموهوبين. وتعمل مجتمعات الدول الناميّة - بقدر المستطاع - على خلق معوقات الإبداع وبيئات الإحباط ورعاية الموهومين (وأعترف هنا بأنّ مصطلح موهوم هو من المصطلحات المبتكرة في ميدان الموهوبيّة والإبداع، وهو من مفردات العقد الأوّل من القرن

الحادي والـعشـريـن). ويشير واقـع الحال إلى سـيـادة الموهومين وتربعهم على عروش التخلف والتبعيّة. وقد بات العقل حبيس بيئات صنعها أفراد تلك الفئة الموهومة، وانقلبت الموازين، وبات هؤلاء هم المعيار والحكم.

▪ من الناحيّة النظريّة، ينبغي أنْ تعمل قطاعات الإنتاج كافة على توفير الدعم المادي والمعنوي للمؤسّسات الأكاديميّة والمشروعات العلميّة والتربويّة والثقافيّة بوصفها مسؤولة عن: صناعة الأجيال، ومعالجة المشكلات القائمة، وقيادة المجتمع وتلبيّة احتياجاته، وصناعة مستقبل أبنائه. وعلى أرض الواقع، نجد أنّ غالبية المؤسسات الأكاديميّة ومراكز البحوث والدراسات لا تحظى بهذا الدعم، وأنّ نتاجاتها ضعيفة ومتواضعة وليست في مستوى ما ينفق عليها!! والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: هل ينبغي إعادة النظر في أوضاع هذه المؤسّسات وترشيد الإنفاق عليها، أم ماذا؟!

▪ كثيرة هي مظاهر الاهتمام بالعلوم والتقانات الحديثة والتراث العلمي والتقاني على المستوى العالمي، إلا أنّها ما زالت دون المستوى المطلوب على الصعد المحليّة والعربية والإسلاميّة. وينحصر اهتمامنا في استيراد أرقى التقانات وأجملها وبناء أفخم المؤسسات.

▪ في الوقت الذي نشهد فيه العولمة تفتك بالحدود الوطنيّة والإقليميّة، نجد لصوص الكلمة والفكرة يمارسون أنشطتهم من دون رقيب ولا حسيب. كما نجد أنّ عمليات الاستمساخ ما زالت مستمرة، ويجري تسويق بذور التخلف وغرسها، وأصبحت ميادين الفكر والثقافة تحت سيطرة الأميين، وباتت الفضائيات في خدمة عملية تذويب الهوية، وانحطاط الذوق العام، وزراعة قيم التخلف والانهزام والغريزيّة، والميل إلى تدمير الذات في خضم أي تحد حضاري أو مواجهة.

وماذا بعد؟

في ضوء الأسئلة والاستفسارات المذكورة أعلاه، وجملة مؤشرات الواقع، أتقدم بجملة اقتراحات تستند إلى المنطويات العلميّة والتربويّة لفكر الأمير الحسن التي تؤكد على الدور الحضاري للحكماء، حيث يدعوهم إلى التمسك بقيمنا، والالتزام بأهدافنا، والتحيز للأمة والعمل الجاد في صياغة مشروع نهضوي يساعد في إقالة عثرات الأمة واللحاق بركب الأمم والمجتمعات المتقدمة. ومن أبرز الاقتراحات في هذا السياق:

(١) - توسيع مظلة منتدى الفكر العربي كي تظلل برامج وأنشطة ومشروعات علميّة وتربويّة ينحصر دورها في التخطيط الاستراتيجي، وإعداد الخطط الرئيسية (Master Plans)، وتفصيلها في خطط عمليّة تنفيذيّة (Action Plans) تساعد في رسم توجهات المستقبل، وتقويم نتاجات تنفيذيّة من قبل الجهات المعنيّة. ولا يفوتني في هذا السياق الإشارة إلى دور سموه في خلق الحاضنة التي انطلقت منها مشروعات التثقيف العلمي (وأقصد هنا الجمعية العلميّة الملكيّة)، وبناء مدارس (فكريّة) علميّة مثل مدرسة البتراء في الفيزياء، وتوفير برامج في التربية القياديّة المبدعة (Creative Leadership)، وتقديم الأنموذج الذي يحتذى في القياديّة المبدعة من خلال برامج التلمذة (Mentorship)، وغيرها. وقد يكون من المناسب في هذا السياق دراسة هذه التجارب، وبحث سبل تعميمها وتوسيع قاعدة نشاطها، وتكامل مشروعات برامجها وخدماتها مع المؤسّسات المثيلة في العالمين العربي والإسلامي.

(٢) - تأسيس صندوق دعم المواهب الذي اقترحه العالم الفيزيائي المرحوم البروفيسور عبدالسلام

الباكستاني (الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء في العام ١٩٧٩)، حيث كانت فكرة سلام أصيلة، وانبنت على جملة مسوغات تنسجم مع واقع الحال في دول العالم الثالث بعامة، والبلدان العربيّة الإسلاميّة بخاصة.

(٣) – بناء شبكة دوليّة من العلميين والتربويين والعلماء على أساس مؤسّسي يكفل استمراريتها، وتكون فاعلة على الصعيدين العربي والعالمي، بهدف التجسير بين الحضارات المختلفة، ومساعدتنا في تحديد سبل ومتطلبات وإجراءات تطوير منظوماتنا التربويّة ونقل العلوم والتقانات المختلفة، والعمل على توطينها وتوظيفها بفاعليّة في الفعل الحضاري والعمل على تطويرها.

(٤) – تفعيل المنابر المتاحة، واستغلال منابر الإعلام في التنشئة الاجتماعيّة التي نريد، وتوظيف وسائط الإعلام في زيادة مساحة التفاعل مع الجماهير، ومباشرة سلسلة من الحوارات التربوية المعمقة حول مجمل القضايا والمشكلات التي تتصل بميدان التربية والتعليم، ومنها: الوطني والإقليمي في مواجهة العولمة وانعكاساتها التربوية، والسياق الاجتماعي والثقافي للموهبة والإبداع (بمعنـى الإبداع العـام والإبداع الخاص)، والإبداع المسؤول (Responsible Creativity)، ومسؤوليّة المبدع عن تطوير وسائط الدمار والتخريب والاستغلال اللاأخلاقي للعلم والتربية ومنتجات التكنولوجيا.

(٥) – الاتجاه بشكل أكبر نحو تعليم مهارات التفكير بعامة ومهارات التفكير المبدع بخاصة، وممارسة الحل المبدع للمشكلات؛ فمن يمتلك تلك المهارات ويتمرس في معالجة مشكلات مستمدة من أرض الواقع لا ينخدع بسهولة. وهناك إجراءات عمليّة تساعد في خلق هذا التوجه، ومنها: تنشيط حركة التأليف والترجمة في هذا المجال (مع ضرورة الالتزام الصارم بحقوق الملكيّة الفكريّة)، وزيادة أنشطة التدريب وبرامجه، وإثراء المناهج والمواد التعليميّة بصورة تساعد في تنميّة التفكير، وإدخال تغييرات جذريّة على طرائق التدريس، وتوظيف التقانات الحديثة وخدمات الشبكات المحوسبة ومن ضمنها (إنترنت) في ميادين الحياة، بما فيها العمليّة التعليميّة التعلميّة.

(٦) – صياغة مصفوفة القيم التي تحكم سلوك الإنسان (القادر على تحمل مسؤوليات القرن الحادي والعشرين، إلى جانب القدرة على التعامل مع مشكلات القرن وتحدياته)؛ وتأخذ في الحسبان تفاعلات هذه المصفوفة مع دوافع الفرد واتجاهاته المختلفة. وقد كانت مصفوفة القيم هذه موضع اهتمام خاص لدى الأمير الحسن؛ وتأتي الإشارة إليها هنا بوصفها موجه جهودنا ومشروعاتنا الحضاريّة، وبغرض لفت انتباه الباحثين والدارسين إلى ضرورة مباشرة العمل فيها وإنجازها بصورة تنسجم مع توجهاته، وتترجم المنطويات العلميّة والتربويّة في فكره بصورة مشروعات عمليّة قابلة للتنفيذ، وتأخذ في الحسبان مؤشرات الواقع الراهن والإمكانات الماديّة والبشريّة وتوجهات المستقبل. وللحديث بقيّة.

■

(٢)

أوشفيتز
العار الأبديّ

د. الحبيب الجنحاني *

أحيت أوروبا قبل أسابيع قليلة ذكرى مرور ستين سنة (٢٧/٠١/١٩٤٥-٢٧/٠١/٢٠٠٥) على تحرير المعتقل النازي الشهير «أوشفيتز»، وسقوط المعتقلات الأخرى التي زرعها النظام النازي في ألمانيا وفرنسا وبلدان أوروبا الشرقية التي احتلها، خاصة بولندا.

واكب جميع الأحرار في العالم برامج إحياء هذه الذكرى المأساة بعد أن كشفت الأفلام الوثائقية والدراسات الجديدة عن هولها، و عن مدى الرعب الذي استخدمت فيه تقنيات الحضارة الحديثة لتصنيع الموت.

أخطأت النظم الأوروبية لما اكتفت بدعوة البلدان التي شاركت في الحرب العالمية الثانية وإسقاط النظام النازي فقط لإحياء ذكرى تحرير المعتقلات النازية. فينبغي اليوم أن تحيي جميع الشعوب ذكرى هزيمة النازية وتحرير معتقلاتها للإفادة من الدرس، والتصدي لأي نظام استبدادي في القرن الجديد، وإسقاطه قبل أن تبلغ المأساة حدودها القصوى، خاصة بعد أن تطور المجتمع البشري، وأصبح العالم قرية صغيرة فسقطت الحدود والمسافات.

ومن دروس التجربة النازية الوقوف على الخطأ التاريخي الفادح الذي ارتكبته النظم الأوروبية القائمة يومئذ لما غضت الطرف عما بدأ يتضح منذ الأعوام الأولى من وصول النازيين إلى السلطة، ولم تحرك ساكنا قبل أن يتمرد المارد. إنها تناقضات مصالح الرأسمالية الإمبريالية الكامنة وراء كثير من مآسي الشعوب منذ مرحلة الاستعمار القديم حتى اليوم.

ركزت برامج إحياء الذكرى، وما واكبها من دراسات وبرامج إعلامية، على وصف المأساة في

* أستاذ التعليم العالي/ كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة/ الجامعة التونسيّة.

المعتقلات النازية، وأهملت، أو تكاد، بحث الأسباب العميقة التي جعلتها تنبت وتنمو في بلد عريق في الحضارة اشتهر في العالم بفلاسفته وأدبائه وفنانيه.

من المعروف تاريخيا أن النظام النازي لم يعتمد على الآلة العسكرية والأجهزة الجهنمية لمخابرات س س فحسب، بل سانده كبار رجال المال والصناعة وعدد كبير من فئات النخبـة، نجد بينهم مفكرين كبـارا مثل هيدغـر (١٨٨٩-١٩٧٦)، وإذا استثنينا مجموعة من الرهبان الذين لم يسكتوا عن الجرائم النازية، فإن الكنيسة الرسمية قد صمتت. ولم تحرك البابوية ساكنا رغم علمها بقطارات الموت.

طرح عدد من المفكرين الغربيين السؤال الآتي: كيف يمكن أن تظهر نظم عنصرية فاشية في بلدان ترسخت فيـها حداثـة عصـر الأنـوار، وكـانت من بنـاتـها؟ وطرحوه من جديد في ضوء أحداث البوسنة والهرسك وكوسوفو، وما كشفت عنه أخيرا الوثائق من أساليب نـازيـة اسـتـعـملـهـا الجيش الـفـرنـسي ضـد الشعب الجزائري، والجيش الأمريكي بالأمس القريب ضد الشعب الفيتنامي، وما يفعله اليوم في المدن العراقية، وما حدث في الفلوجة الذي لا يقل بشاعة عما فعله النازيون في الغيتو اليهودي بفرصوفيا.

تباينت الآراء في الإجابة عن السؤال. وأذهب إلى القـول: إن السبب الجوهري لبروز ظاهرة الإبادة الجماعية والتصفية العرقية يتمثل أساسا في التحام قوة عسكرية طاغية بأيديولوجية عنصرية تبرر سياسة التـوسـع والسـيـطـرة عـلـى الآخـريـن بـاسم خـدمـة الإنسانية، ولو أدى الأمر إلى ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. فالنازية لم تنشأ من عدم، بل هي نمط جديد من أنماط احتلال البلدان والسيطرة على الشعوب التي عرفتها الظاهرة الاستعمارية القديمة، خاصة في مرحلتها الإمبريالية. نمط بدأ هذه المرة في أوروبا ليـتـجـاوزهـا بـعـد ذلك، محققا حلما قديما من أحلام الإمبريالية الألمانية، فلا غرابة إذاً أن تساند المشروع النازي التوسعي.

حاولت النازية أن تخلق عدوا لها لتقنع الشعب الألماني بـأن الـنـقـاء الـعـرقـي هـو ضـروري لـلـوحـدة والـقـوة والسيطرة على الآخرين. فكان العدو الأول اليهود في ألمانيا أولا، ثم في أوروبا ثانيا. فهم الذين استهدفوا أساسا بالتصفية العرقية والإبادة الجماعية، خاصة بعد بلوغ المأساة مرحلتها القصوى سنة ١٩٤٢ بتنفيذ الحل النهائي. لكن المخطط النازي قد شمل غيرهم من فئات اجـتـمـاعـيـة مخـتـلـفـة: الـغـجـر، والـيـسـار الألماني، والمعتوهين والعجزة الألمان لأنهم يمثلون عارا بالنسبة لشعب آري قوي ونقي. كما شمل بعد بداية الحرب والاحـتـلال أسـرى الحرب، ورجـال المقـاومـة، والـيسـار الأوروبـي بشتى فئاته. وإذا أخذنا معتقل «أوشفيتز» مثالا، فإن الأبحاث قد أكدت أن النازيين أبادوا فيه مليونا ونصفا تقريبا، بينهم مليون من أصل يهودي، والبقية من شعوب أخرى.

وشاءت الصدف أن أزور أوشفيتز في فترة مبكرة قبل اكتشاف كثير من الوثائق، وظهور كثير من

الحقائق. وزرت أكثر من مرة معتقل «بوخنفالد» بالقرب من مدينة الأدب والفن الألمانية «فيمار»، مدينة غوتة، وشيلر، واطلعت عن كثب على وسائل التعذيب، وغرف الغاز، وأفران حرق الجثث البشرية.

قد تكون الإحصائيات غير دقيقة، وحصلت المبالغة في بعض الأرقام، كما يحاول إثبات ذلك من نفوا المحرقة في أوروبا اليوم. فالقضية في حقيقة الأمر ليست قضية عدد: هل بلغ ضحايا المحرقة النازية خمسة ملايين يهودي أو أكثر من ذلك أو أقل؟ وإنما الأمر يتعلق أساسا بأيديولوجية الظاهرة وفظاعة أساليبها. فقد ندد قبل أعوام قليلة المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد ببعض الأصوات العربية الناشزة التي ناصرت المفكر الفرنسي روجي جارودي عندما شكك في عدد ضحايا اليهود قائلا: إذا كنا نريد أن يعترف العالم بالمآسي التي عاني ويعاني منها العرب اليوم فلابد أن نعترف بمآسي الآخرين، ونتضامن معهم. إن إقرار الحقيقة التاريخية لا يعني أبدا قبول استغلال الصهيونية للمحرقة لتبرير ما تقوم به إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، بل على العكس، إن هذا الاعتراف يمكننا من مطالبة شعوب العالم واليهود أنفسهم بالربط بين مأساة المحرقة وما يقوم به الصهيونيون اليوم من اضطهاد وقمع ضد الشعب الفلسطيني.

لا أدري هل تذكر رؤساء الدول الأوروبية وممثلو الجمعيات اليهودية الذين حضروا إحياء ذكرى تحرير معتقل أوشفيتز، وهم يستمعون إلى الخطاب الذي ألقاه الرئيس الإسرائيلي مندداً بجرائم النازية ومطالبا المجتمع الدولي بالتصدي لما يشبهها من جرائم، مأساة الشعب الفلسطيني، وقتل الجيش الإسرائيلي يوميا للأطفال والنساء والشيوخ، والاستيلاء على الأرض، وهدم المنازل؟

أشرت قبل قليل إلى أن الأيديولوجية النازية لم تنشأ من عدم، بل أفادت من التنظير للتوسع الاستعماري في مرحلته الإمبريالية في نهاية القرن التاسع عشر من جهة، ومن القوميات المنغلقة التي عرفتها أوروبا في نهاية القرن نفسه من جهة أخرى. ويؤكد كثير من المؤرخين الإسرائيليين مثل «زايف شترن هال» أن الصهيونية نمط قديم من القوميات الشوفينية المذكورة. فهي تذهب إلى أن لليهود حقوقا متميزة ترفض أن يتمتع بها الآخرون، منطلقة في ذلك من أسطورة «شعب الله المختار»، وقد استغلت المحرقة لتبرر سياسة إسرائيل ضد الفلسطينيين. وليس هذا من باب المبالغة، فقد كتب أحد المفكرين الفرنسيين المناصرين لإسرائيل يقول: إن المجازر التي عاشها اليهود في أوروبا أيام الحكم النازي أعطتهم الحق في فعل كل شيء!

إن هنالك فروقا دون ريب بين النازية والصهيونية. فلم تصل العنصرية الصهيونية حد الزج بالبشر في غرف الغاز وأفران المحارق. لكنهما تلتقيان في التنظير لعقيدة امتياز بعض الشعوب ونقائها، وبالتالي ينبغي أن تتمتع بحقوق لا يحق لغيرها أن تتمتع بها. وتلتقيان كذلك في سياسة الإبادة الجماعية، والتهجير القسري، وهدم المنازل. ولابد من التنويه في هذا الصدد بالأبحاث العلمية التي أصدرها في الأعوام

الأخيرة المؤرخون الجدد في إسرائيل نفسها، فقد نسفت هذه الدراسات كثيرا من الأسس التي قامت عليها دولة إسرائيل، وفضحوا زيف مقولتين حاولت الدعاية الصهيونية إقناع الرأي العالمي بهما:

أولا – أن دولة إسرائيل بريئة من تهم الطرد الجماعي للفلسطينيين من ديارهم وقراهم، وبريئة من التعذيب والقتل الجماعي.

ثانيا – المقولة التي كشفوا زيفها عام ١٩٩٨ عبر سلسلة وثائقية «تكوما»، وهي «أرض بغير شعب لشعب بدون أرض». فبينوا بالأدلة التاريخية الدامغة أن أرض فلسطين لم تكن بدون شعب، بل كان يسكنها شعب عريق في الحضارة هو الشعب الفلسطيني. وقد لحقهم عنت شديد نتيجة موقفهم الموضوعي هذا، واتهموا بأنهم يمثلون طابورا خامسا للفلسطينيين.

ولابد من الإشادة في هذا الصدد بالموقف الشجاع الذي وقفه كثير من المفكرين الأوروبيين المنحدرين من أصل يهودي، خاصة الفرنسيين منهم، ضد سياسة الدولة الإسرائيلية المؤسسة على الأيديولوجية الصهيونية. فقد أعرب المفكر الفرنسي الشهير جاك دريدا، وهو على فراش الموت، عن حيرته وأزمة الضمير التي كان يعاني منها كلما بلغته أنباء القمع التي يمارسها بنو قومه ضد الشعب الفلسطيني.

المؤرخون اليهود هم الذين اعتمدوا على وثائق الرايش الثالث لإثبات علاقة القادة الصهيونيين بالنازيين، مثل بن غوريون ومناجيم بيغين وإسحاق شامير وليفي إشكول وموردخاي رومكونسكي. فقد بقيت المنظمة الصهيونية لليهود الألمان معترفا بها رسميا إلى سنة ١٩٣٨، أي خمسة أعوام بعد وصول هتلر إلى السلطة، وكان الشغل الشاغل للقيادة الصهيونية هو تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين قبل الاهتمام بضعفاء اليهود. فقد صرح بن غوريون يوم ٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٨ قائلا: «لو أعلم أنه من الممكن إنقاذ جميع أطفال ألمانيا (يعني اليهود) وترحيلهم إلى انجلترا، أو إنقاذ نصفهم فقط وترحيلهم إلى أرض إسرائيل، فإنني سأختار الحل الثاني، ذلك أنه يجب علينا الأخذ بعين الاعتبار ليس فقط حياة هؤلاء الأطفال، بل أيضا تاريخ شعب إسرائيل».

عاش القرن العشرون مأساتين إنسانيتين كبيرتين:

– مأساة اليهود الذين طردتهم النازية من منازلهم وبعثت بهم إلى معتقلات الموت، وذلك هو العار الأبدي الأول.

– ومأساة الفلسطينيين الذين طردتهم الصهيونية العنصرية من أرضهم وديارهم ورمت بهم في مخيمات الشتات، وذلك هو العار الأبدي الثاني.

■

سلسلة اللقاءات الشهرية

(١)

ندوة فكرية خاصّة حول المرحوم الدّكتور أحمد صدقي الدّجاني *

المتحدثون:

أ. أحمد السعدي؛ أ. د. علي محافظة؛ أ. توفيق أبو بكر **

مدير اللقاء: د. علي عتيقة

موقف الفقيد الكبير الدكتور أحمد الدجاني ورؤياه للقضية الفلسطينية

أحمد السعدي

تعرفت على المرحوم الفقيد العزيز الدكتور أحمد صدقي الدجاني في عام ١٩٦٤. وكان ذلك عن طريق أصدقاء مشتركين معنيين بالقضية الفلسطينية، ولأكون أكثر دقة، معنيين بتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني. وكان الهدف الرئيسي لتلك اللقاءات حينذاك تبين الدور الطليعي للشباب الفلسطيني في التحرير، كرأس حربة للجهد العربي والمسؤولية العربية للتحرير، وليس بديلا لذلك، حيث كان هناك من أرادها كذلك.

ولعله من المفيد والمناسب التذكير بأن قضية فلسطين، بعد اغتصابها من الصهاينة عام ١٩٤٨ وهزيمة الأنظمة العربية، كانت محور برنامج كل حزب عربي تقريباً، وشكلت تحدياً للأمة العربية. وليس من المبالغة القول إنها كانت قضية كل بيت عربي، وبسببها وباسمها تفجرت الثورات وحصلت الانقلابات، وكان تحدي الاحتلال الصهيوني لفلسطين تحدياً لكل نظام

* عقد هذا اللقاء [رقم (٢٠٠٤/٣)] بتاريخ ٢٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٤.

** توفي في ٢٠٠٤/١٢/١٠.

عربي ولكل تنظيم عربي، والمحرك الأساسي للتغيير الموجه نحو الوحدة.

وكانت الثورة الجزائرية في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي، ثورة المليون شهيد، وإنجازها في التحرير ملهما للشباب العربي الفلسطيني للقيام بدور فدائي، مع الاعتراف بالاختلاف الجذري بين عوامل وأبعاد الاحتلال الصهيوني لفلسطين والاحتلال الفرنسي للجزائر، واختلاف موقع الشعبين من قضيتهما، بكل أبعاد هذا الموقع الجغرافي والديمغرافي والسياسي، ومدى التشابك مع الأوضاع العربية والدولية.

في ذلك العام، ١٩٦٤، كان المرحوم أحمد الشقيري يجوب الدول العربية، ويلتقي بالتجمعات الفلسطينية في إطار تكليفه من مؤتمر القمة العربي بالتشاور مع الفلسطينيين وتقديم اقتراحاته بتشكيل كيان فلسطيني، وانتهى ذلك بقيام منظمة التحرير الفلسطينية.

في خضم تلك المشاورات والاجتماعات، تم اللقاء والتعرف على المرحوم الدكتور أحمد الدجاني. وقد زاملته في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لفترة قصيرة عام ١٩٦٦، والتقت مساعينا، قبل ذلك وبعده، مع كثير من الزملاء لتشكيل التنظيم الشعبي لمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث كان المرحوم مدير دائرة التنظيم الشعبي للمنظمة. وخلال الأربعين عاما التي مضت على هذا اللقاء، استمرت لقاءاتنا لتبادل الرأي في مجريات القضية الفلسطينية.

لقد تعددت واتسعت النشاطات الفلسطينية لفقيدنا الكبير عبر العقود الأربعة الماضية. وكانت نشاطات ملأت السمع والبصر بالمؤلفات والمحاضرات والندوات والمقالات التي برع فيها وحفلت بها وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية. فالجيل العربي المعاصر يدين في جزء من ثقافته ورؤياه الفلسطينية للراحل الكبير.

يضاف إلى ذلك نشاطاته في مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وبرامجها المتعددة، بدءًا من مشاركته في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني الذي أسس لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولجنتها المركزية، ثم إدارته للتنظيم الشعبي، ومشاركته في الحوار العربي الأوروبي وفي وفد المنظمة للأمم المتحدة، وعضويته في الصندوق القومي الفلسطيني، ورئاسته للمجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم لمنظمة التحرير الفلسطينية. وكان في كل هذه النشاطات محورا بارزا، وترك بصماته داخل إطار المنظمة وخارجها.

وبالرغم من هذه المساهمات، فأستطيع القول بأنه لم يساهم في قرارات المنظمة ذات الانعطاف الخطير التي تمثلت أخيرا باتفاقيات أوسلو وملحقاتها، بل كان له موقف معارض ومحذر، كما سيأتي ذكره لاحقا.

حين نود الحديث عن رؤية فقيدنا للقضية الفلسطينية ونشاطاته ومواقفه عبر العقود الماضية، فنستذكر أنه حين بدأ نشاطه في مجال القضية، قبل قيام منظمة التحرير الفلسطينية وعند قيامها في سنواتها الأولى، كانت الرؤية العربية للقضية الفلسطينية، رسميًا وشعبيًا، بعيدًا عما كان يجري في الكواليس السياسية، تتلخص بأرض عربية محتلة، وشعب مشرد، وكيان مغتصب يهدد الأمة العربية بأمنها، وحتى بوجودها. وخلال العقود اللاحقة جرت تطورات لم تكن تخطر على بال، وكانت من المحرمات وما زالت عند الكثيرين، وانتهى الأمر لدى الدول العربية والسلطة الفلسطينية بشعار وموقف بديل للتحرير وعودة اللاجئين، وهو شعار الدولة الفلسطينية، الذي تبناه الرئيس الأمريكي بوش مؤخرًا وحتى شارون، وهو شعار يثير غبارًا كثيفا، لكنه لم يستطع

حجب حقيقة كونه تخليا عن التحرير ومواجهة العدو واحتلاله، وانسياقاً إلى مفاوضته على مصير الضفة والقطاع. وتحول الموقف العربي الرسمي إلى شعار «نرضى بما يرضى به الفلسطينيون»، وعلى وجه الدقة، إيجاد مجموعة فلسطينية، سلطة أو دولة، أو أي كيان يتحمل نيابة عن الدول العربية مسؤولية التسليم بوجود «إسرائيل»، ويعطيها شرعية احتلال فلسطين. وكانت المحطات الرئيسية لذلك قرار القمة العربية في الرباط بأن المنظمة هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، ثم قرار القمة في فاس عام ١٩٨٣ بإقرار مشروع ولي العهد السعودي، الأمير فهد بن عبد العزيز، للسلام، وقرار قمة بيروت عام ٢٠٠٢ بتبني مشروع ولي العهد السعودي، الأمير عبدالله بن عبد العزيز، للسلام. وهكذا بدلا من موقف التحرير، أصبح الجدل والحوار حول جزئيات القضية الفلسطينية، على أهميتها: المستوطنات، وحل قضية اللاجئين، والقدس، وأخيرًا الجدار العازل.

فأين رؤية فقيدنا من كل هذه التطورات للقضية الفلسطينية؟

إن التطورات التي تمت اعتبرت نتيجة مواقف الاعتدال والوسطية، بعيدًا عن التطرف، لدى مروجي هذه التطورات. وهناك من يضفي صيغة الاعتدال والوسطية على فقيدنا الكبير. هنا أود أن أوضح حقيقة اعتدال فقيدنا ووسطيته، وأنفي عنه شبهة التخلي عن المبادئ والثوابت. نعم إنه صاحب المواقف المعتدلة والوسطية، لكنها وفقا لمفهومه المتمثل بعدم الرضوخ للواقع وعدم الابتعاد عن الثوابت؛ إنها المواقف والوسائل والمناهج التي تؤكد على المبادئ والثوابت.

لقد اخترت موقفا واضحا موثقًا ومكتوبًا للفقيد عرضه في محفل رسمي للمنظمة، في مجلسها المركزي، وهو موقفه من اتفاقية أوسلو. لكن قبل أن أوجز ذلك، أود أن أبدي ملاحظتين:

١ - على الرغم من كل انعطافات القضية الفلسطينية والتراجعات العربية قِبَلها، كان فقيدنا يحلل المواقف بوضوح دون أن تجد في نهجه وتحليله مكانا للتشاؤم. كان دائمًا يعرض القضايا بروح المؤرخ المؤمن بأمته وقدراتها وأصالتها. فالقضية الفلسطينية والقضايا العربية تمر بمرحلة تراجع مأساوي كبير، لكنها، كما يراها الفقيد الكبير، مرحلة عابرة، وإن طالت.

٢ - إن ترفع فقيدنا في لغته عن الألفاظ النابية وابتعاده عن الذم والقدح الشخصي أدّيا إلى إساءة فهمه في بعض الحالات. فالفقيد لا يخرج عما ألفه من أدب الخطاب حتى مع من يخالفه الرأي. ولم يكن كل هذا على حساب الحقيقة، بل لتوضيحها بموضوعية.

واسمحوا لي الآن بإيضاح موقف فقيدنا الكبير، وأحد محاور كلمته حول اتفاقية أوسلو، وخشيته من أن هذه الاتفاقية تأتي في سياق تفتيت القضية الفلسطينية وتجزئتها، وتحويلها من قضية تحرير وطنية وقضية عربية إسلامية إلى قضية قسم من الفلسطينيين يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو الجزء الفلسطيني الذي احتل عام ١٩٦٧. أقتبس من كلمة للفقيد مدونة في الصفحات ٢٦١- ٢٧٥ من كتابه بعنوان «لا للحل العنصري في فلسطين - شهادة مدريد وأوسلو»، الصادر في عام ١٩٩٤، وهي نص الخطاب الذي ألقاه في اجتماع المجلس المركزي الفلسطيني في ١٩٩٣/١٠/١١. وهذه بعض الاقتباسات التي تحدد موقف الفقيد ورؤياه للقضية الفلسطينية:

١ - يصف الفقيد اليوم الذي يناقش فيه إقرار اتفاق أوسلو بأنه: (قد يصبح يوما فاصلا، فالسفينة التي تقلنا جميعا في مهب الريح).

٢ – يذكر الفقيد رأيه حول مؤتمر مدريد ونتاج أوسلو، فيقول: (صيغة مدريد، وما سمي بمؤتمر سلام الشرق الأوسط، عمد في هذه الصيغة لتقسيم وحدة قضية فلسطين، متعاملة مع قسم واحد فقط هو قسم الضفة والقطاع).

٣ – يضع الفقيد الأسباب حين يطالب المجلس المركزي برفض اتفاقية أوسلو، فيقول: (لأننا أمناء على الحقوق الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف للشعب العربي الفلسطيني، ولأننا أوفياء لانتمائنا العربي، ملتحمون بنضال شعوب أمتنا العربية، ولأننا متكافلون مع حركات التحرير في عالمنا ونحن نواجه معا الاستعمار والصهيونية، فإنني أدعو المجلس إلى عدم التصديق على الاتفاق وعدم التصويت أيضا).

٤ – يصف الفقيد الاتفاق بأنه ليس حصيلة تفاوض، بل هو إملاء. ويتساءل إن كانت أي حركة تحرير وطني تتعهد بنبذ الإرهاب، ويذكر أن ذلك يعني إلصاق شبهة الإرهاب بجهاد شعب عظيم ضد غزوة استعمارية استيطانية عنصرية استهدفته. كما يستغرب ويستهجن أن يقدم تعهد بنبذ الإرهاب إلى رئيس وزراء إسرائيل التي تمارس أبشع أنواع الإرهاب.

٥ – يشير الفقيد في كلمته، الوثيقة الهامة، بأن الرد الإسرائيلي على التعهدات التي قدمتها المنظمة جاء خاليا من أية تعهدات. فالإشارة إلى حق إسرائيل في الوجود والعيش في سلام وأمن، لم يقابلها تعهد بحق جميع الشعوب العربية، ومنها شعب فلسطين، بالسلام والأمن. كما لم يشر الاتفاق إلى أي التزام إسرائيلي، حتى بالنسبة للإفراج عن المعتقلين.

٦ – ويمضي فقيدنا فيقول: (إن القراءة التحليلية لاتفاق الاعتراف المتبادل، وهو ضمن اتفاقيات أوسلو، هذا الذي أعد سرًا في الظلام، تنتهي بنا إلى أنه فيما يخصنا «اتفاق مملى»، وهو مناقض لأحكام الشرعية الدولية والقانون الدولي حول قضية فلسطين).

٧ – وفيما يتعلق باتفاقية أوسلو وقضية حق العودة، يشير خطاب الفقيد بالقول:

(إن حق العودة إلى كل شبر من فلسطين وطننا هو حق طبيعي أكدته الشرعية الدولية والقانون الدولي، فماذا عنه في هذا الاتفاق؟ لا ذكر لهذا الحق. والإشارة الوحيدة كانت إلى مكان بحثه في مفاوضات الوضع النهائي).

٨ – يتساءل الفقيد في كلمته الوثيقة (عن حال حقوقنا الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف، فماذا عن أمن الوطن العربي والعالم الإسلامي وحركات التحرر فيه؟).

ومجمل القول، كما يقول الفقيد الكبير، في اتفاق إعلان المبادئ أنه يفتح ثغرة أخرى للعدو في حصن أمن وطننا العربي وعالمنا الإسلامي.

أيها الإخوة الكرام،

هذه بعض من مواقف الوسطية والاعتدال، كما يراها فقيدنا الكبير. وبهذه الوسطية والاعتدال التمسك بالثوابت والمبادئ، وهي طريق لإحقاق الحق مهما طال الزمن. فرحم الله فقيدنا، ورجل الموقف، ورجل المبادئ.

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

الدكتور أحمد صدقي الدجاني فكـره ونشـاطـه القـومي الإسـلامي في مجـال حقـوق الإنسـان

د. علي محافظة

- تربيته القومية والإسلامية.
- البيئة الفكرية والسياسية في الخمسينيات من القرن الماضي في سورية.
- عمله في ليبيا، ورسالة الماجستير التي أعدها عن تاريخ ليبيا الحديث.

- أساتذته في دمشق: شاكر مصطفى، ونور الدين حاطوم، وكامل عياد، وعبد الكريم غرايبة، وسعيد الأفغاني، وعمر فروخ - خليط من القوميين والإسلاميين. ومن أساتذته في القاهرة محمد أنيس.

- عمله في منظمة التحرير الفلسطينية وعضويته في المجلس الوطني الفلسطيني منذ نشأته أتاحا له فرصة التعامل مع أنظمة الحكم العربية ومع الحركات الفكرية والسياسية العربية، على اختلاف ميولها واتجاهاتها السياسية.

- مشاركته في ندوات مركز دراسات الوحدة العربية وغيره من مراكز الدراسات والمؤسسات الثقافية العربية، مثل منتدى الفكر العربي في عمان.

- كان عضوًا مؤسسًا في الجمعية العربية لحقوق الإنسان التي تشكلت أثناء انعقاد ندوة «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» سنة ١٩٨٣ في ليماسول بقبرص. وانتخب نائبا لرئيس الجمعية لعدة دورات. وكان له نشاطه الفكري والعملي في الدفاع عن حقوق الإنسان العربي. وسعى من خلال ثقافته الإسلامية إلى البحث في جذور هذه الحقوق في الإسلام، مثل حقوق الطفل وحقوق المرأة والأسرة.

- في كتابه «عرب ومسلمون وعولمة»، الصادر عن دار المستقبل العربي بالقاهرة سنة ٢٠٠٠، يتناول الدكتور الدجاني الديمقراطية ومعانيها المختلفة مؤكدًا أهم مبادئها، وهي احترام حقوق الإنسان، والتعددية السياسية، وتداول السلطة بصورة شرعية وسلمية، وإجراء انتخابات نزيهة تجيء بالحكام، والاعتراف بالمعارضة السياسية، وسيادة مبدأ المساواة، واستقلال القضاء.

- في تأصيله لحقوق الإنسان في الثقافة الإسلامية يؤكد أن حقوق الإنسان في الإسلام حقوق ربانية وواجبات شرعية، وليست مجرد حقوق يمكن للمرء التنازل عنها.

- تناول فقيدنا الاختفاء القسري الذي تعرض له المناضل الليبي منصور الكيخيا في ١٩٩٣١٢١٠، بعد أن شارك في اجتماع الجمعية العامة للمنظمة العربية لحقوق الإنسان. وبحث هذا الموضوع في الندوة التي عقدتها المنظمة المذكورة في ١٩٩٤/١١/٥ في بيروت، وقدمت فيها شهادة زوجة منصور الكيخيا، السيدة بهاء العمري.

- بقي فقيدنا نائبا لرئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان يناضل من أجل الدفاع عن حقوق

المظلومين والمضطهدين على أيدي النظم الاستبدادية.

- شارك في المؤتمر القومي العربي منذ أول اجتماعاته في سنة ١٩٩٠. كما شارك في أول ندوة للحوار القومي الديني التي عقدت في بيروت سنة ١٩٨٩ بدعوة من مركز دراسات الوحدة العربية.

- كان عضوًا في اللجنة التحضيرية التي شكلها المؤتمر القومي الثالث سنة ١٩٩٢ للدعوة إلى أول مؤتمر قومي إسلامي. وألقى خطاب الافتتاح في المؤتمر القومي الإسلامي الأول الذي عقد في بيروت في ١٠/١٠/١٩٩٤.

- تولى منصب المنسق العام للجنة المتابعة للمؤتمر التي عقدت أربعة اجتماعات خلال عامين من تأسيس المؤتمر المذكور. وكان أولها قد عقد في فندق كارلتون ببيروت في ١٢ ١٩٩٤١٠، وتقرر فيه أن يصبح مقر لجنة المتابعة في القاهرة، حيث كان يقيم المنسق العام.

- باشر المنسق العام عمله الدؤوب من أجل تحقيق الأهداف التي رسمها المؤتمر الأول. وواصل جمع الأخبار عن التحرك الذي تم في إطار هذا المؤتمر، لا سيما التعاون بين القوميين والإسلاميين، واتخاذ مواقف موحدة من بعض القضايا والأحداث الجارية. فعلى صعيد القضية الفلسطينية، كان للمؤتمر موقف واضح من حدث جامع فلسطين بغزة، ومن ممارسات السلطة الفلسطينية بعامة، ومن «اتفاق أوسلو – واشنطن -٢»، ومن المقاومة الفلسطينية، لا سيما في دفاعها عن المسجد الأقصى والقدس. كما كان للمؤتمر موقف مؤيد مماثل من المقاومة الوطنية في جنوب لبنان في تصديها للعدوان الإسرائيلي على لبنان في آذار / مارس ١٩٩٦ (ضرب قانا).

- من نشاطاته في هذا النطاق زيارته للمركز الإسلامي في آخن بألمانيا سنة ١٩٩٥، وإلقاؤه محاضرة في المؤتمر العشرين للطلبة والعمال المسلمين في أوروبا الذي انعقد في مدينة فرانكفورت بألمانيا بين ١٠- ١٩٩٥٨١٣. وكان موضوع المؤتمر «الحوار في واقعنا المعاصر: أسس وواقع وأهداف». ومن المحاضرات التي ألقاها في جولته الأوروبية هذه: «الحوار القومي الإسلامي» و«الواقع العربي الإسلامي الراهن».

- افتتح فقيدنا الدورة الثانية للمؤتمر القومي الإسلامي في ٢٧/١٠/١٩٩٧ في بيروت بكلمة تناولت حال الأمة وما يمكن عمله. وصدر عن هذه الدورة بيان ختامي في ١٩٩٧١٠٢٩ تضمن الصراع العربي الإسرائيلي، وعلاقات العرب بدول الجوار الإسلامية وبإفريقيا. وركز على الالتزام بالشورى والديمقراطية. وتضمن البيان توصية خاصة بالقدس، وأخرى خاصة بالأزمة الجزائرية.

- ظل فقيدنا عضوًا بارزًا في المؤتمر القومي العربي لا يتوانى عن المشاركة في جميع دوراته. وكذلك كان حاله في المؤتمر القومي الإسلامي. وواصل عطاءه الفكري على مختلف الصعد، لاسيما في هذين الميدانين.

ملاحظــات سـريعـة في رثــاء الحبيب أحمــد صــدقي الدجــاني رحمــه اللــه

د. علي أحمد عتيقة

حضرات الأخوات والإخوة، السيدات والسادة الكرام،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

ماذا يمكن أن أقول عن حبيبنا أبي الطيب في دقائق معدودة؟ فالحديث عنه وعن سيرته العطرة يحتاج إلى ساعات وأيام، بل وشهور وحتى سنوات.

أولا كان أبو الطيب بالنسبة لي شخصيا الصديق الأول والأخ العزيز، وهو ايضا خال أبنائي الأعزاء الذين فقدوا برحيله حنان الخال العطوف الودود، ومصدر سند بالنصيحة الحكيمة.

أما أنا وشقيقته أم أحمد، فقد فقدنا برحيله جزءًا هامًا من حياتنا الثقافية وعشرتنا العائلية وصلتنا بإطلالته المبهجة وأحاديثه العذبة السلسة. لا شك عندي أنه لو كان الرحيل من هذه الدنيا بالاختيار لاخترت أنا مع شقيقته أن نرحل قبله. لا أبالغ في هذا القول لأن الدنيا بعده بالنسبة لنا يختلف طعمها ولونها عما كانت بوجوده بيننا ومعنا ومع أسرته الكريمة المحبة له.

كان أبو الطيب يتمتع بصفات إنسانية نادرة بين البشر، خاصة في هذا الزمن الصعب.

١ - إن أول هذه الصفات الإنسانية كانت الكلمة الطيبة التي كان هو أستاذها بالسجية دون تكلف. فكان عندما يهاتف من لا يعرفه يقول: **«السلام عليكم، أحمد صدقي الدجاني يحييكم»**. وعندما يرد على الهاتف يقول: **«يا مرحبا بكم»**. وعندما يستهل سيارة يخاطب سائقها بقول: **«سأسعد برفقتك»** إلى المكان الذي كان يقصده أبو الطيب. كان رحمه الله لا يعرف أن ينطق إلا بالكلمة الطيبة مع جميع الناس على مختلف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية. كان باختصار يحب الناس. فنال محبتهم واحترامهم وإعجابهم أينما حل، وحيثما شارك في نشاط ثقافي أو اجتماعي أو خيري أو حتى سياسي عقائدي.

٢ - الصفة الإنسانية الثانية كانت قدرة المرحوم على مقابلة السيئة بالحسنة في التعامل مع كل من حاول أن يستفزه أو يلحق به ضررًا معنويا أو ماديا. كان يعاتب من يحاول ذلك بالإحسان إليه عندما تتاح له الفرصة. كان يؤمن ويمارس فضيلة العفو عند المقدرة، ويكسب بهذا السلوك الرفيع إعجاب كل الناس الشرفاء.

٣ - أما الصفة الثالثة لفقيدنا الكبير فكانت احترامه الكامل للرأي الآخر مهما وصلت درجة الاختلاف معه. كان لا يسفه ولا يقلل من أفكار غيره، وإذا قام بالتعليق عليها يفعل ذلك بأسلوبه المؤدب اللطيف، الأمر الذي كان دائما يكسبه احترام الحضور وإعجابهم، بمن فيهم صاحب الرأي الآخر.

٤ - الصفة الإنسانية الأخرى لأبي الطيب رحمه الله كانت مقدرته الفائقة على مخاطبة الناس على قدر عقولهم. لقد ساعده هذا الأسلوب الإنساني الرفيع على أن يتواصل فكريا واجتماعيا مع كل فئات المجتمع في كل الأوطان التي عاش وعمل فيها. كان يخاطب الشباب بلغتهم، ويهتم بالتعرف على قضاياهم الخاصة والعامة، فأحبوه واستمعوا إليه وأثر في سلوكهم الإيجابي. كما كان يخاطب الشيوخ المسنين بلغتهم، ويتفهم انشغالاتهم ومطالبهم،

ويستمع إليهم، فنال رضاهم ودعواتهم له بالخير والفلاح. ويكفيه أجرًا أن خمسة من هؤلاء المسنين، بمن فيهم والديه قد توفوا في بيته.

كان يحاور المثقف وغيره في شؤون الدين والدنيا بالتي هي أحسن. فالتمّوا واجتمعوا من حوله ولم ينفضوا. كان رحمه الله يمثل مدرسة أدب الحوار الراقي الذي يساعد على التفاهم المشترك، والذي يجمع ولا يفرق.

٥ - كان رحمه الله، على الرغم من ارتباطه الوجداني الشديد بأرضه الأم فلسطين، وضرورة، بل وحتمية، تحريرها من الاغتصاب الصهيوني العنصري، يعتبر كل الأقطار العربية وطنه الكبير، والعالم الإسلامي والإنساني وطنه الأكبر. كان يختلط ويتفاعل مع أهل كل بلد عاش فيه، وينشغل بهمومه وقضاياه العالقة، ومشاغل أهله والمساهمة معهم في إيجاد الحلول المناسبة التي تخدم البلاد والعباد.

بعد رحيل العائلة القسري من فلسطين عام ١٩٤٨ كانت سورية أول محطة لأسرته. فدرس فيها ودرّس، وتعلم وعلّم، وترك فيها رصيدا ثمينا من الاحترام والمودة لدى كل من عرفه وتعامل معه. ثم انتقل إلى ليبيا (وطني الأم) ليلتحق بأسرته هناك. فاختلط بأهلها. وكانت له مساهمة كبيرة في دراسة تاريخ ليبيا الحديث، وخلف لنا عدد من الكتب القيمة التي تعد أحسن المراجع العلمية لمعرفة أوضاع ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي. كان عمله الأساسي في ليبيا التعليم ونقل المعرفة إلى الشباب. فعلّم أجيالاً في مراحل التعليم الثانوي، ثم في معهد المعلمين، وبعد ذلك في الجامعة الليبية. كل من تتلمذ على يديه لا يزال يتذكره بالإعجاب والمودة والعرفان. ساهم رحمه الله في شرح الأبعاد السياسية والإنسانية والجذور التاريخية لقضية فلسطين حتى أصبح اسمه مرتبطًا بمصير القضية بين الناس في ليبيا.

انتقل فقيدنا الغالي بعد ليبيا إلى فلسطين عام ١٩٦٤ عندما تولى مسؤولية إدارة الشباب في منظمة التحرير الفلسطينية التي أخذت من القدس مقرًا لها. بقي في فلسطين حتى أصبح البقاء فيها غير ممكن. فاختار أن ينتقل مع أسرته إلى القاهرة في شباط / فبراير ١٩٦٧، واستمر فيها يعمل ويعطي ويتحرك في كل أرجاء الوطن العربي، بل والعالم، حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى. ودفن في هذا البلد الأصيل وبين أهله الكرام الذين عرفوا مقام أبي الطيب في حياته ومماته. سألته لماذا اختار الانتقال إلى مصر، فقال لأننا أبناء فلسطين بلادنا محتلة، وأتصور أن مصر لن تقبل بدوام الاحتلال الصهيوني لها.

وفي الختام أدعو لفقيدنا بالرحمة والغفران، ولأم الطيب وأبنائه وأهله ولكم ولنا جميعا بالصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المتحدث الرابع: المرحوم الأستاذ توفيق أبو بكر

تحدث أ. توفيق عن المواقف الشجاعة للفقيد الكبير في مجالات العمل الوطني الفلسطيني، وعلى وجه التحديد في المجلس الوطني الفلسطيني، الذي شارك فيه أ. توفيق ود. أحمد صدقي الدجاني.

وكان الحديث حميماً وتطرق إلى تجارب شخصيّة عدّة.

لكنّنا نأسف لعدم تمكّننا من نشر نصّ الحديث، لأن أ. توفيق لم يزوّدنا بأي شيء مكتوب؛ كما أنّ التسجيل - لسوء الحظ - لم يكن واضحاً. فمعذرة.

٢

لقاء مفتوح مع وفد صيني زائر من معهد شنغهاي للدراسات الدوليّة *

قام وفد صيني من معهد شنغهاي للدراسات الدولية (SIIS) بزيارة منتدى الفكر العربيّ في عمّان يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٤/٥/١٩، وعقد لقاءً مفتوحاً أداره أ. وسام الزهاوي، أمين عام المنتدى، بحضور عدد من أعضاء المنتدى وأصدقائه.

تألف الوفد من:-

- الدكتور جيميان يونغ (Dr. Jiemian YANG)، نائب رئيس معهد شنغهاي للدراسات الدولية، وزميل باحث رئيسي فيه.
- الدكتور ويجيان لي (Dr. Weijian LI)، مدير دائرة دراسات الشرق الأوسط في معهد شنغهاي للدراسات الدولية، وزميل باحث رئيسي فيها.
- السيد جينوي شو (Mr. Jinwei ZHOU) مدير قسم البحث في الكونجرس الشعبي البلدي لشنغهاي.
- الدكتور شونقي بان (Dr. Zhongqi PAN)، نائب مدير دائرة دراسات الشرق الأوسط في معهد شنغهاي للدراسات الدولية، وزميل باحث رئيسي فيها.
- السيدة سويان سون (Ms. Suyuan SUN)، زميله باحثة في دائرة دراسات الشرق الأوسط في معهد شنغهاي للدراسات الدولية.

تحدث في اللقاء كل من الدكتور جيميان يونغ والسيد جينوي شو. وقد تناول الدكتور يونغ الجانب السياسي من رؤية الصين، وتناول السيد شو الجانب الاقتصادي من تلك الرؤية.

ومما قاله الدكتور يونغ: إن الصين ترى العالم اليوم أنه عالم للسلام والتنمية، لا عالم للثورة والحرب. فالناس يريدون حياة أفضل في ظل محيط وبيئة يسودهما السلام من أجل التركيز على التنمية الاقتصادية ورفع مستوى

* عقد هذا اللّقاء [رقم (٢٠٠٤/٦)] في مقرّ المنتدى؛ ١٩ أيـار/ مـايو ٢٠٠٤.

العيش للإنسان. وهذا يؤكد الحاجة إلى حالة سلمية مستقرة.

كما تحدث عن العولمة قائلاً: إنها تسير باتجاهين متضادين في الوقت نفسه. فقد أصبح العالم أقرب بعضه من بعض؛ إلا أن الإقليمية آخذة في الازدياد. وبذلك فعلى العالم أن يواجه هذين الاتجاهين و التحدي الناتج عنهما.

ثم قال إن الحكومة الصينية ترى أن الصين قوة كبيرة بمسؤوليات كبيرة. فهي عضو دائم في مجلس الأمن الدولي، وهي قوة نووية. وهي تعمل على الصعود والنهوض السلمي من أجل ترسيخ السلام، وهي في ذلك بحاجة إلى دعم العالم وقبوله. وبين أن الصين تبدي اهتمامًا كبيرًا وتركز على تنفيذ شؤونها بشكل منتظم وترتيب بيتها من الداخل. وقد وضعت نفسها في الربع الأخير من القرن الماضي على طريق الانفتاح على العالم والإصلاح، وبذلت أفضل جهودها في سبيل تحقيق التوازن الأفضل ما بين التنمية والإصلاح والاستقرار. وقد نجحت في ذلك، وحققت ما تريد. وهي تضع نصب عينيها أن تكون في عام ٢٠٢٠ من بين المجتمعات المتقدمة في العالم. كما تعمل نحو عام ٢٠٥٠ لترفع من مكانتها بين دول العالم.

واستذكر الدكتور يونغ العلاقة التقليدية ما بين الصين والعالم الإسلامي والبلدان العربية، وبين تقدير الصين للدول العربية الصديقة التي دعمت الصين في استعادة مقعدها في مجلس الأمن الدولي. وأوضح أن الصين ترى أن البلدان العربية ومنطقة الشرق الأوسط بأسرها تشكل منطقة مجاورة لها ذات أهمية حيوية لأسباب عدة، منها أن الشرق الأوسط والخليج العربي هي منطقة وصل بين القارات الثلاث، أوروبا وإفريقيا وآسيا، وهذا أمر مهم من الناحية الجغرافية والاستراتيجية. كما أن هذه المنطقة تزود الصين بمصادر الطاقة التي تحتاج إليها في تطورها ونموها الاقتصادي. وبالمقابل فإن الصين تشكل سوقاً مستقرة ثابتة لهذه المنطقة. وإضافة إلى ذلك، فإن الصين تستطيع تقديم خبراتها في مجال الإصلاح والتنمية الاقتصادية لتفيد منها البلدان العربية، وتكون على علم بالصعوبات والأخطاء التي وقعت الصين فيها خلال تلك التجربة، فتعمل على تجنبها. وكذلك فإن الصين بحاجة إلى مساعدة العرب السياسية والدبلوماسية، كما إن العرب بحاجة إلى دعم الصين في هذا المجال من أجل الوصول إلى نظام سياسي واقتصادي دولي أكثر عدلاً. وإذا لم يعمل الطرفان معاً في الوقت المناسب، فإنهما سيعانيان من صعوبات لا تنال الجيل الحالي فقط، بل الأجيال القادمة الأخرى أيضاً.

وختم الدكتور يونغ بأن القرن الجديد يعني أملاً جديداً، وبأن الصين والعالم العربي يشكلان نسبة كبيرة مهمة من سكان العالم، وعلى ذلك فيجب أن يكون لهما قول في قواعد اللعبة الدولية، وقول في تقرير مصير كل منهما. من هنا يأتي تبني الصين لاستراتيجية خارجية فاعلة بقوة، وسياسة صادقة صديقة للعالم الإسلامي والعالم العربي والدول النامية الأخرى من أجل تحسين هذا العالم.

ثم تحدث السيد جينوي شو فتناول الجانب الاقتصادي من الرؤية الصينية. وبين أن الصين قد أحرزت تقدماً كبيراً في المجال الاقتصادي إثر انتهائها من «الثورة الثقافية الكبرى» التي امتدت على عشر سنوات، وأن ذلك التقدم بدأ مع نهاية عام ١٩٧٦. وقد تضاعف الناتج المحلي الإجمالي عدة مرات خلال الفترة، وقدر هذا

الناتج لعام ٢٠٠٠ بستة أضعاف ما كان عليه في عام ١٩٧٩. وحصلت الصين في عام ٢٠٠٣ على المرتبة الخامسة في العالم من حيث الناتج المحلي الإجمالي، بعد الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا واليابان. كما تضاعف معدل دخل الفرد فيها عدة مرات. وهنالك تخطيط لأن يتضاعف ذلك الناتج أربع مرات في عام ٢٠٢٠ عما كان عليه في عام ٢٠٠٠. وهي تعمل على أن يكون المجتمع الصيني مجتمعاً موسراً في عام ٢٠٢٠. وقد انفتحت على العالم في الربع الأخير من القرن الماضي، وانتهجت طريق الإصلاح، وتحولت من نظام التخطيط المركزي إلى نظام السوق، فربطت سوقها المحلي بالسوق العالمي. واجتذبت كمية كبيرة من الاستثمارات الأجنبية، وأصبحت في بداية هذا القرن الدولة الأولى في العالم من حيث الاستثمارات الأجنبية المباشرة، إذ بلغ الاستثمار الفعلي عام ٢٠٠٢ في الصين ٦٥ بليون دولار أمريكي، أي ما يعادل ١٠٪ من الاستثمار الخارجي المباشر في العالم. كما ازدادت رغبة الكثير من الدول الأجنبية في الاستثمار في الصين نظراً للميزات التي انفردت بها بعد انفتاحها على العالم ودخولها عضواً في منظمة التجارة العالمية في عام ٢٠٠١. ولقد قيَّمت المنظمة الصين عالياً في سلوكها معها ومع أعضائها، وأعطتها درجة +A.

وبين السيد شو أن بعض التطور الديمقراطي في السياسة قد حصل في الصين. فأجريت انتخابات مباشرة في بعض المناطق الريفية، وأدخلت بعض التعديلات على الدستور، كان منها أنظمة جديدة لحقوق الإنسان، واتخذت إجراءات كثيرة في مجال حماية الحقوق العامة وحقوق الإنسان، حيث يأمل الصينيون من وراء ذلك الدخول إلى مستقبل حيوي يكون فيه قدر من الديمقراطية السياسية.

كما بين السيد شو أن الصينيين لديهم مجموعة من الأفكار والآراء الجديدة فيما يتعلق بتنميتهم المستقبلية. ومن ذلك أنهم يرون أن الصفة الأولى لهذه التنمية ستكون زيادة جديدة في مجال الصناعة. وسيتعزز شعار «صنع في الصين» الذي سيغطي، وفقاً لبعض المصادر، حوالي٨ من الصناعات في العالم. وسيؤدي ذلك إلى استهلاك كبير في الطاقة والمواد. ويعتقد السيد شو أن الصين بذلك قد تكون دخلت مرحلة صناعة الطرق والصناعة الكيماوية. وسيكون أهم ميزات هذه المرحلة استثمارات كبيرة، واستهلاك كبير في الطاقة والمواد، وتلوث كبير، وانبعاث عال للملوثات.

وقال السيد شو: إن استهلاك الصين من الفحم يعادل ٣٠٪ من الاستهلاك العالمي، واستهلاكها من الفولاذ والحديد يعادل ٢٧٪ من الاستهلاك العالمي. وهي تنتج كميات كبيرة من الحديد والفولاذ، حيث كان مجموع ما أنتجته في العام الماضي من هاتين المادتين يعادل مجموع ما أنتجته الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا مجتمعة. لكن هذا لم يحدث الآن، إذ استوردت الصين مؤخراً ثلاثمئة مليون طن من الفولاذ. وهي تستهلك من الإسمنت كذلك ما يعادل ٤٠٪ من الاستهلاك العالمي. وترى الصين أن التنمية العلمية فيها يجب أن تتم محلياً، فتُستعمل المصادر بحكمة، وتُحمى البيئة بشكل أفضل. ويجب أن يحتل إصلاح المشروعات المملوكة من الدولة موقعاً متقدماً. ففي الماضي كانت كل تلك المشروعات تستثمر وتنفذ من قبل الدولة، أما في المستقبل، فإن المشروعات المتعلقة بالدفاع الوطني، مثلاً، ينبغي أن تحال إلى القطاع الخاص، والمشروعات الرئيسية للدولة ينبغي أن يبحث لها عن جهات أخرى في المجتمع الدولي. وعلى الصين أن توفر الفرص للمؤسسات الدولية. كما إن مشروعات القطاع الخاص التي تحتل الآن ثلث

مشروعات الصين مجتمعة، ينبغي أن توجد لها مساحات جديدة للتنمية.

وأضاف السيد شو أن الملكية العامة في الصين قد انخفضت من ٩٠٪ إلى ٤٠٪. وهنالك الآن حماية للملكية الخاصة يوفرها الدستور. كما أن هنالك أنظمة واضحة تبين كيفية حماية الممتلكات. ويتم التأكد من أن المقاولين القادرين لديهم فرص ومساحات لتشغيل أنفسهم. وكذلك فهنالك حماية لمصالح الاستثمارات الأجنبية. وتحاول الصين الانفتاح على كل الجهات وفي جميع الحقول. والصينيون ليسوا منفتحين على الخارج فقط، بل هم يذهبون إلى الخارج للاستثمار أيضاً. وهم يعتمدون استراتيجيتين للتنمية المستقبلية، أولاهما الاعتماد على العلم والتكنولوجيا والتعليم، وثانيهما محاولة الحصول على تنمية منظمة. وتوفر هاتان الاستراتيجيتان فرصاً كبيرة لمشروعات كثيرة في مجال صناعة المعلومات وحماية البيئة والزراعة، مما يفتح مجالات واسعة وفرصاً كبيرة لمشروعات أجنبية. ويعتبر الصينيون أن تنمية الصين هي نهوض الصين. فبالتعاون مع الجهات الدولية هم يحاولون تطوير أنفسهم، وفي الوقت نفسه هم يحمون تطوير بلدهم، ويحاولون المساهمة في تنمية الحضارة الإنسانية.

وبعد انتهاء السيد جينوي شو من عرضه، دار نقاش تناول أموراً عدة كان منها:

- سيطرة الولايات المتحدة على النفط في الشرق الأوسط، وأثر ذلك على الصين بصفتها الدولة الثانية في استيراد النفط بعد الولايات المتحدة.

- علاقة الصين مع الولايات المتحدة، بما في ذلك أثر تايوان على هذه العلاقة.

- دور الصين في الأمم المتحدة، وتفعيل هذا الدور بحيث يخرج من مجرد الموافقة على المشروعات التي يقدمها الآخرون أو معارضتها، وينطلق إلى اقتراح المشروعات وصياغتها على نحو أكثر فاعلية وعدلاً فيما يتعلق بحل القضايا العالمية، خاصة العربية منها، وعلى رأسها القضية الفلسطينية والقضية العراقية.

- علاقة التعاون القائمة بين الصين وإسرائيل، خاصة في المجال العسكري.

- قضايا حقوق الإنسان والضمان الاجتماعي في الصين.

- كيف نجحت الصين في استيعاب الحداثة والتجديد والحفاظ على التراث والدين؟

- سياسة إرسال الطلبة الصينيين إلى الخارج، وتقديم بعثات لطلبة من الخارج، خاصة من الأردن، لتعليمهم وتدريبهم في مجال التنمية الاقتصادية التي برعت الصين فيها.

بعد ذلك تحدث السيد يونغ عن العلاقات الصينية الأردنية وكيفية تحسينها وتنميتها، خاصة في مجال السياسة واللغة العربية، إضافة إلى التجارة.

وفي النهاية، قدم السيد يونغ صورة لمدينة شنغهاي مع مفتاح لها، داعياً الحضور ومن يرغب من الأردنيين إلى زيارة المدينة.

■

التقرير الاقتصادي العربيّ الموحّد

سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٤•

شهدت اقتصادات الدول العربية تطورات متلاحقة منذ صدور العدد الأول من التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨٠. وقد حرصت الجهات المشاركة في إعداده على أن يعكس التقرير، بصورة موضوعية وعلمية، أوضاع الاقتصادات العربية، سواء من ناحية ما يتضمنه من بيانات وتحليلات أو من ناحية منهجية لتصنيف الدول العربية.



ولقد صنف التقرير الدول العربية، في العديدين الأول والثاني منه، إلى أربع مجموعات، اشتملت عضوية المجموعة الأولى على الدول النفطية كثيفة السكان التي تميزت بقاعدة إنتاج متنوعة نسبياً، وضمت كلا من الجزائر والعراق.

واشتملت عضوية المجموعة الثانية على الدول النفطية قليلة السكان التي تميزت بقاعدة انتاجية متنوعة نسبياً، وضمت الإمارات والسعودية وقطر والكويت وليبيا. ولم تضم هذه المجموعة عُمان والبحرين نظراً لأن إنتاج كل منهما من النفط كان يقل عن نصف مليون برميل يومياً، وهو الحد الذي اعتبر فاصلاً لتصنيف الدول النفطية. واشتملت عضوية المجموعة الثالثة على الدول غير النفطية متوسطة النمو، وضمت الأردن والبحرين وتونس وسورية وعمان ولبنان ومصر والمغرب. أما المجموعة الرابعة، فاشتملت عضويتها على الدول غير النفطية الأقل نمواً، وضمت السودان والصومال وموريتانيا واليمن الشمالي واليمن الجنوبي.

• هذه النبذة مستلّة من التقرير نفسه، ص(ب، ج، د).

ومنذ العدد الثالث، تبنى التقرير تصنيفاً آخر للدول العربية، حيث اتضح أنه بالرغم من الاعتبارات التي استند عليها التصنيف السابق، فإن الدول في المجموعتين الأولى والثانية، مضافاً إليها البحرين وعُمان من المجموعة الثالثة، متماثلة عند تحليل التطورات في اقتصاداتها في معظم فصول التقرير، وكذلك الحال بالنسبة للدول العربية المشمولة في المجموعتين الأخيرتين. لذلك اعتمد التقرير، منذ ذلك العدد، التصنيف الذي تم بموجبه تقسيم الدول العربية إلى مجموعتين، هما مجموعة الدول النفطية ومجموعة الدول غير النفطية.

وفي الأعوام الأخيرة، أظهرت التطورات الاقتصادية في الدول العربية وجود حاجة إلى إعادة النظر مرة أخرى في تصنيفها. فمن ناحية، أصبح عدد من دول المجموعة الأولى يعاني من مصاعب اقتصادية مماثلة لتلك التي تواجهها دول المجموعة الثانية، كما أدى انخفاض أسعار النفط وتراجع عوائده إلى انحسار الفوائض لدى دول هذه المجموعة، وظهور الحاجة فيها إلى سياسات مالية تقييدية لاحتواء العجوزات المالية التي ظهرت نتيجة لذلك. ومن ناحية أخرى، أخذ إنتاج النفط يتزايد في عدد من دول المجموعة الثانية إلى مستويات لا تقل في بعض الأحيان عن مستوى إنتاج بعض الدول في المجموعة الأولى. وحيث أن الاعتبارات التي تم الاستناد عليها في التصنيف الذي اعتمده التقرير في الأعداد الماضية باتت غير ممثلة لحقيقة الأوضاع الاقتصادية لهذه الدول من الناحية العلمية، فقد اتفقت الجهات المشاركة في إعداد التقرير على عدم تصنيف الدول إلى أي مجموعات ابتداء من العدد السادس عشر، علماً بأنه قد يتم تصنيفها في أي فصل حسب الموضوع قيد الدراسة. ولذا فقد يجد القارىء أن بعض الفصول تصنف بعض الدول ضمن مجموعة أو أخرى وأن بعضها لا تصنفها، وأن التصنيف يختلف من فصل لآخر تبعاً لاختلاف مواضيع هذه الفصول. وسيستمر العمل في تحليل التطورات الاقتصادية في الدول العربية دون تصنيف مسبق لها حتى تظهر التجربة وجود الحاجة لذلك.

واستمراراً للنهج المتبع، فإن التقرير يتضمن فصلاً خاصاً حول محوره، ومحور هذا العدد هو «أسواق العمل في الدول العربية»، وهو ما يتناوله الفصل العاشر من هذا التقرير.

وأخيراً، فإنه في سبيل تسهيل عملية التحليل المقارن، يناقش التقرير التطورات الاقتصادية في الدول العربية بعد احتساب البيانات المتعلقة بها بالدولار حسب أسعار صرف العملات الوطنية المستقاة من البيانات التي توفرها الدول لأغراض التقرير. وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أنه نظراً لتعرض أسعار صرف عملات عدد من الدول العربية لتقلبات كبيرة خلال العام، فإن معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي بالدولار تختلف في هذه الدول عنها بالعملات الوطنية، وفي بعض الأحيان بصورة ملحوظة.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هذا العدد تضمن سلسلة بيانات مراجعة للحسابات القوميّة الخاصة بالعراق جرى تعديلها في ضوء الموشرات والمعلومات التي توفرت من بعض المصادر الدوليّة والرسميّة، علماً بأن هذه البيانات هي تقديرات أوليّة سيتم تعديلها وفقاً للبيانات التي تتوفر لاحقاً من المصادر الوطنيّة المختصة في الدولة.

مؤشرات عامة عن الدول العربية خلال عام 2003

المساحة		
المساحة الكلية	1.4	مليار هكتار (14.2 مليون كم²)
نسبتها إلى العالم	10.2	في المائة
السكان		
عدد السكان	300	مليون نسمة
نسبتهم إلى العالم	4.6	في المائة
العمالة العربية	110	مليون عامل
الناتج المحلي الإجمالي		
القيمة بالأسعار الجارية	722.9	مليار دولار
متوسط نصيب الفرد (بسعر السوق)	2492.0	دولار
نسبة القيمة المضافة للصناعات الاستخراجية	28.3	في المائة
نسبة القيمة المضافة للصناعات التحويلية	10.9	في المائة
النفط		
نسبة احتياطي النفط المؤكد إلى الاحتياطي العالمي	59.3	في المائة
نسبة احتياطي الغاز الطبيعي إلى الاحتياطي العالمي	30.5	في المائة
إنتاج النفط الخام	20.2	مليون برميل يومياً
نسبة إنتاج النفط الخام إلى الإنتاج العالمي	29.7	في المائة
نسبة إنتاج الغاز الطبيعي إلى الإنتاج العالمي	13.9	في المائة (2002)
التجارة		
الصادرات السلعية	303.2	مليار دولار
نسبة الصادرات إلى الصادرات العالمية	4.1	في المائة
الواردات السلعية	198.7	مليار دولار
نسبة الواردات إلى الواردات العالمية	2.5	في المائة
إجمالي الصادرات البينية	24.9	مليار دولار
نسبة التجارة البينية إلى إجمالي التجارة الخارجية	9.1	في المائة
الاحتياطيات الدولية*		
القيمة	168.5	مليار دولار
نسبة الاحتياطيات إلى الواردات (فوب)	90.9	في المائة
الدين العام الخارجي للدول العربية المقترضة		
القيمة	147.1	مليار دولار
قيمة خدمة الدين العام	17.2	مليار دولار
نسبة خدمة الدين إلى حصيلة الصادرات (سلع وخدمات)	16.2	في المائة
نسبة الدين إلى الناتج	47.2	في المائة

* باستثناء الذهب النقدي.

جولة العدد جولة العدد جولة العدد
جولة العدد جولة العدد جولة العدد
جولة العدد جولة العدد جولة العدد

جولة العدد

جولة العدد جولة العدد جولة العدد
جولة العدد جولة العدد جولة العدد
جولة العدد جولة العدد جولة العدد

الأمم المتّحدة

بيـــان صحـافيّ

خبراء يدعون إلى تكثيف الجهود المبذولة لمكافحة التمييز والعنصريّة

٢٤ شباط/فبراير ٢٠٠٥

عبرت هيئة خبراء مرموقين عن عميق قلقها بشأن استمرار مظاهر العنصرية وكراهية الأجانب المستشرية على المستوى المؤسسي في العالم. وقالت مجموعة الخبراء المشكلة من خمس شخصيات عالمية مرموقة، جرى تعيينهم بموجب توصية صدرت عن المؤتمر العالمي ضد العنصرية والتعصب والتمييز العنصري وكراهية الأجانب الذي عقد في عام ٢٠٠١، إن الجهود المبذولة لمحاربة التمييز العنصري يجب أن تستأنف وتكثف على المستويين الوطني والدولي. وقد أصدرت الهيئة هذا النداء عقب جلستها الثانية التي عقدت في جنيف في الفترة ٢١ - ٢٣ شباط/فبراير الماضي.

وتتألف مجموعة الخبراء المستقلين من الشخصيات الآتية: صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، ورئيس جمهورية فنلندا السابق مارتي اهتيساري، ورئيس وزراء تنزانيا السابق/ أمين عام منظمة الوحدة الافريقية السابق/ رئيس الجمعية العامة السابق/ الدكتور سالم أحمد سالم، ورئيسة وزراء بولندا السابقة حنا سوتشوكا، والمقرر العام للمؤتمر العالمي ضد العنصرية الدكتورة ايدنا ماريا سانتوس رولاند من البرازيل. وقد تم تعيين هذه الشخصيات من طرف الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة السيد كوفي أنان، ممثلين عن جميع مناطق العالم، من أجل أن يساهموا في هذه الجهود المباركة من خلال مكانتهم المرموقة وخبرتهم والتزامهم بتطبيق **«إعلان ديربان»** وبرنامج العمل المنبثق عن المؤتمر العالمي.

وفيما يأتي البيان الذي صدر عن الخبراء في اختتام اجتماعهم:

[اجتمعت مجموعة الخبراء الخمسة البارزين المستقلين للمرة الثانية في جنيف لمناقشة تطبيق الاستراتيجية العالمية الخاصة بمكافحة العنصرية والتعصب والتمييز العنصري وكراهية الأجانب - التي جرت صياغتها خلال المؤتمر العالمي ضد العنصرية والتعصب والتمييز العنصري وكراهية الأجانب المنعقد في عام ٢٠٠١. وقد تم اعتماد ***«إعلان ديربان»*** *وبرنامج العمل المنبثق عن المؤتمر العالمي، كما تمت التوصية بتعيين خبراء بارزين آخرين لتنظيم الجهود الرامية إلى التخلص من أكثر الشرور الجديرة بالازدراء في أيامنا هذه.*

بدأت لجنة الخبراء اجتماعاتها التي استمرت ثلاثة أيام في ٢١ شباط/فبراير ٢٠٠٥، واستهلته بعقد جلسة نقاش مع المندوب الأعلى لحقوق الانسان، السيدة لويس آربور. وعبر الخبراء في أثناء مداولاتهم عن عميق قلقهم لاستمرار ظواهر العنصرية وكراهية الأجانب واستشرائها المؤسسي. ولمقاومة هذه الظواهر الناشزة، هنالك حاجة ملحة لبذل المزيد من الجهود وتكثيفها على المستويين العالمي والوطني. وسيعقد المجتمع الدولي السنة القادمة مراجعة لما تم إنجازه منذ عام ٢٠٠١ في مجال تطبيق **«إعلان ديربان»** وبرنامج العمل المنبثق عن المؤتمر العالمي. فمن الضروري توظيف هذه المناسبة ليس فقط لتقييم الانجازات والعيوب، ولكن أيضاً لوضع منظور رؤية واضحة للتطبيق الذي من شأنه أن يعزز الالتزامات التي تم التقيد بها في المؤتمر العالمي ٢٠٠١.

ويقر الخبراء بأهمية الأطر القانونية الدولية والوطنية في عملية مكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب. كما يحثون جميع الدول الأعضاء التي لم تقر المعاهدة الدولية على إزالة كل أشكال التمييز العنصري وأن تفعل ذلك خلال الفترة المتبقية من عام ٢٠٠٥ بموجب ما أوصى به **«إعلان ديربان»** وبرنامج العمل المنبثق عن المؤتمر.

ويعتبر الخبراء أن التعليم والقيام بالحملات الهادفة إلى رفع وعي الجماهير بالجوانب الإيجابية لتعدد الثقافات والحضارات وبأهمية التسامح، إنما يشكلان أدوات لا غنى عنها في عملية مكافحة التمييز العنصري. ويشكل التعليم أيضاً أداة أساسية لمساعدة ضحايا التمييز العنصري في التغلب على أوضاعهم التي يجدون أنفسهم فيها مستضعفين مسلوبي الحول والقوة.

ومستذكرين التوصية التي جرى تبنيها في اجتماعهم الأخير، فقد أشار الخبراء مرة أخرى إلى الحاجة إلى اعتماد مقياس للمساواة العرقية يرمي إلى قياس التباين والبون العرقي. وفي هذا الخصوص، فإنهم يدعون جميع الأطراف المعنية للتعاون فيما بينهم من أجل تحقيق هذه الغاية.

وفي سياق متابعتهم لتطبيق **«إعلان ديربان»** وبرنامج العمل المنبثق عن المؤتمر، سيستمر الخبراء في متابعة الحوار مع جميع الأطراف المعنية، من حكومات ومجتمعات مدنية ومؤسسات الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان. وسيضع هذا الحوار نصب عينيه أولئك الذين يعانون من ويلات التمييز العنصري والتعصب.

ودعا الخبراء الدول الأعضاء إلى تخصيص المصادر الكافية ضمن موازناتها الوطنية لمكافحة العنصرية والتعصب والتمييز العنصري وظاهرة كراهية الأجانب. كما دعوا الأمين العام والجهات المانحة إلى تقديم المخصصات اللازمة لدعم جهود هيئة الأمم المتحدة في سبيل تطبيق **«إعلان ديربان»** وبرنامج العمل المنبثق عن المؤتمر.

لقد عزم الخبراء أن يتم عملهم وفق رؤية إنسانية «لأخلاقيات التضامن البشري» مبنية على قيم أساسية تحفظ كرامة البشر وتحترم التنوع الثقافي والعرقي وتقر بأهمية إيجاد إجراءات فعالة لحماية بني البشر. وسيأخذ العمل في المستقبل بالحسبان الأوضاع الهشة لبعض المجموعات والجماعات والمجتمعات الصغيرة وغيرهم من المعنيين. ويدعو الخبراء الحكومات والمنظمات الدولية والمجتمع المدني لاتخاذ خطوات عملية تساعد على جسر الهوة بين التشريعات والقرارات الدولية المتعلقة بمكافحة العنصرية من جهة، وبين واقع ممارسات الدول والمجتمعات في هذا المضمار من جهة أخرى].

انتهى البيان. ■

زاوية جديدة

تجارب شبابيّة

هذه دعوة لقرّائنا الكرام للكتابة عن تجارب شبابيّة أخرى في أقطارهم العزيزة.

الاستراتيجيّة الوطنيّة للشباب

د. محمود قظّام السرحان *

أطلق جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم في نهاية شباط/ فبراير الماضي الاستراتيجيّة الوطنيّة للشباب، التي تم إعدادها من قبل المجلس الأعلى للشباب بتعاون وتنسيق وثيق مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة اليونيسيف للسنوات ٢٠٠٥-٢٠٠٩، انسجاماً مع توجيهات قيادتنا الهاشمية الحكيمة الرامية إلى تحقيق الرعاية الشبابيّة الشاملة والمتكاملة والمتوازنة والاستباقيّة والوقائية، وتكوين جيل من الشباب معافى فكراً وخلقاً وسلوكاً وجسماً.

وانطلاقاً من دعوة جلالة الملك عبد الله الثاني للحكومة بضرورة وضع الشباب على رأس سلم أولوياتنا الوطنيّة، وتعزيز الأردن نموذجاً حضارياً للدولة العربية الإسلامية الديمقراطية، ونموذجاً في التسامح والوسطية والاعتدال والعقلانيّة والواقعيّة وحرية الفكر والإبداع والجدارة والتميز، فضلاً عن إرساء الأردن مجتمعاً حيوياً ومعاصراً ومتطوراً ومنفتحاً ومرناً، قوامه العدل والحق وسيادة القانون ودولة المؤسسات، ومرتكزاته الحرية والعدالة الاجتماعيّة والمساواة وتكافؤ الفرص والديمقراطية وحقوق الإنسان، فقد وعى المجلس الأعلى للشباب هذه الحقيقة، وكان هاجسنا على الدوام بناء الشباب وإعدادهم وتهيئتهم للمستقبل لإيماننا الأكيد وقناعتنا الراسخة بأهمية بناء الشباب وتعليمهم وتدريبهم وتأهيلهم، وتهيئة الظروف المناسبة، وتوفير مستلزمات نجاحهم في جميع الميادين عبر تحفيزهم وإثارة دافعيتهم للمزيد من المبادرات الخيرة لأنفسهم ولمجتمعهم سواء بسواء.

والمجلس، باعتباره مؤسسة تربوية موازية، عمل وما زال يعمل بكل ما أوتي من قوة وجهد عبر فعالياته ومؤسساته المنتشرة في جميع مناطق المملكة على إعداد الشباب ورعايتهم وتمكينهم من الولوج الآمن إلى المستقبل لإحساسه العالي بالمسؤولية وبأهمية الاستثمار بطاقات الشباب وقدراتهم. فالاستثمار بالشباب، تعليماً وتدريباً وتأهيلاً وتمكيناً وتوعية وتثقيفاً هو استثمار بالمستقبل. وعلى هذا الأساس عمل المجلس بالتعاون مع جميع الشركاء الحكوميين وغير الحكوميين والمنظمات الدولية على إنجاز مشروع الاستراتيجية الوطنية للشباب التي استهدفت الشباب من (١٢-٣٠) عاماً، الذين يشكلون ٤٠٪ من مجموع سكان المملكة حسب إحصاءات عام ٢٠٠٤، واشتملت على المحاور الآتية:

* الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى للشباب/ الأردنّ؛ عضو لَجْنَةِ المتابعة الشّبابيّة في المنتدى.

- الشباب والمشاركة
- الشباب والحقوق المدنية
- الشباب والتعليم والتدريب
- الشباب والصحة
- الشباب والبيئة
- الشباب والعمل
- الشباب والثقافة والإعلام
- الشباب وتكنولوجيا المعلومات والعولمة
- الشباب والأنشطة الترويحية وأوقات الفراغ.

وتكمن أهمية الاستراتيجية في أنها تحدد رؤية مشتركة للشباب والشابات، ولجميع الجهات العاملة معهم، وتوفر إطاراً عاماً لعمل مؤسسات الدولة مع القطاع الشبابي، وتحدد أولوياته، وتضع السياسات والخطط والبرامج التي تعمل على ترجمة هذا الإطار العام إلى واقع، وتتبنى العمل التعاوني والشراكة ما بين المؤسسات المعنية، الحكومية منها وغير الحكومية، والمنظمات الدولية ذات العلاقة ليكونوا شركاء حقيقيين في تفعيل دور الشباب وإشراكهم بالتنمية الشاملة. وقد تمخض عنها (٢٩٣) نشاطاً شبابياً سينفذه الشركاء كافة.

ما يميز هذه الاستراتيجية أنها استندت إلى المنحى التشاركي في جميع مراحل صياغتها وإعدادها، بمشاركة خبراء دوليين وعرب وأردنيين، والشباب والشابات في جميع مواقعهم وبمختلف فئاتهم، حيث شارك فيها أكثر من تسعين ألف مشارك ومشاركة.

وبعد، فإن ما أنجز حتى الآن ضمن هذا السياق يعد نقلة نوعية متميزة على صعيد تطوير العمل الشبابي ومأسسته، والأخذ بأيدي شبابنا، مشروعنا للمستقبل، نحو آفاق أرحب. ولعل عملية التنفيذ والتطبيق لمحاور هذه الاستراتيجية تستدعي جهداً ووقتاً والتزاماً من الشركاء كافة. ■

مواقع مهمة على الإنترنت



http://www.alhewar.com

هذا هو موقع **مركز الحوار العربي** في الولايات المتحدة الأمريكيّة. أنشأت هذا المركز مجلّة الحوار في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤ في واشنطن. وهو منتدى مستقل للحوار بين مختلف أعضاء الجالية العربيّة في الولايات المتحدة. ويهدف إلى إيجاد أرضيّة مشتركة داخل الجالية؛ كما يعمل على تعزيز التفاهم المشترك بين هذه الجالية والمجتمع الأمريكي. وهو لا ينحاز إلى أي طرف، ولا ينتمي إلى أي بلد أو منظمة أو حزب سياسي أو أيديولوجيا؛ بل يوفر منبراً جاداً للحوار مفتوحاً لكل الآراء والأفكار.

مدير المركز: أ. صبحي غندور

- لمزيد من المعلومات عن مركز الحوار : *http://www.alhewar.com*
- الأنشطة القادمة لمركز الحوار : *http://www.alhewar.com/newevents.html*
- لائحة الأنشطة الماضية : *http://www.alhewar.com/oldevents.html*
- مختارات من مواضيع ندوات سابقة في المركز: *http://www.alhewar.com/center_transcripts.html*
- حول الاشتراك في الحوار : *http://www.alhewar.com/support.html*

مفكرة المنتدى

الانتماء والإنماء
ARAB THOUGHT FORUM

The Hague Process
on Refugees and Migration

برعاية صاحب السّموّ الملكيّ الأمير الحسن بن طلال المعظّم

منتدى الفكر العربيّ / مؤسّسة «سيرورة (عمليّة) لاهاي عن اللاّجئين والهجرة»

[المساهمة] في أجندة اللاّجئين والمهاجرين في الشّرق الأوسط

عمّان؛ ٢٣-٢٥ نيسان/ إبريل ٢٠٠٥

الاجتماع التشاوريّ الشّبابيّ

عمّان؛ ٣ أيّار/ مايو ٢٠٠٥

لمناقشة محاور المؤتمر الثاني حول «الشباب العربيّ في المهجر»

٢-٣ نيسان/ إبريل ٢٠٠٦

سنوافي قارئنا العزيز بتقرير وافٍ عن كلّ من هذين النشاطين في عددنا القادم.

سلسلة اللقاءات الشهرية

اللقاء رقم (١/٢٠٠٥)

الأقلمة: رؤية يمنيّة للجزيرة العربيّة ومحيطها

■ **المحاضر:** دولة الأستاذ عبد القادر باجمّال ■ **أدار اللقاء:** الشريف فوّاز شرف
رئيس مجلس الوزراء في الجمهوريّة اليمنيّة

(الأحد ٦/٢/٢٠٠٥)

اللقاء رقم (٢/٢٠٠٥)

نحو حوار عربيّ كوريّ

■ **أدار اللقاء:** أ. د. رجائي الخانجي، عميد كليّة الآداب/ الجامعة الأردنيّة

(الأربعاء ١٦/٢/٢٠٠٥)

اللقاء رقم (٣/٢٠٠٥)

النفط والاحتلال

المحاضر: الأستاذ كمال القيسي ■ **أدار اللقاء:** د. علي عتيقة

(الثلاثاء ٢٢/٣/٢٠٠٥)

اللقاء رقم (٤/٢٠٠٥)

[باللغة الانجليزية]

The IMF and the World Bank in Jordan: Elusive Grouth and Social Instability

المحاضران: الدكتورة جين هاريغان والدكتور حامد السعيد ■ **يدير اللقاء:** أ. وسام الزهاويّ

(الأربعاء ٦/٤/٢٠٠٥)

اللقاء رقم (٥/٢٠٠٥)

الثقافة الفنيّة وتعزيز الانتماء

■ **المحاضر:** الدكتور هشام الخطيب ■ **يدير اللقاء:** سموّ الأميرة الدكتورة وجدان علي

(الثلاثاء ١٢/٤/٢٠٠٥)

مع أعضاء المنتدى

عبر الأطلسيّة•

أ. عدنان أبو عودة

شاع مصطلح «عبر الأطلسية» في السنتين الأخيرتين لكثرة استخدام الصحافة له منذ بداية الإعداد للحرب على العراق.

وكان السبب في شيوعه هو الاختلاف الذي نشأ بين الموقفين الأمريكي وعدد من الدول الأعضاء في المجموعة الأوروبيّة، وأبرزها فرنسا وألمانيا، حول تناول مسألة أسلحة الدمار الشامل العراقية (التي تبيّن أنها غير موجودة) وتوجه الولايات المتحدة لشن حرب على العراق. ومع استمرار هذا الخلاف قبل وأثناء وبُعَيْد سقوط نظام صدام حسين، استمر المعلقون والاستراتيجيون في الإشارة إلى عبر الأطلسيّة وأزمتها وأهميتها.

والحقيقة أن مفهوم عبر الأطلسيّة سبق الحرب العراقية بنحو تسعين عاماً، أي مع الحرب العالميّة الأولى حينما التحقت أمريكا ببريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا القيصريّة في حربها ضد التحالف الألماني العثماني، فأسهمت في تحقيق النصر وتفكيك الامبراطورية العثمانية وما رافق ذلك من هزات، كان أهمها سقوط القيصريّة في روسيا ونشوء الاتحاد السوفياتي بنظامه الشيوعي.

ما قاله الرئيس بوش عن أهداف عبر الأطلسيّة يبدو في ظاهره رسالة إنسانيّة عظيمة مستقاة من النجاح الاقتصادي والتقدّم الاجتماعي والتكنولوجي الذي حققه الغرب في إطار من الحريّة والمشاركة وحكم القانون. لكن السؤال هو كيف يمكن نقل هذه المفاهيم وزرعها في مجتمعات لم تمارسها حتى الآن؟ الديمقراطية والحريـة والسوق الحرة جميعها مفاهيم بسيطة، لكن تحقيقها محاصر بالغموض. ففي المجتمعات المحكومة بالأوتوقراطية منذ عشرات، بل مئات، السنين، كم مساحة الحرية التي يمكن أن يسمح لها؟ وبدون هذه الحرية، هل يمكن أن نزيل الخوف الذي يتحكم بها وننطلق إبداع مواطنيها من مكامنه؟ وإلى أي مدى ستذهب أوروبا وشمال أمريكا، اللتان تشكلان عبر الأطلسيّة، في جدِّيّتهما لربط الإصلاح بالمعونات؟ فالرسالة الإنسانيّة التي نسبها الرئيس بوش لشركاء الأطلسي لا تحقق فقط بحسن اختيار البذور التي ستزرع، بل أيضاً بتحضير التربة التي ستنبت فيها. وبالنسبة لنا في الشرق الأوسط، يحق لنا أن نتساءل: إلى أي مدى سيتسامح الشريكان على ضفتي الأطلسي مع بعض حكوماتنا التي تعودت حتى الآن أن تتهرب من استحقاقات الإصلاح من خلال استخدام شريك ضد الآخر، كما فعلت بنجاح في سنوات الحرب الباردة؟

• مستلة من جريدة الدستور الأردنيّة؛ ٧/٣/٢٠٠٥.

الملتقى العربي الأول للتنمية الإنسانيّة

نظّمت **جمعية البحرين النسائية** الملتقى العربي الأول للتنمية الإنسانيّة في المنامة خلال الفترة ٨ – ٩ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤، بدعم من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. وتناول الملتقى محور المعرفة تحت شعار «نحو إقامة مجتمع المعرفة»، استجابة لما تضمنه تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني لعام ٢٠٠٣ الذي أصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. وقد تناول هذا التقرير نقص المعرفة تحت عنوان «نحو إقامة مجتمع المعرفة»، باعتباره أحد معوقات التنمية في الوطن العربي، وطالب الدول العربيّة بتقليص فجوة المعرفة بالاستثمار في نوعية التعليم العالي، وتشجيع نشر المعلومات، وإتاحة الفرص للوصول إليها. وجاء الملتقى إيماناً من **جمعية البحرين النسائية** بأهمية دور مؤسسات المجتمع المدني في الإسهام بإقامة مجتمع المعرفة.

شارك في الملتقى ممثلون عن السعودية والكويت وقطر ولبنان وعُمان ومصر والامارات العربية والأردن وسورية وتونس واليمن والبحرين.

في نهاية الملتقى توصل المشاركون إلى عدد من التدخلات المكنة (التوصيات) واقتراحات لبرامج عملية لتنفيذها ضمن أبواب محددة، وكانت كالآتي *[بتصرّف طفيف]*:

أولاً: النشر الكامل للتعليم راقي النوعية

التدخلات الممكنة

١- تفعيل دور المركز العربي لدول الخليج العربي وأية مراكز عربية مشابهة.

٢- تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني.

٣- إنشاء موقع إلكتروني للتعريف بمراكز التطوير التربوي في الأقطار العربية.

٤ – تصحيح مسار التقويم في مراحله المختلفة.

٥ – دعم انتشار هيئة عربية لتقويم جودة التعليم الجامعي.

٦ – إعادة النظر في اقتصاديات التعليم في مراحله المختلفة.

اقتراحات لبرامج عملية

١ – تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني والأهلي في المشاركة في تطوير التعليم.

٢ – إنشاء هيئة عربية لتقويم جودة التعليم العام.

٣ – التوسع في برامج التعليم والتعليم المستمر المتعدد المراحل.

٤ – تشكيل فرق عمل لتقويم الواقع التعليمي وبحث الإشكاليات الخاصة به لوضع مقترحات عملية تشارك فيها مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص.

٥ – إنشاء مراكز أبحاث في الأقطار العربية للعملية التعليمية ومخرجاتها وعلاقاتها في السوق.

٦ – جعل مهارات الحياة الأساسية جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية ومن تدريب المعلم والطالب على حد سواء.

٧ – إنشاء هيئة تقويم لنوعية التعليم العالي كهيئة مستقلة عربية غير حكومية تضع معايير التعليم العالي الراقي النوعية، وتدخل الجامعات الرسمية والأهلية في عمليات التقويم اختياريا، على أن يتم نشر نتائج التقويم سنويا ضمن وسائط الإعلام الأكاديمي المختلفة والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال.

ثانياً: توطين المعرفة وبناء قدرة ذاتية للبحث والتطوير التقاني

التدخلات الممكنة

وضع رؤى واستراتيجية لمعالجة المسببات والإشكاليات لتوطين المعرفة ويرافقها قرار سياسي بالتمويل المادي.

اقتراحات لبرامج عملية

١ – بناء قاعدة للمعرفة ببرامج نوعية في التعليم العام.
٢ – إنشاء المراكز العلمية والبحثية وتفعيلها.
٣ – وضع آلية لنقل التكنولوجيا بقصد تطويرها وتوطينها وإنتاجها.
٤ – وضع برامج التكامل بين الدول العربية في توطين المعرفة.
٥ – إنشاء واحات العلوم و التكنولوجيا لاحتضان المبدعين والمخترعين.
٦ – إيجاد نظم حوافز مناسبة للمبدعين، بما في ذلك جوائز تقديرية مناسبة على المستوى العربي والإقليمي.
٧ – تعزيز دور الدين واللغة العربية في نشر ثقافة العلوم و التكنولوجيا.
٨ – كفالة حرية التعبير والنشر.
٩ – تأسيس قاعدة معلومات عن المؤسسات العلمية الموجودة في الوطن العربي .

ثالثاً: الإعلام و أثره في نشر المعرفة

التدخلات الممكنة

إبراز مبادرات النجاح مثل :

١ – إصدار صحف جديدة (في البحرين مثلا) أدى إلى التنوع والتعدد.
٢ – منتدى الإعلام والتنمية والبيئة (في مصر) يعمل على التدريب.
٣ – مركز الإعلام والتوثيق للمرأة ومركز كوثر (تونس).
٤ – مواقع على الإنترنت غير مقيمة ولا يعرف عنها أحد ، تقدم معلومات قيمة.
٥ – مركز تدريب الإعلاميين (السعودية).
٦ – تجربة نضال الأشقر في مسرح المدينة.
٧ – مشروع مركز رعاية الموهوبين (مشروع رسمي من وزارة التربية والتعليم «البحرين» بالتعاون مع بيت التمويل الخليجي بدولة الكويت).
٨ – مشروع مدارس المستقبل (مبادرة جلالة الملك) ومسؤولية وزارة التربية والتعليم (البحرين).
٩ – جمعية الموهبة والإبداع – جمعية أهلية بحرينية.
١٠ – المجلس العربي لرعاية الموهوبين والمتفوقين – مؤسسة عربية مقرها المؤقت (الأردن).
١١ – برامج في قنوات فضائية عربية تدار بالكامل من قبل شباب.

اقتراحات لبرامج عملية

١ – الدعوة إلى مائدة مستديرة يتم فيها تمثيل الجهات ذات العلاقة بالإعلام والمعرفة والعلوم والتكنولوجيا لتدارس التوصيات المقترحة والاتفاق على خطة عمل ممكنة لتنفيذها.
٢ – تشكيل لجنة متابعة تضم في عضويتها عددا من الجمعيات النسائية في البحرين من ممثلي الإعلام الرسمي والخاص والمراكز البحثية بهدف إعداد خطة إعلامية مشتركة يتم تنفيذها من قبل هذه الجهات.
٣ – إعداد ببليوغرافيا للجمعيات واللجان والمراكز

والمبادرات العربية الناجحة، سواء كانت من مؤسسات حكومية أو مجتمع مدني أو قطاع خاص، للتعريف بالمبادرات الإعلامية الرائدة في مجالات الإعلام والمعرفة.

٤ – اقتراح بمواصلة جمعية البحرين النسائية على المستوى المحلي طرح موضوع الملتقى وتفعيل تقرير التنمية الإنسانية بالتنسيق مع الجمعيات الأهلية الأخرى.

رابعاً : النهوض باللغة العربية و التفاعل الثقافي

التدخلات الممكنة

١ – تشجيع حركة الترجمة من اللغة العربية وإليها، مع الحرص على انتقاء الاعمال العلمية والفكرية التي تحظى بالترجمة.

٢ – تكوين لجان مجتمعية عربية لحماية اللغة العربية وتمكينها من استعادة مكانتها لغة علم.

٣ – فتح حوار مستنير مع وزراء التعليم والإعلام والمسؤولين للنهوض باللغة العربية.

٤ – الاهتمام بالإنتاج العلمي العربي وتبني المبدعين في العالم العربي وترجمة أعمالهم إلى اللغات الأخرى.

٥ – تمكين اللغة العربية لأن تكون لغة علوم حديثة ومتداولة في المدارس والجامعات والحياة العلمية.

٦ – تمتين الصلات بين المؤسسات الرسمية والأهلية العاملة في مجالات اللغة العربية في شتى علومها داخل الوطن العربي وخارجه.

اقتراحات لبرامج عملية

١– إيجاد لجنة قومية كفؤة لتعريب المصطلحات والمفاهيم المهمة للحياة، والرجوع إلى ما عُرب لتلافي النقص الموجود في التعريب ، ومثالاً على ذلك فإن كلمة Computer لا يغني عنها لفظ حاسوب.

٢ – العامية والعربية ، لماذا لا تتحول العامية من عنصر تحدٍّ إلى عنصر رافد؟

خامساً: التراث الفكري و الديني

التدخلات الممكنة واقتراحات لبرامج عملية

١ – لايمكن أن يكون هنالك تناقض بين ثابت العلوم والبرهان مع النص الديني الصحيح. وإن ظهر بينهما ما يبدو أنه تناقض، فلا بد أن يكون هنالك خلل في أحدهما، إما فهما بالنسبة للنص الديني القرآني وإما فهما أو نسبة بالنسبة لنصوص السنة.

٢ – الحل: إطلاق حرية التفكير والبحث العلمي، وتطبيق نص «المجتهد المخطىء له أجر والمجتهد المصيب له أجران» على كل أصناف أهل الفكر والعلوم، أصابوا أم أخطأوا، ما دام تفكيرهم علميا منهجيا.

٣ – رفع طلب إلى بعض الأمراء أو الموِلين العرب بإنشاء مؤسسة علمية لدعم الفكر الإسلامي الحر البعيد عن الأطر المذهبية الضيقة.

٤ – التواصل الثقافي والعلمي مع الفقيه ليكون هذا الهم ضاغطا وحاضرا عنده كما هو ضغط الناس في مسائلهم الفقهية اليومية.

٥ – محاولة الوصول إلى الجامعات الإسلامية والحوزات العلمية وتزويدها بكم هائل من الإصدارات والندوات والبرامج الثقافية والعلمية لإنهاء القطيعة بين الفقيه والمثقف.

٦ – حصر الحقائق العلمية التي يبدو منها التصادم مع الدين، لاستثارة هم الفقهاء والعلماء لمعالجتها. ■

نعي فـاضل

تنعى أسرة **منتدى الفكر العربي** بمزيد من الحزن والأسى

الأستاذ عبد الملك الحمـر

الأمين العام السابق

(الذي توفّاه الله في القاهرة بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١٢)

وتتقدم من عائلته وعموم آل الحمر الكرام بأصدق مشاعر العزاء والمواساة؛ سـائلـةً المولى العليّ القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه.

إنّا لله وإنا إليه راجعون

كتّـاب هذا العدد



د. الحبيب الجنحاني
أستاذ التعليم العالي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
الجامعة التونسية
هاتف : ٠٠٢١٦٧١٨٩٢٣٣٠

أ. أحمد السعدي
مدير دائرة الدراسات والأبحاث
غرفة صناعة عمّان
هاتف : ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٤٥٦٩

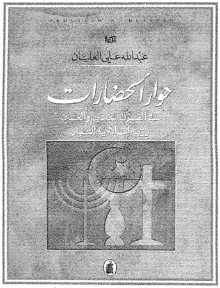
د. محمّد عبد العزيز ربيع
أستاذ جامعيّ
عمّان – الأردنّ
هاتف : ٠٠٩٦٢٦٥٥٦١٥٧٥

د. محمّد نعمان جلال
مستشار الدراسات والمشرف على برنامج
الدراسات الدولية وحوار الحضارات
مركز البحرين للدراسات والبحوث
هاتف : ٠٠٩٧٣٣٦٦٦٦٩٧٧٧

د. تيسير صبحي
مدير مركز جامعة الخليج العربي
للاستشارات والتدريب والتعليم المستمر
المنامة – مملكة البحرين
هاتف : ٠٠٩٧٣١٧٢٣٩٥٦٩

حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين
رؤية إسلاميّة للحوار

تأليف: عبد اللّه علي العليان



المحتويـــــــــات

في خضمّ دعوات الصدام ومقولات الصراع وازدواجية المعايير غير العادلة والأحكام المسبقة المبتسرة عن الآخر المختلف، تبرز مسألة الحوار بين الحضارات كقيمة وقضية محورية ورئيسية في عصرنا الراهن لإبعاد شبح العداوات المدفونة التي يراد لها أن تحيا من جديد تحت نظريات وأطروحات غير علمية أو حتى واقعية، بغض النظر عن الأهداف والمرامي الاستراتيجيّة لهذه الدعوات والمقولات.

والحقيقة أن الحضارات تقابلت وتعايشت وتصارعت، لكنها ظلت أقرب إلى التعايش والتسامح، وبقي الصراع والتنافس محدوداً بظروف معينة. فالأهم هو الاستعداد للتعايش والنديّة في التعامل. ومن هنا وجب على الإنسانيّة أن تفهم بشكل أفضل لغة الحوار مع الأمم الأخرى. والحق أن الإسلام والمسيحيّة في تاريخهما الطويل لا يأخذان الصدام أيديولوجية... مضادة للآخر، إنما الذي أجج الصّدام هو عوامل أخرى يجب أن توضع في إطارها التاريخيّ، وهذه قضية لها تقييمها من أهل الاختصاص. وإن اللافتة الجديدة للصدام ليس لها مبرر على الإطلاق، لكنها تقدم الهيكل النظري لتأجيج الخلافات والصراعات بين الحضارات والثقافات الإنسانية لأسباب سياسية وأيديولوجية.

لذلك نعتقد أن قضية الحوار أصبحت من القضايا والموضوعات المهمة لكل المشكلات العالقة أو الخافتة في عصرنا الراهن، سواء على المستوى الداخلي في المجتمع الواحد، أو على المستوى الخارجي مع الحضارات والثقافات الأخرى. فالحوار يظل مطلباً لا غنى عنه للإنسانيّة جمعاء إذا ما أرادت أن تعيش بمنأى عن الخلافات والتوجسات والصراعات. كما أن الحوار هو المنهج الصحيح للتفاهم والتعايش والتواصل بين الأمم والشعوب.

والقضية المهمة التي نطرحها في هذه الدراسة أن الحوار مبدأ أصيل في الإسلام وفي الديانات السماوية. لكن الأهم هو أن يكون الحوار مجدياً وصادقاً من كل الأطراف. ولا أعتقد أن أحداً سيرفض الحوار مبدأ... لكن من الواضح أنه الحوار الذي يحقق أهدافه في تعايش الأمم والحضارات.

عبد الله علي العليان

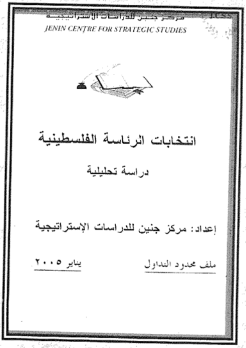
[بتصرّف طفيف]

انتخابات الرئاسة الفلسطينية
دراسة تحليليّة

إعداد: مركز جنين للدراسات الإستراتيجية

ملف محدود التداول — كانون الثاني/يناير ٢٠٠٥

شكلت الانتخابات الرئاسية الفلسطينية الحدث الأبرز الذي استقبل به المجتمع الدولي العام الجديد. ونظر العالم بأجمعه إلى الانتخابات باعتبارها فرصة لتشكيل النظام السياسي الفلسطيني بعد رحيل الرئيس ياسر عرفات. ومن منطلق متابعة هذا الحدث، أعد المركز دراسة خاصة ضمن عدد من المحاور كان الأول والثاني منها قبل موعد الانتخابات في التاسع من كانون الثاني/يناير، ويتعلق المحور الأول بالسيد محمود عبّاس «أبو مازن»: آرائه وتوجهاته ونبذة عن تاريخه مع منظمة التحرير الفلسطينية. وخصّصنا هذا الجزء من الإصدار لشخصية «أبو مازن» باعتباره مرشح الرئاسة الأوفر حظاً.


مركز جنين للدراسات الاستراتيجية
JENIN CENTRE FOR STRATEGIC STUDIES
انتخابات الرئاسة الفلسطينية
دراسة تحليلية
إعداد: مركز جنين للدراسات الإستراتيجية
ملف محدود التداول — يناير ٢٠٠٥

أما المحور الثاني فهو قراءة في كيفية تعامل الصحافة الإسرائيلية مع الانتخابات الرئاسية الفلسطينية، خاصة موضوع مشاركة سكان القدس الشرقية في الاقتراع، بالإضافة إلى مقارنة بين البرامج الانتخابية للمرشحين السبعة: مدى اختلافها وتطابقها، وأيها أكثر مصداقية في التعامل مع الشارع الفلسطيني.

والمحور الأخير أعده المركز في أعقاب إعلان النتائج النهائية للانتخابات. وهو يتعلق بتوجهات الشارع الفلسطيني في ضوء قراءة تحليلية لنتائج الانتخابات الرئاسية، مع التركيز على الأسباب الفعلية التي دفعت سكان المناطق الفلسطينية الأكثر تضرراً إلى التصويت لصالح محمود عباس.

يضم الإصدار أيضاً نص المقابلة الصحفية التي أجراها الصحفي الإسرائيلي ناحوم برنياع مع السيد «أبو مازن» قبل موعد الانتخابات بأيام معدودة.

مركز جنين للدراسات الإستراتيجيّة

[بتصرّف طفيف]

كلمة أخيرة

«النفط والاحتلال» ...
وماذا عن النفط والتعاون العربي؟

أ. أحمد السعدي *

ألقى الخبير النفطي السيد **كمال القيسي** محاضرة في المنتدى بتاريخ ٣/٢٢ حول النفط بعنوان **«النفط والاحتلال»**. وكما يوحي العنوان فإن المحاضر أشار إلى أن الاحتلال رافق النفط منذ اكتشافه في الدول العربية في مطلع القرن الماضي، بدءاً باكتشافات النفط في دول الخليج وقيام دول نفطية حول حقول النفط في الخليج **وأخيرًا احتلال العراق**.

ودار الحوار حول ما سببه النفط من أطماع الدول الاستعمارية في المنطقة العربية، وكيف صاغت الدول النفطية علاقاتها الخارجية، لا سيما استثمار الأموال النفطية في الدول الغربية. والانطباع العام الذي تركته المحاضرة والحوار الذي أعقبها **أن النفط جلب المآسي على الدول العربية**، وإن كان برز **التساؤل: ألم يكن هنالك جوانب إيجابيّة للنفط** على الدول العربية سياسيًّا واقتصاديًّا؟ وهل النفط هو المسؤول عن التخلف والعجز العربي؟

وبرزت هنالك رغبة للإجابة عن هذا التساول من خلال محاضرة أو ندوة خاصة. لكنني هنا أريد إبراز بعض النقاط في هذا المجال. وقد سبق لي قبل بضع سنوات أن قدمت محاضرة في المنتدى حول هذا الموضوع، وألفت الانتباه إلى دراسة حديثة شاملة منشورة في مجلّة «**النفط والتعاون العربي**»، العدد ١١١، خريف ٢٠٠٤، للسيد جميل طاهر، مدير الإدارة الاقتصادية في منظمة الأقطار العربيّة المصدّرة للبترول (أوابك). وأورد بعض المؤشرات الواردة في هذه الدراسة:

١- خلال الفترة ١٩٧٠ - ٢٠٠٢، **بلغت المساعدات العربيّة الإنمائية حوالي ١١٨ مليار دولار** من الدول النفطية الرئيسية إلى الدول العربية الأخرى. وبلغ المجموع التراكمي المقدم من صناديق التنمية العربية إلى الدول العربيّة خلال الفترة **حوالي ٤٠ مليار دولار**.

٢ - قدر الكاتب أن **الاستثمارات العربيّة البينية** خلال الفترة ١٩٩٥-٢٠٠٢ بلغت ١٧ مليار دولار. وفي دراسة سابقة قدرت هذه الاستثمارات خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٥ بـ ٣٠ مليار دولار؛ فيكون المجموع **لا يقل عن ٥٠ مليار دولار** خلال الفترة ١٩٧٠ - ٢٠٠٢.

٣ - بلغت **تحويلات العاملين** العرب في الدول النفطية الرئيسية إلى دولهم خلال الفترة نفسها ٢٢٠ مليار دولار. وتركزت المساعدات والقروض على تطوير البنى التحتية والطاقة الكهربائية وزيادة رقعة الأراضي المروية.

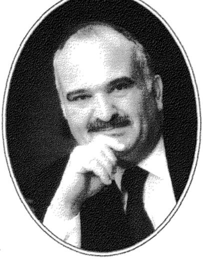
وهنالك مشروعات عربية مشتركة في مجالات متعددة بما لا يقل عن ٣٠ مليار دولار. وإذا نظرنا إلى التطور في التعليم والصحة والإسكان خلال الثلاثين سنة الماضية، سنجد قفزات كبيرة وشاملة مولتها أموال النفط.

هذه مؤشرات لجوانب إيجابية ويوجد غيرها الكثير. أما الجوانب السلبية فهي ما يتكرر ذكره في جميع وسائل الإعلام والنشر.

إن السلبيات التي يعاني منها الوطن العربي كثيرة ومعروفة ساسيًّا واقتصاديًّا؛ لكن النفط ليس مسؤولاً وحده عن إيجاد هذه السلبيات. فالتخلف العربي والعجز العربي والتجزئة العربية لها أسباب أشمل من ذلك. كما إن الأطماع الدولية موجودة قبل النفط؛ لكنها تعمقت بوجوده.

أما الأبعاد السياسيّة للنفط، وهل النفط مصدر أطماع فقط؟ أليس مصدر قوة كذلك؟ فلذلك بحث آخر. ■

* مدير دائرة الدراسات والأبحاث؛ غرفة صناعة عمّان.



تهنئة من القلب

إلى

سمو الأمير الحسن بن طلال

رئيس المنتدى وراعيه

بمناسبة ذكرى ميلاده السعيد

٢٠/٣/٢٠٠٥

يتقدم الأمين العام للمنتدى في هذه المناسبة الغالية

باسمه واسم أسرة المنتدى

إلى مقام سموّ رئيس المنتدى وراعيه بأصدق التهاني وأطيب الأماني؛

سائلين المولى العليّ القدير أن يُديمَ عليه الصحّة والعافية

وأن يحفظه دوماً ويرعاه ويعزّ جانبه

إنه سميع مجيب

«الأمانة» توزع جوائزها السنوية للتميز على الدوائر و المناطق و الموظفين

وزعت أمانة عمان جائزتها السنوية للتميز على الدوائر و المناطق و الموظفين الفائزين، خلال حفل رعاه أمين عمان المهندس نضال الحديد وحضره عدد كبير من المسؤولين وأعضاء مجلس الأمانة. وفازت دائرة المتابعة و الجودة بجائزة أفضل دائرة ، وفازت منطقة تلاع العلي بجائزة أفضل منطقة من بين ٢٠ منطقة. كما فازت بجائزة أفضل موظف إشرافي / فئة أولى ميرفت مهيرات من منطقة وداي السير، وجائزة أفضل موظف إداري أو فني / فئة ثانية جمانة عطيات / دائرة الأبنية ، فيما فاز بجائزة أفضل موظف مساند / فئة ثالثة أحمد محمد السكفجي من دائرة الخدمات وصيانة المباني ، وذلك من بين ١٤٠ موظفا تقدموا للجائزة .

وأكد المهندس نضال الحديد خلال كلمة ألقاها أن هذه الجائزة تنطلق استجابة لتوجيهات جلالة الملك عبد الله الثاني في رؤيته الملكية، التي تعطي قضية استكمال بناء الأردن العصري والحديث أولى الأولويات، مصحوبة باستمرار بناء دولة المؤسسات ومجتمع العدالة و المساواة وتكافؤ الفرص واحترام حقوق الإنسان، مع التركيز على التنمية الاقتصادية التي تعكس آثارها الإيجابية على حياة المواطن ومستوى معيشته، منبها إلى أن الجائزة جاءت بهدف تحفيز وتشجيع مؤسسات الأمانة وكادرها التنفيذي لإنجاز أفضل خدمة، وتحقيق قفزات في الأداء و المشاريع و تقديم الخدمات لمتلقي الخدمة، ولتكون نموذجا يحتذى.

وقال إن هذه الجائزة ستستمر في كل عام لتحقيق المزيد من الإنجازات و التميز و الابداع و العطاء و الإخلاص وتطوير آليات العمل داخل المؤسسات، مشيرا إلى أن الأمانة حققت قفزات نوعية في أدائها وانجازاتها، و في نوعية مشاريعها، و في مجال استخدام الحاسوب للوصول إلى ما يعرف بالحكومة الالكترونية، معربا عن شكره لكوادر الأمانة التي عملت بجد لتحقيق هذه الانجازات .

من جانبه أكد وكيل الأمانة السيد فلاح العموش أن هذه الجائزة ارتكزت على فلسفة وأهداف جائزة الملك عبد الله الثاني للتميز و الشفافية من أجل تحقيق المزيد من الإنجازات وإدارة البرامج المختلفة للأمانة، ولتقديم أفضل الخدمات للمواطنين وتفعيل الشراكة والتواصل الحقيقي مع المواطن أينما تواجد، مشيرا إلى أن الجائزة جاءت للمساعدة على بناء دافع و حافز حقيقي قابل للحكم والقياس، ولاستنباط الأفكار الإبداعية الخلاقة و المستمرة وتحسينها وتطويرها، وترسيخ مفهوم الخدمة العامة.

وقال إن اللجنة المكلفة بالإشراف على الجائزة و ضعت المعايير وتعليمات الاشتراك و التقييم لفئات الجائزة، مع مراعاة أن يشمل التقييم العمل المكتبي و الميداني، و أن يتم التقييم من خلال الزيارات الميدانية و المتسوق الخفي. ولتحقيق العدالة و الشفافية و الحيادية تم تكليف إحدى الشركات المتخصصة لتتولى عملية التقييم و تقديم النتائج. وقد نفذ المتسوق الخفي عدة زيارات سريه للدوائر المختلفة و إلى كل المناطق. ووضح السيد العموش أن الجائزة أسست على أسس موضوعية تراعي الخصوصية و تنوع الخدمات بهدف تحقيق الاستمرارية و تحديث أساليب العمل.

وكان مدير الشركة المسؤولة عن التقييم السيد ياسر عوض الله قد أوضح أن الشركة قامت بثلاث زيارات لكل دائرة و منطقة وموظف، ووضعت تقريرا وضح السلبيات لتجاوزها و تحسين الأداء ومستوى الخدمة .



مجلّة
المنتدى

قسيمة اشتراك
في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في : ☐ مجلّة المنتدى

☐ مجلّة المنتدى + إصدارات عام ٢٠٠٤ (الكتب)

الاســـم : ....

العنوان : ....

....

....

قيمة الاشتراك*: .... طريقة الدفع : ☐ نقداً ....

رقم الـ CVV2 : ....

بطاقة فيزا رقم : .... تاريخ انتهاء مدتها : ....

حوالة بنكية (صافي القيمة) ....

رقم الحساب : **0118/001769 - 8/610** (البنك العربي، فرع الشميساني؛ عمّان، الأردن)

التوقيع : ....

التاريخ : ....

تُملأ هذه القسيمةُ وتُرسلُ مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي :
منتدى الفكر العربي؛ ص.ب: (٩٢٥٤١٨)
عمّان ١١١٩٠؛ الأردن

*قيمة الاشتراك السنوي		المجلـــة	المجلة + الكتب
	داخل الأردن	**للأفراد** : (٢٠) عشرون دينـاراً أردنياً **للمؤسسات** : (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً	**للأفراد** : (٥٠) خمسون دينـاراً أردنياً **للمؤسسات** : (١٠٠) مئـة دينـار أردني
	خارج الأردن	**للأفراد** : (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً **للمؤسسات** : (١٠٠) مئة دولار أمريكي	**للأفراد** : (١٥٠) مئة وخمسون دولاراً أمريكياً **للمؤسسات** : (٣٠٠) ثلاثمئة دولار أمريكي



Summer Special Packages
GREEN MEADOWS
المروج الخضراء للسياحة والسفر
GREEN MEADOWS TRAVEL & TOURISM
AeroSvit UKRAINIAN AIRLINES
AIR MACAU
EVA AIR 長榮航空
السورية SYRIANAIR
الخطوط الجوية الجزائرية AIR ALGERIE
Amman: Wasfi Tal St. Tel: +962 6 569 8184 - 568 4775 - Fax. +962 6 569 8602
Aqaba: +962 3 201 3391 - Fax. +962 3 201 3392
e-mail:gmtt@naouri.com - P.O. Box: 182154 Amman 11118 Jordan www.naouri.com
NAOURI G.R.O.U.P
Hotel Reservations - Shipping Agents - Travel & Tourism - Inspection
Ocean Freight - Air Freight - Customs Clearance - Land Transport